71
آذار 2024
السنة العشرون | شعبان ١٤٤٥ | آذار ٢٠٢٤
HIWAR ALFIKR
مجلة فصلية فكرية تصدر عن المعهد العراقي للحوار

حوار الفكر

كيسنجر والعراق:

الإرث الجدلي ودبلوماسية القوة

المدارك والضغوط المخيالية في العراق وإزائه

دور العراق في الاتفاق الإيراني- السعودي وانعكاساته

طوفان الأقصى: مقارنة عملياتية لمجرى الصراع عسكريًّا

Iraqi Institute For Dialogue

للحوار

I.I.D

صدر حديثاً عن المعهد العراقي للحوار

Iraqi institute for dialogue

Iraqi Institute For Dialogue

I.I.D للحوار

BAGHDAD
INTERNATIONAL
DIALOGUE

بغداد

التواصل الاقليمي.. محورية العراق

مؤتمر حوار بغداد الدولي السادس

حوار الفكر
مجلة فصلية فكرية تصدر عن المعهد العراقي للحوار

+964 773 019 7635
+964 772 997 3147
العراق ، بغداد ، الجادرية - شارع الوزراء
Ministers St, Al-Jadriya
Baghdad, Iraq
head@hewariraq.com
office@hewariraq.com
www.hewariraq.com

المشرف العام
الشيخ د٠همام باقر حمودي

رئيس التحرير
عباس راضي العامري

المعهد العراقي للحوار:

مؤسسة أكاديمية فكرية بحثية، تعنى بالدراسات والتخطيط الاستراتيجي، تأسست بعد التغيير في عام ٢٠٠٣، فكانت واحدة من اهم المشاريع التي تعنى بعملية صناعة القرارات وتحضير الخيارات وبدائلها من خلال المراقبة الدقيقة للأحداث الجارية وتداعياتها المحتملة عبر استشراف المستقبل لوضع المسارات اللازمة امام صانع القرار، حيث تقدم المؤسسة خرائط عمل متكاملة وملخصات تنفيذية و أوراق سياسات و تقارير تنتج عبر ندوات وورش تخصصية وابحاث يكتبها ويشرف عليها نخبة من كبار المختصين في الشؤون السياسية والاقتصادية والعسكرية والامنية وغيرها .

المراجعة اللغوية
رغد أحمد إسحاق

الترجمة
قسم الترجمة في المعهد العراقي للحوار

- رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ١٠٦١
- معتمدة في نقابة الصحفيين العراقيين تحت الرقم ٤٥٦
- جميع الحقوق محفوظة
- لايحق إعادة نشر المواد المنشورة في المجلة دون استئذان إدارتها
- لا يحق الاقتباس من المواد المنشورة في المجلة دون ذكر المصدر
- الافكار الواردة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي المعهد او مجلة حوار الفكر

الافتتاحية

بحثا عن الدبلوماسية المنتجة 6
عباس راضي العامري - رئيس التحرير

شؤون عراقية

القبض والبسط:
حول المدارك والضغوط المخيالية في العراق وإزائه..... 8
عقيل سعيد محفوض

دور العراق في الاتفاق الإيراني- السعودي وانعكاسات الاتفاق على العراق 18

رائد محسن داوود

كيسنجر والعراق الإرث الجدلي ودبلوماسية القوة 30

د. ياسر عبد الحسين

حوار العدد

مجلة حوار الفكر تحاور وزير الداخليةالفريق الركن عبد الأمير كامل الشمري 48

أجرى الحوار: منى سامي

دولي واقليمي

طوفان الأقصى والتوغل الصهيوني مقارنة عملياتية لمجرى الصراع عسكريًّا..... 56

الفريق الركن حسن سلمان خليفة البيضاني

بعد عملية طوفان الأقصى القضية الفلسطينية إلى أين؟ 108

أ.د.عبد الحميد الموساوي

تأثير اللوبي الصهيوني على سياسات واشنطن تجاه الحرب في غزة 116

علي صادق

الممر الاقتصادي الهندي- الشرق أوسطي - الأوروبي (IMEC)..... 128

وسام شاكر السراي

المقاربات الجيوسياسية للسياسة الخارجية المصرية تجاه فضاءات التخوم الجغرافية 146

الدكتور فراس عباس هاشم مجيد

تراجع الديمقراطية مقابل الاستبداد المؤشرات واضحة والخطر يقترب من العراق..... 168

لينا عماد محسن

البعثات الدبلوماسية وظائفها وحصانات أعضائها 180

د. ياسر علي خلف الصافي

عرض كتاب

الإبادة الجماعية في الشرق الأوسط (من نكبة فلسطين إلى تدمير العراق) المؤلف: سعد سلوم 192

عرض: وحدة الأبحاث والدراسات في المعهد العراقي للحوار

الدبلوماسية العلمية من وادي الرافدين إلى وادي السيلكون للمؤلف ثائر طاهر 202

فاضل الفوادي

ترجمة

جوزيف ناي: يمكنك الإكراه بالوسائل الاقتصادية 212

ترجمة: سعود معن

مؤتمر

النشاط الأبرز للمعهد العراقي للحوار.. مؤتمرحوار بغداد الدولي السادس 218

إعداد: رائد محسن داوود

عباس راضي العامري
رئيس التحرير

بحثا عن الدبلوماسية المنتجة

سعى العراق من خلال سياسته الخارجية بعد 2003, إلى القيام بعدة مهام من حيث الأجيال:

الجيل الأول: كانت مهمة هذا الجيل, بعد التغيير, هو الترويج للعراق الديمقراطي، وإعادة ترميم العلاقات الخارجية العراقية التي دمرها النظام الديكتاتوري بعد أن ورث العراق تركة ثقيلة من العزلة والعداء؛ نتيجة انعدام الثقة جراء السياسات اللامسؤولة التي أدَّت إلى تراجع دور ومكانة البلاد في المجتمع الدولي.

بينما كانت مهمة الجيل الثاني من الدبلوماسيين في الخارجية العراقية هو حماية العراق من المخاطر؛ نتيجة خوضه الحرب ضد الإرهاب، فقد سعى العراق، من خلال جهده الدبلوماسي إلى الاضطلاع بدور محوري لمحاربة عصابات داعش الإرهابية، وقد حفزت الحكومة العراقية المجتمع الدولي بتوجيه الرسائل إليه لتشكيل تحالف دولي لمحاربة التنظيمات الإرهابية، ولزيادة التعاون والتنسيق الأمني لدعم وتسليح وتدريب القوات العراقية بصنوفها كافة، للوقوف بوجه الإرهاب، بعدِّ العراق في مقدمة الدول التي تواجه الإرهاب.

أما مهمة الجيل الثالث, فهي إعادة إعمار

العراق عبر الدبلوماسية الاقتصادية, بل السعي لِأَن يأخذ العراق مكانته الإقليمية والدولية عبر سعيه المستمر لتفعيل الدبلوماسية الوقائية وأدوار الوساطة عبر الدور الحيوي في تسهيل المحادثات بين اللاعبين الإقليميين؛ لتسوية الخلافات في منطقة ساخنة, والسعي لإيجاد أرضية مشتركة, ومثالها الدور الأبرز للدبلوماسية العراقية عبر استضافة المحادثات بين السعودية وإيران، ما أسفر عن الاتفاق التاريخي، الذي أعلن عنه في 10 آذار 2023، التأكيد على أن العراق قائم لذاته، وليس ساحة لتسوية الحسابات في حروب بالوكالة، فضلًا عن محادثات إقليمية أخرى معلنة وغير معلنة, ليتحول بلدنا إلى قوة إقليمية رائدة.

بل سعى الجيل الثالث في الوقت الراهن إلى ما أسماه رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني بالدبلوماسية المنتجة, وهي تقوم على قاعدة تعزيز العلاقات بين العراق وشركائه في مجال الاقتصاد والطاقة والمجالات الأخرى, عبر المبادرات الإقليمية المهمة، وكما قال سابقًا رئيس الوزراء العراقي السابق نوري سعيد باشا: (إن الشرق غني بمجهولاته.. فقير بإنتاجه، في بطون أرضه، تكمن الخيرات, وعلى سطح أرضه يدبُّ الجوع)، لذا يرى العراق, ومن من خلال إطلاق المشاريع الضخمة لصالح المنطقة بأسرها ليمثل العراق محطة استقرار تاريخية, كما هو في مشروع العراق المهم (طريق التنمية) لإنشاء منطقة اقتصادية جديدة تؤدي إلى التكامل الإقليمي الاقتصادي.

فيما يبقى هدف الحكومة, في عهد السوداني, تعزيز سيادة العراق, وحماية مصالحه وفق الدستور العراقي والمواثيق الدولية, وحماية الإنسان العراقي وكرامته خارج العراق من خلال:

- تعزيز العلاقات مع الدول على أساس مبدأ الاحترام المُتبادَل والمصالح المشتركة, وخاصة دول الجوار, ودول مجلس التعاون الخليجي, والدول العربية الشقيقة الأخرى.
- تفعيل دور العراق الريادي في المنظمات العربية والإقليمية والدولية.
- اعتماد مبدأ عدم السماح بأن يكون العراق ممرًا أو مقرًّا للاعتداء على الدول الأخرى, وفق ما نصَّ عليه الدستور, والطلب من الدول الأخرى المعاملة بالمثل, وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، وعدم الدخول في سياسة المحاور، واتباع سياسة الصداقة والتعاون مع الجميع.
- حماية الإنسان العراقي وكرامته خارج العراق، كما في الداخل، من مسؤولية الحكومة, وعدّ ذلك من صلب مسؤولية وواجبات الحكومة، والعمل على أن تكون السفارات العراقية في الخارج بيوتًا للعراقيين فعليًّا.
- تكثيف العمل الدبلوماسي مع الدول؛ لتسهيل منح تأشيرات الدخول للعراقيين, وأن يكون للجواز العراقي هيبته واحترامه في دول العالم.

كل هذا يأتي في ظل عالم مشحون إقليميًّا ودوليًّا، عبر سلسلة من التهديدات الخطيرة الناجمة عن الحروب التقليدية, مثل الحرب في أوكرانيا, وغير التقليدية مثل أزمة المناخ وغيرها, وسلسلة من الأزمات المستمرة، وانعكاسات الحرب على غزة، لكن العراق يحثُّ الخطى لإنجاز رؤيته غير القائمة على ردود الأفعال.

في المقابل هناك ثلاث تحديات رئيسة:

- مستقبل التحالف الدولي، إذ يخوض العراق الآن مباحثات مع التحالف الدولي؛ لإعادة النظر حول تواجد مستشاريه, كما قال السيد السوداني:(إن وجود قوات التحالف الدولي في العراق يحتاج إلى تنظيم وتفويض قانوني).
- إعادة ترتيب العلاقة مع يونامي فإن التفويض الواسع لمهام البعثة الأممية لم يعد يحتاجه العراق كما في السابق.
- تحدي إقامة طريق التنمية.

شؤون عراقية

عقيل سعيد محفوظ

كاتب وأستاذ جامعي، سورية

القبض والبسط:

حول المدارك والضغوط المخيالية في العراق وإزائه

أظهر العراق اهتمامًا متزايدًا بإعادة بناء علاقاته وتوسيع تفاعلاته الإقليمية والدولية. ودخل على خط الحوار والوساطة وتدبير وتيسير المداولات والمفاوضات في عدد من جبهات التوتر والصراع في الإقليم. وتَدَخَّل على خط العلاقات السورية-العربية، ودفع من أجل عودة سورية إلى جامعة الدول العربية، والموقف بين سورية وتركيا، وبين إيران والسعودية، وإيران وأمريكا، وحقق تقدمًا مهمًّا في الموقع والدور في نظام التفاعلات في الإقليم، وهذا لم يكن موجودًا بالقدر نفسه قبل عدة سنوات.

إرادة التجاوز

يريد العراق أن "يتجاوز" حالة الإجهاد الرمزي والمعنوي خلال العقود الماضية، و"تفكيك" الصور والمدارك النمطية حوله، لدى مختلف الأطراف. ومن تلك الصور أنه بلد "هشٌّ" و"مخترق"، ولا يستطيع أن يُعيد مَرْكَزَةَ القوة والسلطة، كما أن ديناميات السياسة الفعلية هي في "مكان آخر" ليست هي بنى النظام السياسي والدولة بالمعنى المعروف. وهذه على أية حال سمات عدد من المجتمعات والدول في الإقليم والعالم. وبالتالي ثمة صعوبة في أن يشغل موقعًا مؤثرًا في نظام المعنى والقوة في الإقليم (والعالم). وإنه بلد تتنازعه تجاذبات إقليمية مختلفة، قد لا يكون لديها مصلحة في أن يكون دولة قوية.

يُلاحَظ الاهتمام المتزايد من قِبَل فواعل رسمية وغير رسمية بعقد المؤتمرات والحوارات حول العراق والإقليم، والتفكير في: كيف يمكن أن يقوم العراق بدور نشط في المنطقة والعالم؟ وهذا مدخل مهم يعزز جهود العراقيين في إعادة تشكيل بلدهم،

> إن لدى العراقيين رغبة أو بسط في أن يكون العراق بلدًا قويًّا وقادرًا على شغل موقع مهم في ميزان المعنى والقوة والتأثير في الإقليم، لكن أي عراق هو المقصود أو المطلوب؟

وتفكيك وإعادة تشكيل المدارك والصور الرائجة عنه، وذلك بجهود أبنائه وفواعله ومنابره ومؤسساته البحثية وغيرها، وبالطبع السياسية والاجتماعية والدينية... إلخ.

الرؤية والأسئلة

لكن، هل يواصل العراق صعوده في ميزان المعنى والقوة في الإقليم، وهل يحقق تقدمًا متناسبًا على هذا الصعيد مقارنةً بالجهود التي يبذلها؟ وهل لدى الإقليم "قابلية" لأن يكون العراق حاضرًا في سياساته وتجاذباته بالقدر الذي "يتناسب" مع وجود العراق وحضوره التاريخي والحضاري، وبالطبع السياسي والدولتي؟ بل هل لدى فواعل السياسة والفكر والاجتماع في العراق نفسه "القابلية" و"الهِمَّة" للقيام بما يلزم لأجل أن يزداد دوره في الإقليم؟

هذه الورقة لا تقدم إجابات على الأسئلة، بقدر ما أنها تتقصى خط التفكير والمعنى حول مسألة تكتسب أهمية متزايدة بالنسبة للعراق والإقليم. وتحاول أن تقرأ جانبًا من المدارك والرهانات التي تحكم مواقف العراق وعدد من فواعل الإقليم بهذا الخصوص. ثم إنها تطرح أسئلة أكثر مما تقترح إجابات أو حلولًا.

يتعلق الأمر بخطط ورهانات طموحة، ذلك أن التعقيد في وضع العراق نفسه، وفي الإقليم، وبالنظر إلى حجم التداخلات الخاصة بالعراق، يضع المحاولات والتطلعات أمام تحديات كثيرة، وخاصة في ظل وجود أزمات تتعلق بـ"الإجماع الوطني" و"الحس المشترك" و"الإرادة العامة"، إذا أردنا أن نتوسل التعبير المعروف في علوم السياسة والاجتماع اليوم.

يمكن الحديث عن "قابليات" و"إكراهات" مركبة، تكاد الواحدة منها تمثل شرطًا للأخرى، إذ إن لدى العراقيين رغبة أو بسط في أن يكون العراق بلدًا قويًّا وقادرًا على شغل موقع مهم في ميزان المعنى والقوة والتأثير في الإقليم، لكن أي عراق هو المقصود أو المطلوب؟ لا شك أن التوصل إلى إجماع أو توافق وطني حول ذلك مسألة في غاية الصعوبة، بل قد يكون مجرد السعي لذلك هو أحد عوامل الانقسام والصراع داخل العراق نفسه، وأحد عوامل الاحتواء من قِبَل فواعل في الإقليم (والعالم).

وإذا كان لدى الأطراف والتحالفات تصورات مختلفة حول معنى العراق وطبيعته ومن يحكمه... إلخ. فهذا

> في العراق، «قبض» من التغيير بسبب المخاوف مما يمكن أن يأتي به، و»بسط» حياله أملًا بالتخلص مما هم فيه، وتطلعًا لما يُمكن أن يأتي به. وينسحب ذلك على جيرانه والمهتمين به.

يعني أن أي تطلع أو رهان أو جهد لدى طرف عراقي ما سوف يكون موضوعًا لتجاذبات وصراعات وتدخلات كثيرة، وسوف يستثير تطلعات ورهانات وجهودًا مقابلة، وبالتالي – ويبدو أننا نكرر هنا- فإن كل سعي بهذا الخصوص يعيد إنتاج حالة الصراع.

في القبض والبسط

يتأسس مفهوم "القبض والبسط" على مقاربة معروفة في الدراسات الإسلامية أو الدراسات الصوفية والعرفانية حول "القبض والبسط"[1]، مما يرد في القرآن والفقه الديني والفكر الصوفي. وهنا يكون "البسط" ضد "القبض". البسط بمعنى الرجاء، والقبض بمعنى الخوف. وفي القرآن الكريم "وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (سورة البقرة، 245)، وثمة قول للصوفي الكبير أبي القاسم الجنيد: "الخوف من الله يقبضني والرجاء منه يبسطني".

وهذا ينسحب بكيفية ما على موقف كثير من العراقيين حيال ما هم فيه من تجاذبات واتجاهات للتغيير أو المحافظة، والبدائل القائمة أو المُحتملة. وعلى العموم، فإن الخوف من التداعيات "يقبض" الناس أو الفواعل المختلفة عنه، والرجاء أو الأمل بالتغيير "يبسطهم" أو "يدفعهم" للانخراط فيه.

بندول فوكو!

تنوس أحوال العراق وأهله والمهتمين به، كبندول فوكو (Foucault pendulum) بين حدين، بين "قبض وبسط"، "خوف ورجاء"، "إحجام وإقدام"، وخاصة في العقود الأخيرة، حتى لا نذهب بعيدًا في التاريخ. وتتجاذب البلد اتجاهات ومدارك وتقديرات وقوى في الداخل والخارج تختلف حد التناقض وأحيانًا النزاع والمواجهة، حول طبيعة الدولة والمجتمع والهوية والسياسة الخارجية، وبالطبع التفاعلات مع أطراف مختلفة ومتصارعة, من العراقيين من يرى طرفًا حليفًا، فيما يراه عراقيون آخرون عدوًّا. وسوف تتضح مستويات وطبقات داخل كل طرف تتجاذبها نزعات ومدارك بين هذا وذاك في آن.

في العراق، "قبض" من التغيير بسبب المخاوف مما يمكن أن يأتي به، و"بسط" حياله أملًا بالتخلص مما هم فيه، وتطلعًا لما يُمكن أن يأتي به. وينسحب ذلك على جيرانه والمهتمين به. وهذا الحال لا يخص

> من يريد أن يكون العراق أكثر استقرارًا وأكثر حضورًا في الإقليم والعالم، ربما يفضل «مركزة» السلطة والقوة، وهذا لا يعني بالضرورة عودة التسلطية، لكن كيف يُطمئن المخاوف من الدكتاتورية؟

العراق دون مجتمعات ودول الإقليم، ولو أنه (العراق) يُعَدُّ مثالًا ونموذجًا تقريبيًّا لما نتحدث عنه.

الواقع والرهان

إن الكلام عن "قبض" و"بسط" في منظور العراقيين عن أنفسهم عن بلدهم، ومنظور فواعل الإقليم أيضًا، ليس حيلة لفظية أو بلاغية، ولا مجرد استعارة من الفيزياء، ولو أن الحيل البلاغية والاستعارات جائزة على أية حال، طالما أن الغرض منها المساعدة في البيان والتوضيح. يتعلق الأمر بالشعور المتناقض والمتعاكس حيال:

الواقع، التمسك به أو الدفع لتغييره، سواء في داخل العراق ولدى العراقيين أنفسهم، على صعيد الموقف من النظام السياسي، والموقف بين المجتمع والدولة، والموقف بين التكوينات الاجتماعية... إلخ. أو على صعيد تفاعلاته الخارجية التي تجاذبتها اتجاهات متناقضة وأحيانًا متعاكسة أيضًا.

التطلعات والرهانات، وهي متناقضة وأحيانًا متعاكسة أيضًا، ذلك أن السعي لـ"مركزة" المعنى والقوة يعني "قبضًا" لمن يريد اللامركزية والفدرالية، وأهم من ذلك، من يريد أن يبقى المعنى والقوة موزعين أو بالأحرى مشتتين.

من يريد أن يكون العراق أكثر استقرارًا وأكثر حضورًا في الإقليم والعالم، ربما يفضل "مركزة" السلطة والقوة، وهذا لا يعني بالضرورة عودة التسلطية. لكن كيف يُطمئن المخاوف من الدكتاتورية؟

إن التطلع إلى "توزيع السلطات" هو "بسط" لمن له مصلحة في ذلك، و"قبض" لمن يريد "مركزة السلطات"، والعكس. وينسحب ذلك على موقف العراقيين من تعزيز التفاعلات مع طرف، وهو "بسط"، فهو يعني "قبضًا" لدى طرف أو أطراف أخرى، والعكس.

ومن يريد "توزيع" الموارد المادية والمعنوية، قل: "توزيع" المعنى والقوة، على أسس جهوية ومناطقية أو دينية أو عرقية... إلخ. كيف يضمن أن ذلك يعني وجود بلد مستقر وقادر على حشد الموارد المادية والمعنوية وفرض القانون والحفاظ على السيادة، وكيف يضمن ألا يكون البلد عرضة للتأثيرات الخارجية؟

"توافق موضوعي"

يمكن الحديث عن "توافق موضوعي" بين فواعل الإقليم على بقاء العراق بلدًا ذا "قابلية داخلية" للصراع والانقسام السياسي، و"قابلية" لتلقي

إن تطلّع العراق لدور في الإقليم يتناسب مع تاريخه ومكانته يمثل رهانًا خطرًا من منظور فواعل في الإقليم والعالم.

التأثيرات الخارجية, لكن ليس أي صراع وانقسام داخلي، ولا أي "قابلية" لتلقي التأثيرات الخارجية. وإن تطلّع العراق لدور في الإقليم يتناسب مع تاريخه ومكانته... إلخ. يمثل رهانًا خطرًا من منظور فواعل في الإقليم والعالم، الأمر الذي يتطلب من تلك الفواعل – من منظورها- أن تبقى متحفزة للتحولات في موازين واتجاهات المعنى والقوة لدى العراقيين.

ثمة "قبض وبسط" هنا، "قبض" من تحول العراق

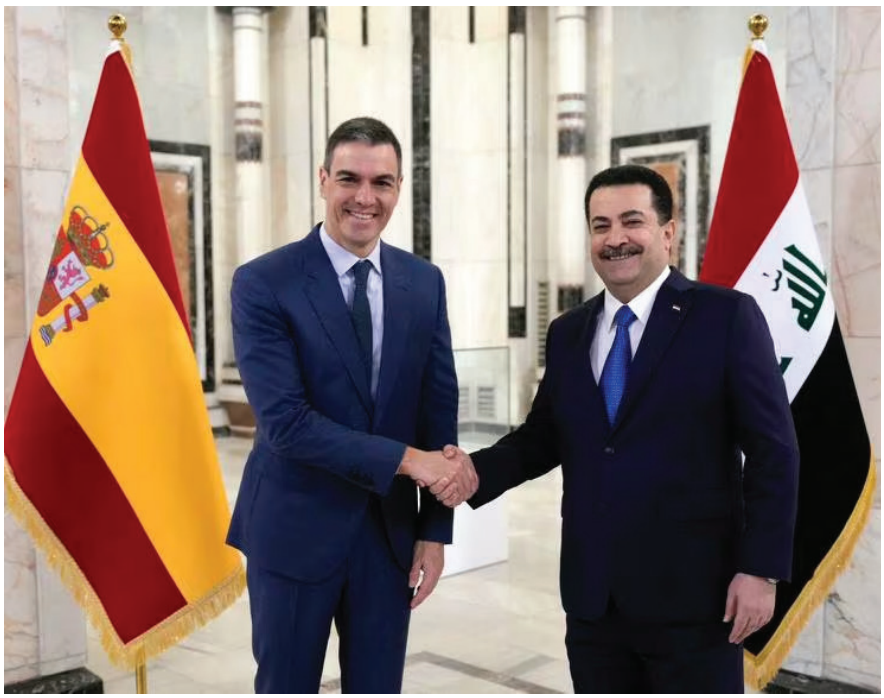

ثمة قبض من توجه العراق في خط سياسي يجعله قريبًا من طرف إقليمي ما أكثر من الأطراف الأخرى، وبالطبع ثمة بسط لدى أطراف عندما يكون العراق تحت تأثيرها، وبالتالي أقرب لسياساتها ورهاناتها.

بلـدًا متماسـكًا ومسـتقرًّا، وبالتالـي تحولـه إلـى فاعـل في الإقليـم، وهـي تريـده مجـالًا وموضوعًـا لمصالحهـا وسياسـاتها، فـضلًا عـن أنهـا تحـارب خصومهـا فيـه أو مـن خلالـه، بالحـال الـذي هـو عليـه. و"بسـط" مـن بقائـه في حالـة إجهـاد اجتماعـي واقتصـادي وسياسـي وأمنـي، لكـن ليـس بالقـدر الـذي يهـدد وجـوده، ويجعلـه مصـدر توتـر وعـدم اسـتقرار في الإقليـم.

وثمـة "قبـض" أو "انقبـاض" مـن توجـه العـراق في خـط سياسـي يجعلـه قريبًـا مـن طـرف إقليمـي مـا أكثـر مـن الأطـراف الأخـرى. وبالطبـع ثمـة "بسـط" لـدى أطـراف عندمـا يكـون العـراق تحـت تأثيرهـا، وبالتالـي أقـرب لسياسـاتها ورهاناتهـا.

وهكـذا، فـإن الاتجـاه نحـو إيـران أو أمريـكا أو دول الخليـج أو الصيـن، فيـه "بسـط وقبـض" أيضًـا:

"بسـط"، بمعنـى أنـه ينسـجم مـع توجهـات شـريحة قـد تكـون كبيـرة مـن المجتمـع وفواعـل السياسـة في الـبلاد. و"قبـض"، بمعنـى أنـه ليـس محـل إجمـاع في الداخـل، إذ تبـرز قـوى وفواعـل لا تريـد ذلـك، بتأثيـر عوامـل عديـدة، وبالتالـي يمكـن أن تحـاول خلـق اتجاهات وتفـاعلات وتحالفـات مناهضـة.

"بسـط"، بمعنـى أنـه يتيـح للدولـة علاقـات وتفـاعلات اقتصاديـة وسياسـية وأمنيـة هـي بحاجـة لهـا. و"قبـض"، لأنـه يجعـل الدولـة عرضـة لضغـوط مـن قبـل دول أخـرى في الإقليـم، هـي علـى خصومـة مـع البلـد الـذي يريـد العـراق الاقتـراب منـه.

تحولات التحالف-العداء

حدثـت تحـولات في الموقـف مـن العـراق بيـن التحالف والعـداء، ومـن ذلـك تحـوّل دول الخليـج العربيـة مـن "التحالـف" والدعـم للنظـام والعـراق إبـان حربـه مـع إيـران، إلـى "العـداء" مـع النظـام والمشـاركة في حصـاره وإسـقاطه. وانقلبـت الأمـور مجـددًا بعـد العـام 2003، إذ وجـدت دول الخليـج العربيـة أن العـراق بعـد 2003 ليـس هـو العـراق المأمـول أو المطلـوب خليجيًّـا، صحيـح أن أمريـكا موجـودة فيـه، لكـن إيـران موجـودة أيضًـا.

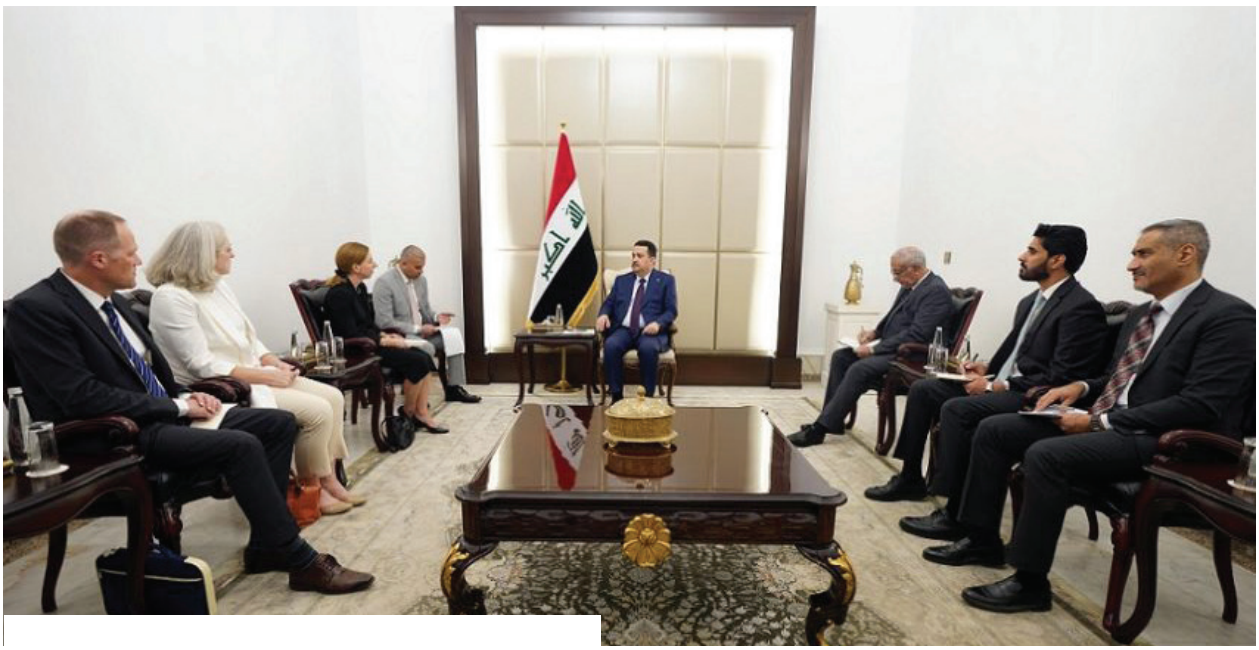

وحدث تحوّل في موقف إيران من العداء مع العراق (إبان الحرب بين البلدين) إلى "التكيف القلق" و"الهجنة" و"البراغماتية" مع النظام. ووجدت إيران العراق بعد العام 2003 بلدًا مختلفًا عما كان من قبل. ولو أنها لم تكن مجرد متابع أو متأثر بما يحدث، بل كانت جزءًا مهمًّا وحيويًّا من العملية والدينامية التي أنتجت العراق كما نعرفه اليوم.

وثمة بين الطرفين، الأمريكي والإيراني، "توافقات موضوعية" بشأن العراق، وثمة وقائع وإكراهات وضعت حدودًا أو سقوفًا لمطالب "خط إيران" بـ"إخراج أمريكا" أو "القطع معها"، ومطالب "خط أمريكا" وإلى حد ما "خط دول الخليج"، وهما خطان متداخلان، بـ"إخراج إيران" أو "القطع معها" أو مجرد "ضبط العلاقات" القائمة بين البلدين.

الواقع أن ثمة فواعل ترفض وجود هذا الطرف أو ذاك، متكئة -بشكل أو بآخر- على وجود الطرف الآخر أو المقابل، لكن أيًّا من الأطراف وخطوط السياسات المتعارضة هنا لا يملك عناصر وشبكات وإمكانات وإرادة قوة متناسبة مع ما تريد. ولعل كثير من فواعل السياسة أخذ ينظر للمشهد نظرة أكثر

كثير من فواعل السياسة أخذ ينظر للمشهد نظرة أكثر براغماتية وواقعية، حيث إن قوة الرهانات والتداخلات بين الداخل والخارج أكبر من قدرة أي طرف منفرد على أن يمسك بالأمور.

براغماتية وواقعية. إن قوة الرهانات والتداخلات بين الداخل والخارج أكبر من قدرة أي طرف منفرد على أن يمسك بالأمور.

العتبة الحدية

والآن، ما هي "العتبة الحدية" التي يمكن للعراق الوصول إليها من دون أن يثير ذلك مخاوف ومدارك

> هل ان مجرد السعي إلى بناء عراق قوي من الداخل سيكون سببًا لمخاوف ومدارك تهديد لدى فواعل في الإقليم والعالم، قد تحاول خلق ديناميات تغلغل واختراق للحيلولة من حصول ذلك؟

تهديد لدى فواعل في الإقليم والعالم، فيشرعون في احتوائه، حتى لا نقول إن ثمة سياسات احتواء استباقية، وخاصة من قِبَل الفواعل والأطراف التي تجد في العراق تهديدًا دائمًا، كامنًا أو ظاهرًا. وقد يكون مهمًّا الإشارة إلى وجود صدوع عميقة بين العراق وكل جيرانه تقريبًا، وخاصة إيران، باعتبار حرب الخليج الأولى، ودول الخليج باعتبار حرب الخليج الثانية، وبالطبع أمريكا، باعتبار الاحتلال الأمريكي عام 2003. وهذا باب فيه كلام كثير.

يتمفصل ذلك مع "عتبة حدية" أخرى للعراق، أي ذلك الحد أو المستوى من "التماسك الاجتماعي" و"الوحدة الوطنية" و"قوة الدولة" الذي لا يشعر معه فواعل في الإقليم والعالم بالتهديد. ومعلوم أن "التماسك الاجتماعي" والنقاط الأخرى المذكورة أعلاه، تمثل "شرطًا شارطًا"، بلغة فقهاء المنطق والقانون، لأن يكون العراق بلدًا حاضرًا بقوة في الإقليم.

السؤال هو: هل يمكن للعراق أن يتجاوز الإكراهات والرهانات الحدية بهذا الخصوص؟ ألن يكون مجرد السعي إلى بناء عراق قوي من الداخل سببًا لمخاوف ومدارك تهديد لدى فواعل في الإقليم

> إن القيام بدور نشط في الإقليم مشروط بتحقق «توافقات داخلية»، وتماسك سياسي وهوية وطنية مستقرة، وقدرة على احتواء مصادر التهديد في الداخل.

والعالم، قد تحاول خلق ديناميات تغلغل واختراق للحيلولة من حصول ذلك؟ باعتبار أن تلك الفواعل قد لا يكون لديها مصلحة في وجود عراق آمن ومستقر ولديه تطلعات إقليمية.

إن رهان عدد من الأطراف هو أن يكون العراق آمنًا ومستقرًّا، إنما بالقدر الذي يمنعه من التفكك والاضطراب ويحول -إلى حد ما- دون أن يتحول إلى حيز توتر وصراع يمتد إلى الجوار والإقليم. وإن الرهان لدى عدد من فواعل في الإقليم والعالم هو يكون العراق في منطقة "بين-بين"، بين التماسك والانقسام، القوة والضعف، الحضور والغياب... إلخ. إذ إن اندراج العراق في استقطاب إقليمي يهدد بتفجر أو صدوع وتوترات متزايدة الإقليم، الأمر الذي قد يدفع المتضررين لتحريك أو تعزيز ديناميات توتر وانفجار داخل العراق نفسه، كما تتكرر الإشارة.

في الختام

إن العراق بلد معقد, وفيه قوة وتشكلات وفواعل وشرائح لديها دافعية حيوية نشطة، وليس من السهل أن تركن إلى إكراهات السياسة، ولا أن يكون البلد – من منظور الآخر- "ورقة" أو "حيزًا" لتجاذبات الخارج، ولا مُهيمَنًا عليه من قِبَل طبقة سياسية أو شبكات مصالح يتمفصل فيها الداخل بالخارج أو الداخلي بالخارجي. وهذا يجعل من الصعب مجرد توقع ما يمكن أن تؤول إليه الأمور.

إن القيام بدور نشط في الإقليم مشروط بتحقق "توافقات داخلية"، وتماسك سياسي وهوية وطنية مستقرة، وقدرة على احتواء مصادر التهديد في الداخل، وأهمها ديناميات التدخل والتغلغل الخارجي، وبالطبع وجود قابلية إقليمية ودولية، والقائمة تطول.

إن جدول الأعمال أمام العراق كبير ومعقد، وإن التطلُّع لبلد آمن ومستقر وفاعل الإقليم يتطلب تضافر جهود كبرى ووعي بطبيعة ما يريده أهل العراق، وبالطبع ما يُراد للعراق، من قِبَل فواعل في الإقليم والعالم. قد تكون الأجندة ثقيلة، إلا أنها ممكنة.

1- نستعير تعبير «القبض والبسط» من عبد الكريم سروش، القبض والبسط في الشريعة، ترجمة: دلال عباس، (بيروت: دار الجديد، 2002). ولكن الورقة لا تتحدث عن الشريعة ولا تنطلق من منظور ديني، على أهميته

شؤون عراقية

رائد محسن داوود

دور العراق

في الاتفاق الإيراني- السعودي

وانعكاسات الاتفاق على العراق

مسارات العلاقات العراقية – السعودية

يرتبط العراق مع المملكة العربية السعودية بعلاقات سياسية ودبلوماسية ودنية وتاريخية واجتماعية ومشركات كثيرة، إلا أن مسار العلاقات الدبلوماسية السياسية بين البلدين مر بمراحل اتسمت بالتقارب، وأحيانًا بالفتور وعدم الاستقرار، وربما كانت في أفضل حالها بين البلدين هي في حقبة الحرب العراقية – الإيرانية 1980-1988، إذ كانت المملكة العربية السعودية, فضلًا عن دول الخليج, من الداعمين الرئيسين للعراق أثناء الحرب, سواء من الجانب السياسي والاقتصادي والمالي والإعلامي(1)، إلا أن هذه العلاقة لم تستمر. فمع نهاية الحرب بين إيران والعراق بدأت تظهر الخلافات, وخاصة الاقتصادية في مجال النفط بين العراق ومحيطه الخليجي، انتهت بدخول العراق للكويت عام 1990, وقطع العلاقات بين العراق والمملكة العربية السعودية, وبدأ مرحلة من القطيعة مع دول الخليج(2).

ومع بداية مرحلة تغيير النظام في العراق عام 2003، رحبت المملكة بذلك إعلاميًّا, ودعت إلى وحدة وسلامة أرض وسماء العراق والحفاظ على ثرواته وسيادته ورفض أية محاولة للتقسيم. وكان لديها مخاوف من تغيير السلطة وازدياد النفوذ الإيراني في العراق وتراجع الدور الإقليمي لها في هذا الملف المهم[3].

فيما اتسمت العلاقات العراقية – السعودية للمدة من 2003 ولغاية 2014 نوعًا ما بالتخوف والترقب وبالابتعاد والجمود, مع تصاعد حدة

> اتسمت العلاقات السعودية-الإيرانية بالاحتقان الشديد بسبب الخلافات السياسية والمذهبية على مرّ التاريخ إذ تم قطع العلاقات بين البلدين أكثر من مرة.

الاتهامات والتوترات السياسية بين البلدين[4]. إلا أنها شهدت نوعًا من الانفراج والتقارب, خاصة مع حكومة الدكتور حيدر العبادي، إذ تم تعيين أول سفير للمملكة في العراق وهو (ثامر السبهان) في 14 كانون الثاني 2016، بعد قطيعة دامت لأكثر من 25 عامًا، الذي تم طرده لاحقًا؛ بسبب تصريحاته وتدخله في الشأن العراقي[5].

إلا أن هذا التقارب بين البلدين لم يتوقف, بل استمر في مسار إيجابي خلال فترة حكومة الدكتور عادل عبد المهدي, وبعدها حكومة مصطفى الكاظمي، بحكم العلاقة القوية بولي العهد محمد بن سلمان، واستمر هذا النهج في الرغبة بتطوير العلاقات والتقارب بين العراق والمملكة العربية السعودية أيضًا خلال حكومة السيد محمد شياع السوداني الحالية من خلال تبادل الزيارات الرسمية على مستوى عالٍ بين البلدين، وتشجيع التبادل التجاري والاستثمارات والمواقف المؤيدة والداعمة لوحدة واستقرار العراق.[6]

مسارات العلاقات الإيرانية – السعودية

اتسمت العلاقات السعودية- الإيرانية بالاحتقان الشديد؛ بسبب الخلافات السياسية والمذهبية على مرّ التاريخ، إذ تم قطع العلاقات بين البلدين أكثر من مرة, إذ قُطِعت في آذار من العام1944؛ بسبب أحداث في موسم الحج[7], ثم استُؤنِفت العلاقات بين البلدين في العام 1947. وشهدت العلاقات نوعًا من

الانفراج والتقارب خلال حكم الشاه محمد رضا بهلوي والملك سعود بن عبد العزيز, إذ تم تبادل الزيارات بينهما في العام 1955 ـ والعام 1957، بهدف مناقشة وحل القضايا التي تخص البلدين وكذلك القضية الفلسطينية والتعاون الإسلامي[8]. إن هذا التقارب لم يستمر, إذ تم قطع العلاقات مرة أخرى في العام 1988؛ بسبب الحرب العراقية – الإيرانية وموقف المملكة منها، وكذلك ادعاء السعودية بتدخل إيران في شؤون المملكة الداخلية(المنطقة الشرقية), وفي موضوع الحج والعمرة وما حدث من اضرابات في موسم الحج بين الحجاج الإيرانيين وأمن الحرم 1987[9], ثم استؤنفت العلاقات في بداية التسعينات، إلا أنه على إثر إعدام المملكة العربية السعودية عالم الدين السعودي الشيخ نمر النمر مما دفع متظاهرين إيرانيين إلى مهاجمة السفارة السعودية في طهران وقنصليتها في مشهد, كما كان هناك خلاف وتباين في المقومات السياسية والفكرية وتنازع النفوذ السياسي والاقتصادي بين البلدين حول القضايا السياسية والأمنية في منطقة الخليج، الأمر الذي أدى إلى قطع المملكة علاقتها مع إيران في العام 2016، والدخول في مرحلة التصريحات العدائية والتهديدات والجفاء السياسي بين الدولتين الإقليميتين المهمتين في المنطقة[10].

> هناك خلاف وتباين سعودي وايراني في المقومات السياسية والفكرية وتنازع النفوذ السياسي والاقتصادي بين البلدين حول القضايا السياسية والأمنية في منطقة الخليج.

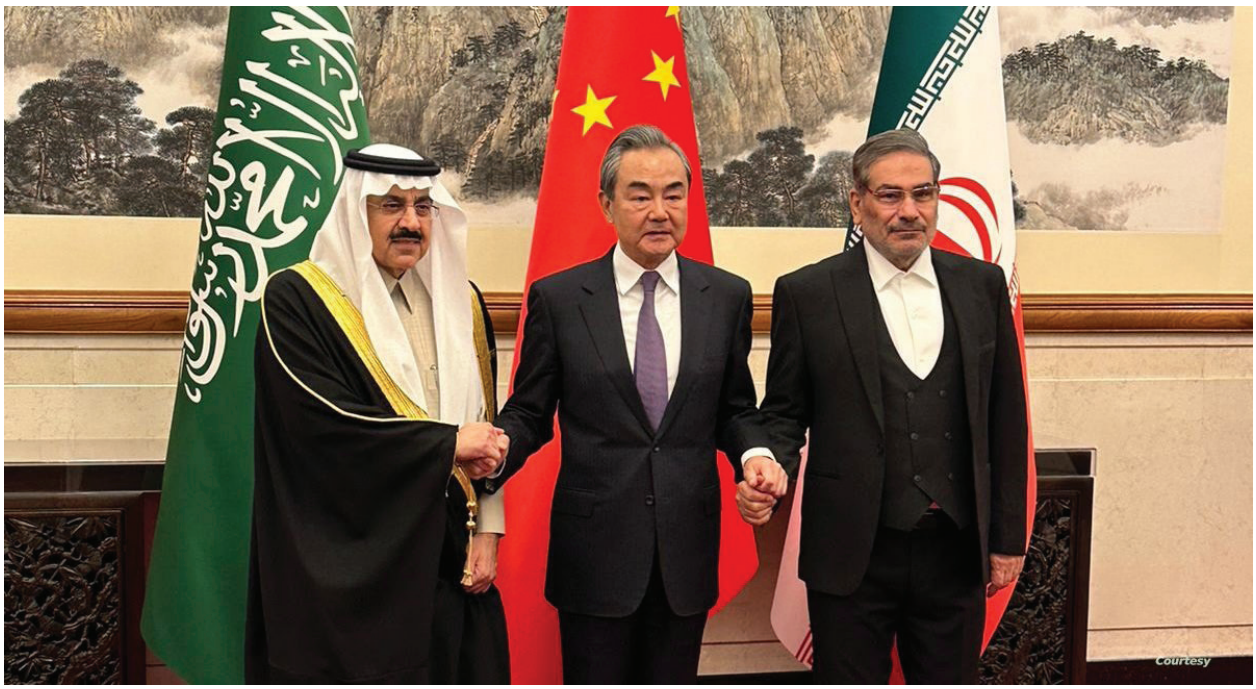

دور الوساطة العراقية في التقارب السعودي-الإيراني

لعب العراق دورًا محوريًّا مهمًّا في أحداث العلاقات الإيرانية - السعودية، بعد قطيعة دامت سبع سنوات، وذلك من خلال استضافة بغداد جولات حوارية لتقريب وجهات النظر بين الطرفين. بدأت المفاوضات بين الرياض وطهران في نيسان2021، برعاية عراقية ولقاء غير معلن بين وفدي البلدين في المنطقة الخضراء في بغداد. واستضافت بغداد, من نيسان 2021 إلى نيسان 2022، خمس جولات من المحادثات بين مسؤولي طهران والرياض. كانت بداية هذه الوساطة خلال حقبة حكومة رئيس الوزراء الأسبق، الدكتور عادل عبد المهدي، الذي تقدم بمبادرة للتقريب بين الدولتين، وزار البلدين، ونقل رسائل مكتوبة بين الطرفين، حتى أنه أعلن أمام البرلمان العراقي، مطلع العام 2020، وهو يشارك في جلسة خاصة بعد استشهاد قائد فيلق القدس الإيراني الجنرال قاسم سليماني، ورفيقه الشهيد أبو مهدي المهندس بطائرة أمريكية مسيرة، أن الشهيد سليماني كان في زيارة إلى بغداد لإيصال رسالة تتضمن ردَّ بلاده على رسالة سعودية سابقة نقلها عبد المهدي، وبعد توقف مساعي الدكتور عبد المهدي بعد ذلك الاغتيال، وبسبب التطورات التي أعقبته، وكذلك بعد استقالته، تحت ضغط الاحتجاجات الشعبية[11]، استمرت تللك الوساطة خلال حقبة حكومة السيد مصطفى الكاظمي، الذي بنى على تلك الوساطة، مستفيدًا من تغير الأجواء في واشنطن بعد فوز بايدن ورحيل ترامب.

وبحكم علاقات الصداقة القوية بين السيد الكاظمي وولي العهد محمد بن سلمان، بدأت تسير في مسار النجاح, إذ أعلن الكاظمي» حينها أن المسافات أصبحت قريبة بين السعودية وإيران لحل الخلافات بينهما عبر جولات الحوار وإن المباحثات وصلت إلى مراحل متقدمة»[12].

نتيجة جولات الحوار في بغداد, ودور الحكومات العراقية في السعي للتقارب بين الجارتين, ظهرت نتائج مثمرة باتفاق السعودية وإيران على إنهاء

حالة القطيعة الدبلوماسية بينهما التي دامت سبع سنوات، بعد وساطات وجولات من محادثات سرية وعلنية احتضنها العراق وعُمان، الأمر الذي أوصل الجانبين في 10 آذار 2023 إلى اتفاقية تهيئ الأرضية السياسية لعودة العلاقات الطبيعية بين الرياض وطهران، وإعلان الاتفاق وبنوده في الصين التي دخلت كداعم وضامن لما عُرف بالاتفاقية السعودية الإيرانية.

الحكومة العراقية عبرت عن سعادتها بهذا الاتفاق، إذ تلقَّى رئيس مجلس الوزراء محمد شياع السوداني، الموافق2023/3/10، اتصالًا هاتفيًّا من أمين المجلس الأعلى للأمن القومي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية علي شمخاني، عبر خلال الاتصال عن شكره للعراق لدوره في المفاوضات بين المملكة العربية السعودية والجمهورية الإسلامية الإيرانية، وللجهود العراقية التي بُذِلت من أجل تقريب وجهات النظر بين البلدين، والتي أسهمت في التوصل إلى اتفاق جديد بينهما في بكين.

وهنَّأ رئيس مجلس الوزراء السيد شمخاني بـ«مناسبة التوصل إلى اتفاق بينهما، مؤكدًا أن «هذا الاتفاق سيُسهم في زيادة الوئام بين البلدان الإسلامية، بما ينعكس إيجابًا على أمن المنطقة واستقرارها، ويوفر المزيد من فرص التنمية والازدهار»[13].

> أرادت المملكة العربية السعودية أن تعطي للاتفاق أهمية عالية وضمان كبير من خلال القبول بضامن دولي وهي الصين.
> تعديل داخل النص عبر كلمة المملكة بدلا من ممكة الحقل الثاني .

دواعي التقارب بين طهران والرياض

إدراك الصين لأهمية الدولتين في المنطقة, وإن الاستقرار في المنطقة ينعكس على المنطقة فضلا عن استقرار مصالح الصين.

من جانبها أرادت الممكة العربية السعودية أن تعطي للاتفاق أهمية عالية وضمان كبير من خلال القبول بضامن دولي وهي الصين.

من جانب آخر أرادت المملكة العربية السعودية من خلال الاتفاق أن تنأى بنفسها وتتجنب أي هجمات إيرانية أو من حلفاء إيران, خاصة بعد زيادة التهديدات الأمريكية والصهيونية لضرب إيران، فضلًا عن رغبتها في إنهاء حالة الحرب في اليمن من خلال المصالحة مع إيران, الأمر الذي يلزم طهران الضغط على حلفائها أنصار الله الحوثيين في اليمن ليكونوا أكثر استعدادًا لإنهاء حالة الصراع[14], كما أرادات من خلال القبول بالوسيط الصيني إيصال رسالة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بأن المملكة قادرة على التحالف مع الصين أو غيرها من أجل تأمين مصالح وأمن المملكة والخليج, إذ أدت سياسات الرئيس الأمريكي ترامب إلى الانسحاب من الاتفاق النووي مع إيران عام 2018، والضغط على إيران، وبعد مهاجمة المنشآت النفطية السعودية، وشركة أرامكو في العام 2019, وإلحاق أضرار كبيرة في واردات النفط السعودي دون رد فعل مناسب من القوات الأمريكية المتواجدة في المنطقة، مما جعل الحكومة السعودية تعيد حساباتها الأمنية, والبحث عن تحالفات أخرى مع العمل على إنهاء حالة التوتر مع إيران؛ لتحقيق الاستقرار وضمان عدم مهاجمة المصالح السعودية, وضمان أمن الخليج من خلال توقف التهديد بإغلاق مضيق هرمز، أو تهديد الملاحة في كل الممرات البحرية.

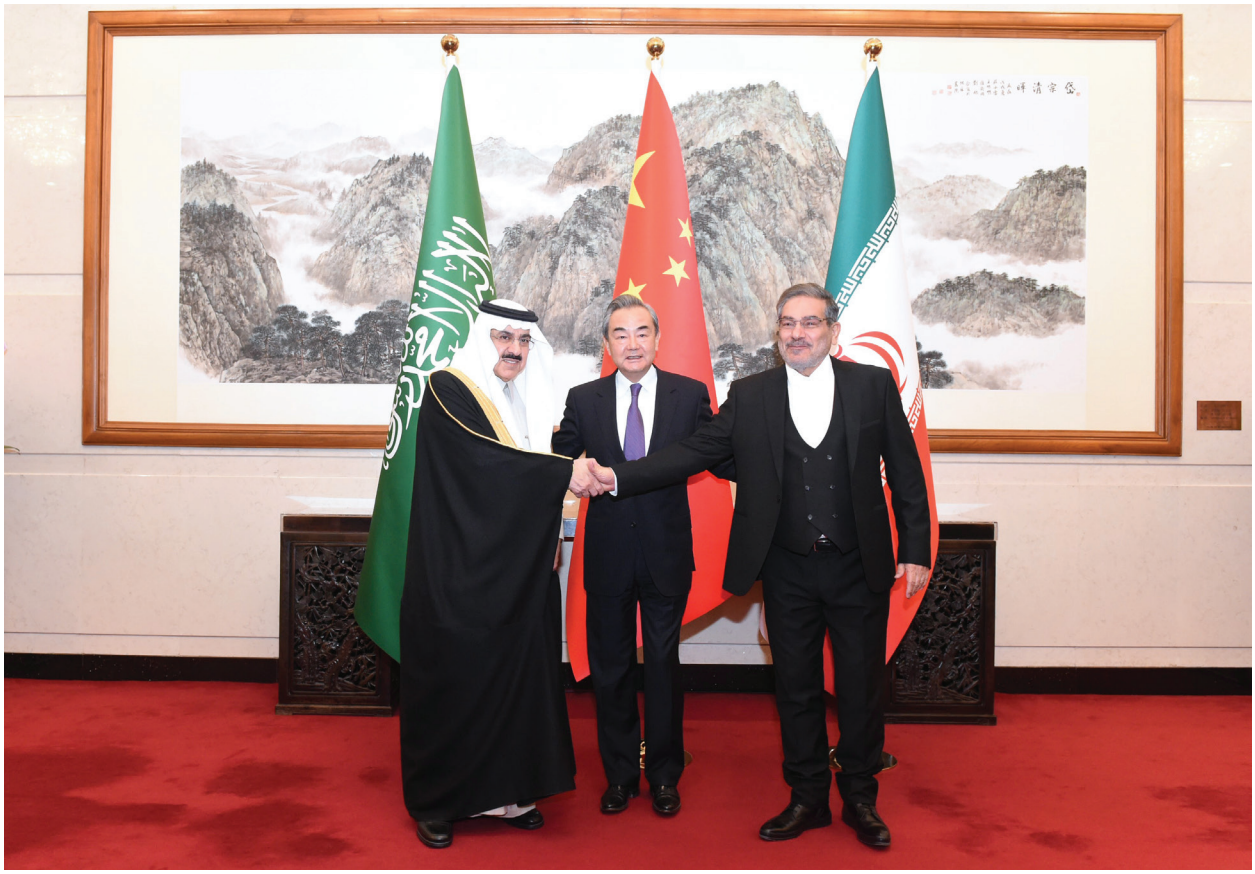

وكانت نتيجة التقارب بين الجمهورية الإسلامية والمملكة العربية السعودية توقف الهجمات الحوثية على الرياض، وتأييد الجانبين لوقف إطلاق النار في اليمن، ودخول السعودية في مفاوضات مع الحوثيين بوساطة عمانية[15]. فضلًا عن ذلك فإن ولي العهد أراد إحداث إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية في المملكة, وخاصة رؤية المملكة للعام 2020-2030، بالانتقال إلى مصاف الدول المتطورة والابتعاد عن سياسة الاعتماد على النفط, وجلب الاستثمارات إلى المملكة، الأمر المُتَطلَّب لتحقيق ذلك هو خلق بيئة مستقرة والعمل على تقليل وتصفير المشاكل مع دول الجوار, مثل قطر والإمارات العربية, وكذلك مع إيران. وقد حققت المملكة العربية السعودية نجاحًا في تحسن العلاقات القطرية السعودية بعد القطيعة مع قطر, وربما قناعة المملكة بأن حل المسائل العالقة في المنطقة يكون عبر الدبلوماسية والحوار, وليس الحرب والصراع[16].

أما بالنسبة للجمهورية الإسلامية الإيرانية التي تتعرض لضغوط هائلة وعزلة دولية, وعقوبات اقتصادية وأوضاع اقتصادية صعبة, ومظاهرات شعبية تطالب بالإصلاحات وتغيير النظام السياسي, إذ أدركت إيران أن المصالحة مع المملكة يخرجها من العزلة, ويغير نظرة المجتمع الدولي تجاهها، وترغب بجني فوائد اقتصادية من الجانب الصيني أو السعودي في وقت تشهد عزلة سياسية ومالية[17], فضلًا عن عودة إيران إلى تمثيلها في منظمة التعاون الإسلامي.

كما أن من شأن الاتفاق تحسين صورة النظام الإيراني داخليًا وإبراز نيته للتعايش السلمي والاتجاه نحو التعاون والسلام، كما تحاول إيران كسب دعم بكين؛ كونها قريبة من روسيا ومن ضمن المحور القريب منها.

إن إيران سعت للمصالحة مع المملكة العربية

السعودية؛ إدراكًا منها لوقف مسار التطبيع بين الرياض و(تل أبيب), وتقليص دور الكيان الإسرائيلي في المنطقة, إذ إن إيران تدرك أن نجاح التطبيع بين الرياض و(تل ابيب) سيجعل دول عربية وإسلامية تسير في هذا المجال أسوة بالسعودية. وبالتالي دخول الكيان إلى المنطقة ودول الجوار الإيراني الأمر الذي يسهل تهديد لمصالح وأمن إيران[18], خصوصًا بعد طوفان الأقصى.

> الاتفاق فرصة للصين لإبراز دورها كقوة دولية قادرة على حل المشاكل والتوترات الأمنية في منطقة الشرق الأوسط وهي ترسل بذلك رسالة للولايات المتحدة بأنها قوة سياسية منافسة أيضًا لا يُستهان بها.

دور الصين في الوساطة بين المملكة العربية السعودية والجمهورية الإسلامية الإيرانية

الاتفاق فرصة للصين لإبراز دورها كقوة دولية قادرة على حل المشاكل والتوترات الأمنية في منطقة الشرق الأوسط، وهي ترسل بذلك رسالة للولايات المتحدة بأنها قوة سياسية منافسة أيضًا لا يُستهان بها، وأن بإمكانها أن تتبوأ دورًا قياديًّا في منطقة الخليج التي تُعَدُّ منطقة نفوذ أمريكية[19].

• للصين مصالح اقتصادية وتجارية كبيرة ومهمة في المنطقة, إذ وقعت صفقة استثمارات بقيمة 10 مليارات دولار خلال مؤتمر الأعمال العربي الصيني العاشر, وعقد 30 اتفاقية تم توقيعها في قطاعات متعددة, بما في ذلك التكنولوجيا والطاقة المتجددة والزراعة والعقارات والتعدين والسياحة والرعاية الصحية, والتوقيع على مذكرة تفاهم بقيمة 5.6 مليار دولار بين وزارة الاستثمار السعودية وشركة تصنيع السيارات الكهربائية الصينية «هيومان هورايزونز» لإنشاء مشروع مشترك للأبحاث في صناعة السيارات وتطويرها وتصنيعها وبيعها. ولا تُعَدُّ العلاقات الاقتصادية القوية بين السعودية والصين وليدة اللحظة, بل تعود إلى عقود ماضية فيما بلغت قيمة التجارة البينية أكثر من 106 مليارات دولار عام 2022 بزيادة 30 بالمائة عن عام 2021 بفضل رغبة وحاجة الصين الكبيرة للواردات النفطية السعودية[20].

• رغبة الصين في ملء الفراغ في الشرق الأوسط بعد تراجع الدور الأمريكي في المنطقة. رغم أن بكين كانت مستفيدة من الوجود الأمريكي في المنطقة، إذ تؤمن الولايات المتحدة الأمن والاستقرار في المنطقة، وبالتالي ضمان تدفق النفط إلى الصين دون أن تتحمل بكين أية أعباء. من جانب آخر تسعى بكين في تقديم نفسها كراعٍ للسلام في العالم، من خلال طرح مبادرات الوساطة والمصالحة بين الدول, ومنها إيران والسعودية، كما تسعى الصين إلى مزيد من الشراكات الاستراتيجية مع الدول الفاعلة في العالم، وخاصة روسيا وإيران والمملكة العربية السعودية لمواجهة التهديدات الأمريكية ضد بكين[21].

اعتماد الصين على منطقة الخليج للحصول على كمية كبيرة من النفط والغاز مع مصالح اقتصادية تجعلها مصالحاتها تعمل على حفظ الاستقرار والأمن في المنطقة, والقيام بدور الوساطة بين إيران والسعودية[22]، الأمر الذي يعني سعي بكين للتقرب إلى أهم دولتين إسلاميتين مهمتين في المنطقة، وبالتالي كسب العالم العربي والإسلامي. أي أن الصين تعول على مفهوم القوى الناعمة في العالم المعاصر من أجل الدخول في علاقات وشراكات اقتصادية وسياسية في منطقة الشرق الأوسط.

> إبراز دور العراق كساحة للحوار والتقارب وليس ساحة تصفية حسابات، فالكل يذكر دور العراق في تقريب وجهات النظر بين البلدين وجولاته والحوار في بغداد كان ثمرة الاتفاق بين الطرفين.

الصين تتفهم رغبة وتوجه السعودية المسبق نحو تطوير العلاقة مع الصين بصفتها قوة عظمى صاعدة، وقد شهدت الأعوام الأخيرة توسعًا واضحًا في الشراكة السعودية – الصينية في ظل الرغبة السعودية بتنويع الاقتصاد وعدم الاعتماد المطلق على واردات البترول، بالإضافة إلى عقد اتفاقيات مع الصين في مجال التسلح وصناعة الصواريخ[23]. كما أن بكين تضع منطقة الخليج على أنها منطقة ذات أهمية استراتيجية، وبدأت تتنامى استثمارات الصين فيها، ولا سيما مشاريع البنى التحتية الكبرى من اتصالات وخدمات لوجستية، وأهمية موقع الخليج الاستراتيجي في مبادرة الحزام والطريق كونه عند تقاطع أفريقيا وآسيا وأوروبا، ومحور للتنافس بين الصين والولايات المتحدة[24].

الآثار الإيجابية للاتفاق على العراق

تُعَدُّ المملكة العربية السعودية وإيران من الدول الإقليمية المؤثرة، وهما نقطة ارتكاز لأمن منطقة الخليج، وإن أي صراع وتنافس بينهما ينعكس على المنطقة، وإن التقارب والاتفاق بينهما ينعكس على الحالة الأمنية والسياسية في المنطقة بصورة عامة، وعلى العراق بصورة خاصة، إذ يمتلك العراق مع البلدين تاريخ طويل من العلاقات والروابط الدينية والعربية والتاريخية والاجتماعية والجغرافية، وبالتالي يمكن للاتفاق أن يخفف حدة التوترات السياسية والأمنية والاجتماعية في العراق.[25]

إبراز دور العراق كساحة للحوار والتقارب، وليس ساحة تصفية حسابات. فالكل يذكر دور العراق في تقريب وجهات النظر بين البلدين وجولاته والحوار في بغداد، وكان ثمرة ذلك هو الاتفاق بين الطرفين[26].

زيادة فرص التعاون الاقتصادي والتجاري بما يحقق التنمية والازدهار لشعوب المنطقة ككل. إن تسوية النزاعات والخلافات في المنطقة عمومًا، والسعودية- الإيرانية تحديدًا، من شأنه أن يساعد على تحقيق التنمية المستدامة من خلال ما قد يتيحه من تنشيط حركة التجارة والاستثمارات المشتركة، خاصة

في ظل ما يمتلكه البلدان من إمكانات اقتصادية وموارد نفطية كبيرة[27]، وسوف ينعكس ذلك في زيادة فرص الاستثمار في العراق، إذ إن الاستقرار أحد عوامل جذب الاستثمارات، وللمملكة العربية السعودية رغبة كبيره في الاستثمار في العراق، إذ سبق وأن عرضت أن تقوم شركة المراعي باستصلاح أراضي واسعة من بادية السماوة، وكذلك في تطوير المنافذ الحدودية مع العراق، إذ قامت المملكة بصيانة وبناء منفذ عرعر ولديها رغبة بفتح منافذ أخرى. وغيرها من المشاريع، إلا أنها تخشى من عدم استقرار الأوضاع في العراق، إضافة إلى ذلك أن السعودية وإيران والعراق بلدان غنية بالنفط والثروات الطبيعة، ويمكن استثمار هذا التقارب والاتفاق بما يخدم توحيد السياسات النفطية، وفرص تبادل الخبرات والاستثمارات وتطوير الطاقات بما يخدم مصلحة الجميع.

> أن السعودية وإيران والعراق بلدان غنية بالنفط والثروات الطبيعة ويمكن استثمار هذا التقارب والاتفاق بما يخدم توحيد السياسات النفطية وفرص تبادل الخبرات والاستثمارات.

يحقق الاتفاق مصالح أمنية للعراق، إذ إن البلد لديه حدود جغرافية بين البلدين، ومن من المصلحة أن يكون هناك توافق ومصالحة بين جيران العراق. فالتقارب السعودي- الإيراني يساهم في تخفيف حدة

الاستقطاب السياسي والأمني بين الجماعات والجهات الموالية لإيران أو السعودية.

مكاسب سياحية واجتماعية, إذ يمكن أن ينعكس التقارب السعودي على ازدياد السياحة الدينية بين البلدان الثلاثة, إذ تحتوي على أماكن وأضرحة مقدسة. وبالتالي كلما قلَّت حدة الصراع الطائفي والسياسي كلما كان هناك فرصة لزيادة السياحة والتقارب الشعبي.

التوصيات التي من شأنها أن تصب في مصلحة العراق وأطراف الاتفاق:-

1. استمرار سياسة الحوار والوساطة في تعزيز الاتفاق السعودي- الإيراني بما يعزز الاتفاق وتحقيق الاستقرار في المنطقة, وأن تكون مُنطلَقًا للتقارب والمصالحة.
2. تبادل الزيارات الرسمية على مستوى عالٍ أو عقد مؤتمر ثلاثي بين وزراء خارجية العراق والمملكة وإيران, على غرار اللقاء العراقي المصري الأردني.
3. عقد اتفاقات وتفاهمات أمنية بين العراق والسعودية وإيران بشكل منفرد أو اتفاقات أمنية جماعية تصب في مصلحة الدول الثلاثة.
4. أن يسعى العراق إلى منح السعودية وإيران فرص استثمارية بصورة فردية أو ثنائية, مما يدفع الطرفين إلى الحفاظ على هذه الفرص وتعزيز المصالحة.
5. تشجيع الدبلوماسية الشعبية بين العراق والمملكة وإيران, إذ يمكن أن يكون لها دور كبير في التقارب, مثل إقامة البطولات الرياضية والمهرجانات الثقافية، ومثال ذلك ما حققته استضافة مدينة البصرة لدوري كأس الخليج 25 لكرة القدم، من سياحة وتقارب اجتماعي, واكتشاف للآخر غيَّر صورة العراق لدى المواطن الخليجي والمنطقة.
6. التأكيد على دبلوماسية المناخ. إن العراق وإيران والمملكة يعاني من تغييرات مناخية, إذ تصدرت إيران الترتيب العالمي في مؤشر الدول التي تمتلك أسوء نوعية هواء، وتحتل بغداد المرتبة 24, والرياض المرتبة 75 من بين دول الشرق الأوسط، في مسالة تلوث الهواء. من المناسب أن يكون هناك تعاون كبير بين الجهات المعنية بشأن معالجة التغييرات المناخية والبيئية بما ينعكس إيجابًا على الأطراف المعنية.
7. خفض التصريحات والخطابات الإعلامية المتشنجة, وتشجيع سياسة إعلامية تقوم على الحقيقة, وتعمل على تقارب الشعوب وتحقيق السلام والابتعاد عن التزييف والطائفية. فالإعلام وسيلة مهمة, ويمكن أن تكون تقاربًا وسلامًا أو مصدرًا يغذي العنف الكراهية بين الشعوب.
8. التأكيد على الروابط الدينية والتاريخية والقبلية، فالعراق والمملكة العربية السعودية والجمهورية الإسلامية الإيرانية هي دول إسلامية, وتربطهم روابط حضارية وقبلية, والصلح والحوار والسلام هي من مبادئ الإسلام, وذلك يتطلب أن تكون سياسة الحوار هي البديل عن الصراع والحروب.

Endnotes

1 - شـفيق ناظم الغبـرا، الكويـت والعـراق: قصيـة الحـدود، مجلـة شـؤون اجتماعيـة، العـدد، 56، العـدد 14، الشـارقة، 1997، ص1.

2 - محمـد حسـنين هيـكل، حـرب الخليـج، أوهـام القـوة والنصـر، مركـز الأهـرام للترجمـة والنشـر، القاهـرة، 1992، ص427-428.

3 - علـي محمـد حسـين العامـري، أثـر المتغيـر الإيرانـي علـى العلاقـات العراقيـة – السـعودية خلال حـرب الخليـج الثانيـة، مجلـة دراسـات سياسـية، العـدد 20، بيـت الحكمـة، بغـداد، 2012، ص16-17.

4 - عبـد السـلام إبراهيـم بغـدادي، تداعيـات الانسـحاب العسـكري الأمريكـي المحـدد مـن العـراق علـى بلـدان الخليـج العربـي، مجلـة المرصـد الدولـي، جامعـة بغـداد، العـدد13، حزيـران 2010، ص49.

5 - صوفينـار محمـد أحمـد، المواقـف العربيـة مـن الأزمـة في العـراق، مجلـة دراسـات سياسـية، العـدد198، القاهـرة، تشـرين الأول 2014، ص153-154.

6 - انظـر زيـارات رؤسـاء حكومـات العـراق إلـى المملكـة ومـا رافقهـا مـن اهتمـام ومواقـف وآراء إيجابيـة لـدى حكومتـي البلديـن وكذلـك لـدى الشـعبين الشـقيقين، يعكـس الرغبـة في التقـارب والتعـاون في المجـالات كافـة بمـا يخـدم مصلحـة البلديـن.

7 - د. عصـام السـيد عبـد الحميـد، العلاقـات السـعودية- الإيرانيـة، 1982-1997، عيـن للدراسـات والبحـوث الإنسـانية والاجتماعيـة، 2006، ص29-30.

8 - المصدر نفسه، ص30-31.

9 - المصدر نفسه، ص60.

10 - بنشـفه كـي نـوش، العلاقـات السـعودية- الإيرانيـة منـذ بدايـة القـرن العشـرين حتـى اليـوم، ترجمـة ابتسـام بـن خضـراء، دار السـاقي، 2017، ص33-34.

11 - تصريـح رئيـس الـوزراء الأسـبق الدكتـور عـادل عبـد المهـدي، في جلسـة مجلـس النـواب الاسـتثنائية في تاريـخ 2020/1/5.

12- نسـيبة يونـس، جمهوريـة الوسـاطة/ مركـز البيـان للدراسـات والتخطيـط، بغـداد 2021، ص3.

13 -تصريـح رئيـس الـوزراء حسـب المكتـب الإعلامـي لرئيـس الـوزراء وكالـة الأنبـاء العراقيـة العراقيـة، https://www.ina.iq/180247--.html.

14 - أثـر المصالحـة السـعودية – الإيرانيـة علـى صراعـات الشـرق الأوسـط، مجموعـة الأزمـات الدوليـة ((INTRNATIONAL CRISIS GROUP 2023/4/19.

15 - د. شـاهر الشـاهر، قـراءة في الاتفـاق السـعودي الإيرانـي برعايـة صينيـة، مجلـة مـدارات إيرانيـة العـدد 20، مجلـد 6، إصـدار المركـز الديمقراطـي العربـي للدراسـات الاسـتراتيجية والاقتصاديـة والسياسـية، برليـن، حزيـران 2023، ص 14-15.

16 - المصدر نفسه، ص14.

17 - علـي نجـاه، الوسـاطة العراقيـة بيـن إيـران والسـعودية: الدوافـع والعواقـب، مركـز البيـان للدراسـات والتخطيـط، بغـداد، 2022، ص9.

18 - علـي نجـاه، اسـتئناف العلاقـات الإيرانيـة السـعودية وانعكاسـاتها الإقليميـة، مركـز البيـان للدراسـات والتخطيـط، بغـداد 2023، ص9-10.

19 - في ظـل خلافـاتٍ متجـذّرة.. دوافـع الاتفـاق السـعودي الإيرانـي، مركـز الفـرات للدراسـات،2023/3/16،. https://firatn.com/?p=3862

20- طموحـات الصيـن الاقتصاديـة وجاذبيتهـا للسـعودية، قنـاة DW 1. ttps://www.dw.com/ar/a-6591377.

21 - د. شـاهر الشـاهر، قـراءة في الاتفـاق السـعودي الإيرانـي برعايـة صينيـة، مصدر سـابق، ص11.

22 - مايـكل يونـغ، توجـه الصيـن نحـو الشـرق الأوسـط، مركـز كارنينغـي للشـرق الأوسـط، 8 حزيـران 2023.

23 - الاتفـاق السـعودي – الإيرانـي: مـا بيـن الرغبـة الإقليميـة والتنافـس الدولـي، 2023/3/26، معهـد السياسـة والمجتمـع politicsociety.org.

24 - مايـكل يونـغ، توجـه الصيـن نحـو الشـرق الأوسـط، مركـز كارنينغـي للشـرق الأوسـط، مصـدر سـابق.

25 - أثـر المصالحـة السـعودية – الإيرانيـة علـى صراعـات الشـرق الأوسـط، مجموعـة الأزمـات الدوليـة(INTRNATIONAL CRISIS GROUP 2023/4/19، مصـدر سـابق.

26 - المؤتمـر الصحفـي للسـيد مصطفـى الكاظمـي رئيـس الـوزراء الأسـبق في 2022/6/8، بشـأن دور بغـداد في التقـارب السـعودي الإيرانـي، قنـاة العراقيـة الرسـمية والموقـع الرسـمي لرئيـس الـوزراء.

27- عـودة العلاقـات السـعودية – الإيرانيـة.. أبعـاد الاتفـاق والانعكاسـات المحتملـة، المرصـد، تحليـل السياسـات في المنطقـة والعالـم، في 2023/4/1، https://marsaddaily.com/Article_Detail.aspx?authorid=6&Articleid=415.

د. ياسر عبد الحسين

كيسنجر والعراق

الإرث الجدلي ودبلوماسية القوة

(نحن لا نفهم العراق جيدًا، وربما لا يفهم العراقيون أنفسهم، ولا يفهم بعضهم بعضًا)، هذا ما قاله مستشار الأمن القومي الأمريكي والدبلوماسي المخضرم الراحل هنري كيسنجر خلال حديثه مع الرئيس السوري حافظ الأسد عام 1974[1]. كان الملف العراقي حاضرًا بقوة في سياسة وسلوك كيسنجر؛ بحكم كونه بلدًا عربيًّا مؤثرًا في منطقة تعجُّ بالصراعات.

ورحيل كيسنجر فتح الباب للبحث عن سياسته وعقيدته تجاه الكثير من القضايا، رغم ما تم تقديمه من دراسات وكتب ومقابلات عديدة تحدثت عن عقيدة كيسنجر، لكن طروحاته الخاصة بالملف العراقي لم تجمعها دراسة واحدة، رغم تباين المواقف فكرًا وسلوكًا.

اللحظة الكيسنجرية كانت مع العراق تحديدًا في الملف الكردي عقب توقيع اتفاقية الجزائر عام 1975 بين النظام والشاه، ثم مرحلة إعادة ترتيب العلاقات بين نظام البعث وواشنطن، وصولًا إلى الحرب العراقية – الإيرانية في الثمانينيات حين ذكر مقولته المشهورة: "إنه لأمر مؤسف أن كِلا الجانبين لا يمكن أن يخسرا" "It's a pity they both can't lose"، ثم موقفه من حرب الكويت 1990, ولاحقًا حرب 2003 وما بعدها.

كيسنجر الصوت الاستراتيجي

وُصِف بكونه الصوت الاستراتيجي الأكثر صدى في البيت الأبيض والعالم، حتى وإن لم يشغل أي منصب، وإذا كان المؤرخون والنقاد قد وصفوا

كيسنجر بأنه مكيافيلي زمانه، أو مترنيخ عصره، أو المتلون والداهية، أو(كاذب مذهل لديه ذاكرة رائعة) كما وصفه المؤرخ كريستوفر هيشنز Christopher Hitchens، أو المجنون والمريض بالبارانويا كما كتب عنه سيمور هيرش Seymour Hersh، لكن بالنتيجة بقيت أفكاره مؤثرة في أذهان صناع القرار، ولا يزال يمثل جزءًا مهمًّا في مجتمع النخبة الاقتصادية، ودولة الظل وسياسة الباب الدوار.

شخصية كيسنجر تكمن عبر دراسة البيئة التي وُلِد فيها هذا اليهودي الألماني، ابن جمهورية فايمار، الذي ترك بلاده متوجهًا إلى نيويورك، ليعيش في متاهة الهوية التي عاشها المهاجرون الأوروبيون بين الهوية القديمة وهويته المكتسبة, إذ يقول كينسجر: (من الصعب أن تكون جزءًا من شعب عانى ما عاناه اليهود على مدار ألف عام من دون أن يكون لديك إحساس قوي بهويتك، وإحساس بالواجب تجاه عقيدتك اليهودية)، ثم كونه من أنصار المدرسة المثالية الويلسونية، لكن فشلها دفعه ليصبح بطرك المدرسة الواقعية، ولهذا تعامل مع ملفات مفاوضات السلام بحذر وريبة، وهذا ما كشفه الدبلوماسي السابق مارتن إنديك Martin Indyk في كتابه «Master of the Game» أن نيكسون أبعد كيسنجر عن المفاوضات العربية - الإسرائيلية لمدة طويلة؛ بسبب ميوله تجاه اليهود، ولم يمنحها له إلا قبل اندلاع حرب 1973.[2]

ثم مشاركته كعسكري في الجيش الأميركي نهاية الحرب العالمية الثانية، وتناقض المشاعر لمحاربة بلده الأم في الحرب، ثم دخوله قلاع السياسة الأميركية منتقلًا ومتأرجحًا بين: أولًا في الحزب الديموقراطي، ثم الحزب الجمهوري، ولاحقًا في أروقة الخارجية الأميركية وقرب طاولة الرئيس في البيت الأبيض، وهذه المتاهات الشخصية يبدو أنه كان لها دور في صياغة تناقضات المواقف والأفكار.

على ذلك، فقد واجه كيسنجر بعضًا من أكبر الأسئلة الاستراتيجية التي واجهناها منذ ترك منصبه، فقد كان من أوائل المؤيدين لتوسعة حلف شمال الأطلسي، على سبيل المثال، وهو القرار الذي توقعه مراقبون آخرون بحق أنه لن يؤدي إلى سلام دائم في أوروبا، بل إلى صراع مباشر مع روسيا.

كما دعم كيسنجر غزو العراق عام 2003 الذي عدَّه البعض أحد أكبر الأخطاء الاستراتيجية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية, وعارض الاتفاق النووي لعام 2015 مع إيران، كما فشل في التنبؤ بأن مساعدة الصين على النهوض من خلال سياسة المشاركة من شأنها أن تعجل بظهور منافس قوي من النظراء، وهو على وجه التحديد ذلك النوع من التهديد الاستراتيجي الذي كان سيثير انزعاجه خلال السنوات التي قضاها في منصبه[3]، وكذلك التناقض في الحرب الروسية – الأوكرانية، فيما يخص الشأن العراقي نتناول أبرز المواقف:

- ملف اتفاقية الجزائر:

ينقل عن عمّ السياسي العراقي الراحل الدكتور أحمد الجلبي، فإن الأخير كان يحثُّ على القراءة عن مترنيخ، وإن الأخير كان له تأثير على العراق الحديث في السبعينيات، إذ يرى أن انبهار كيسنجر بمترنيخ سوف يوضح السياسة الخارجية الأميركية تجاه الحركة الكردية بين عامي 1974 ــ 1975، وهذا ما حصل لاحقًا بعد توقيع اتفاقية الجزائر، عام 1975، التي أبرمها نظام الشاه مع صدام حسين، والتي كان لكيسنجر فيها دور محوري، وما نتج عن هذه الاتفاقية لبقاء نظام البعث لأكثر من ثلاثين عامًا.

بحلول السبعينيات، بدأ شاه إيران في تسليح وتدريب أكراد العراق؛ لدعمهم في تمردهم ضد الحكومة العراقية، قرر كيسنجر الذي كان يخشى أن يقترب العراق أكثر من اللازم من الاتحاد السوفييتي، الانضمام إلى حليفه الشاه، فيما أشارت لجنة بايك

شجع الأعمال المسلحة، إلا أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية كانت ستمنع الأكراد في مرحلة ما من شن هجوم خارجي شامل كانوا يخشون نجاحه، إذ إن الانتصار الكردي في العراق كان من شأنه أن يكون له آثار لا تُطاق على المصالح الأميركية كما يعتقد، إذ أراد كيسنجر فقط تسليح الأكراد بما يكفي؛ لتهديد

كان فريق كيسنجر حريصًا على إقامة علاقة مع صدام حسين. ومن خلال تدخل كيسنجر، عاد العراق إلى المدار العالمي للولايات المتحدة وقام تدريجيًّا بتحسين العلاقات مع الأنظمة الغربية.

العام نفسه، التقى بمسؤول عراقي رفيع المستوى لمناقشة تطبيع العلاقات, واعترف بأن واشنطن قامت بتسليح الأكراد؛ لمنع العراق من الاقتراب أكثر من اللازم من الاتحاد السوفيتي، وكان فريق كيسنجر حريصًا على إقامة علاقة مع صدام حسين. ومن خلال تدخل كيسنجر، عاد العراق إلى المدار العالمي للولايات المتحدة, وقام تدريجيًّا بتحسين العلاقات مع الأنظمة الغربية.

وفي بداية السبعينيات تجاهل البيت الأبيض التحذيرات الإيرانية من أن العراق أصبح حصان مطاردة سوفيتي ومصدرًا رئيسًا للتهديد في الخليج والمنطقة، مثلًا بين عامي 1968 و 1970 قتل حزب البعث 35 شيوعيًّا على الأقل، الأمر الذي أثار تحذيرات حادة من موسكو، وفي الوقت نفسه لم يكن الرئيس نيكسون مبتدئًا في مسألة العراق بصفته نائب رئيس إيزنهاور، مع كونه له دور رئيس في تصميم استجابة الولايات المتحدة الأمريكية لأحداث

1958، خاصة عندما قام العراق بتحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتي في أواخر عام 1971 تمامًا كما غادر البريطانيون الخليج ثم وقَّعوا معاهدة الصداقة والتعاون في نيسان 1972، وقد لفتت هذه الخطوة انتباه البيت الأبيض، إذ جاء في محضر لقاء صدام حسين مع السوفيت:

(جاءت زيارة الوفد بمبادرة من الجانب العراقي الذي أراد مناقشة تطوير التعاون السوفيتي- العراقي في مختلف المجالات, وتبادل الآراء بشأن الوضع في الشرق الأوسط, ومسألة تعزيز الوضع السياسي الداخلي في العراق من خلال إقامة جبهة وطنية توحد القوى التقدمية في البلاد. إن القيادة العراقية توصلت إلى استنتاج مفاده أنه من الضروري الارتقاء بالعلاقات السياسية العراقية السوفيتية إلى مستوى أعلى من خلال الدخول في اتحاد استراتيجي يمكننا على أساسه تطويره بنجاح التعاون في جميع المجالات الأخرى، ويرى الجانب العراقي أن مثل هذه الزيادة في مستوى العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والعراق سيكون لها تأثير إيجابي على الوضع في الشرق الأوسط ككل. أما فيما يتعلق بالاقتراح العراقي الخاص باتفاقية رسمية تحكم علاقاتنا، قيل للعراقيين إننا ننظر إلى هذه الخطوة نظرة إيجابية، وسيكون لمثل هذه الوثيقة أهمية سياسية كبيرة وستلعب دورًا مهمًّا في زيادة تعزيز العلاقات العراقية مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الأخرى)[5].

لكن التوقيت كان إشكاليًّا. كان نيكسون قد عاد لتوه من الصين، وكان كيسنجر مشغولًا في تمهيد الطريق لاختراق دبلوماسي كبير في قمة موسكو التي عُقِدت في أواخر أيار، لكن هذا لا يعني أن إدارة نيكسون ستسمح بالتحرك السوفيتي في العراق دون رادع، ففي 1 آب 1972 وافق نيكسون على عملية سرية محفوفة بالمخاطر للتدخل في العراق من خلال تزويد الأكراد بالمساعدة العسكرية والمالية، ولن يؤثر هذا التدخل على مسار الحرب الكردية فحسب، بل سيؤثر أيضًا على مسار التاريخ العراقي، إذ إنه ساعد عن غير قصد في تمهيد الطريق أمام صعود صدام حسين إلى السلطة كما يعتقد البعض[6].

من الواضح أن إدارة نيكسون قد فضلت إرجاء ملفات مثل العراق إلى وزارة الخارجية، أو الحلفاء الإقليميين على وجه الخصوص، كان البيت الأبيض سعيدًا؛ لأن صديق الرئيس القديم شاه إيران يتعامل مع المشكلة العراقية، نتيجة لذلك اتخذت إيران سلسلة من الإجراءات في العراق، مثل حثّ الأكراد على استئناف القتال، وتصنيع أزمة على طول ممر شط العرب المائي، ورعاية انقلاب يهدف إلى الإطاحة بالنظام البعثي في كانون الثاني عام 1970، وعلى الرغم من أن أيًّا من هذه الإجراءات لم ينجح في الإطاحة بحزب البعث، فقد نجحت إيران الشاه في شغل النظام العراقي سياسيًّا وعسكريًّا في الحقبة الحاسمة التي سبقت خروج بريطانيا من المنطقة في نهاية عام 1971، وطوال عام 1969 سعى الشاه للاستفادة من نقاط ضعف العراق الداخلية والخارجية؛ لإجباره على تقديم تنازلات إقليمية على طول شط العرب[7].

كانت الاتصالات الأولية بين الولايات المتحدة الأميركية مع الكرد كنتيجة جانبية لتوابع الحرب الباردة، فإن العلاقات الأميركية الكردية قد جاءت بصفة أساسية نتيجة للحاجة إلى الحفاظ على إيران كحليف للولايات المتحدة الأميركية في سياستها تحت إدارة الرئيس نيكسون واستراتيجية القطبين التوأمين المناوئة للاتحاد السوفياتي، وطبقًا لتقرير بايك, فإن العلاقات الأميركية الكردية قد تم تفسيرها في ضوء كونها نتاج قيام الولايات المتحدة الأميركية بتقديم الأسلحة والدعم المادي للمجموعات العرقية التي تقاتل من أجل الحصول على الاستقلال الذاتي في دولة تجاور أي دولة حليفة لنا، وفي الإطار ذاته, وطبقًا لتصريحات كيسنجر، فإن القضية الكردية قد أضافت مادة للحصول على العديد من النتائج المتنوعة، وأهمية ربط الأهداف بالوسائل المتاحة تعني أهمية التماسك بين الحلفاء، وكانت إيران بالنسبة إلى كيسنجر حليفة حقيقية للولايات المتحدة الأميركية؛

كونها تقوم بإرغام العراق على الاحتفاظ بقواته المسلحة مشغولة تمامًا في الجبهة الشرقية بعيدًا عن سوريا [8].

ولقد كان التحالف الأميركي – الكردي قصير المدى كوسيلة تكتيكية لتسهيل أهداف السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية، بالنظر إلى رغبتها في السيطرة على كل من إيران والعراق، ويتم النظر إليه كمشروع يتم بموجبه منع الآمال الكردية في الانفصال؛ لأن ذلك يمكن أن يسمح للاتحاد السوفيتي بأن يسبب المتاعب لاثنتين من الدول الأخرى الحلفاء للولايات المتحدة الأميركية، ومع ذلك فإن كُلًّا من شاه إيران وهنري كيسنجر كانا يأملان بألا يتمكن الكرد من إحراز النصر, ولكنهما يفضلان بدلًا من ذلك، أن يستمر المقاتلون ببساطة في الأعمال العدائية بما يكفي من استنزاف موارد العراق، وتُعَدُّ حالة الكرد في العراق دراسة كاشفة كحالة نموذجية لعلاقات الولايات المتحدة الأميركية مع الجهات غير الحكومية الفاعلة كجزء من سياساتها الإقليمية[9].

كان التحالف الأميركي – الكردي قصير المدى كوسيلة تكتيكية لتسهيل أهداف السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية، بالنظر إلى رغبتها في السيطرة على كل من إيران والعراق.

ويعتقد الأكراد أن كيسنجر هو مهندس اتفاق الجزائر، ويظهر بوضوح من خلال تتبع الأحداث كيفية إدارة كيسنجر للعبة، ويمكن معرفة القصة الكاملة لمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية للأكراد من خلال تقرير لجنة بايك للتحقيق الذي جاء فيه: (إن قرار دعم الأكراد أخذ بعد تأميم العراق للنفط، كما كان فيه مجاملة للحليف الإيراني بعد طلب الشاه،

> لجنة بايك: إن هدف الولايات المتحدة الأمريكية من مساعدة الأكراد لم يكن لتمكينهم من نصر يمكن لهم بعده أن يحصلوا ولو على الحكم الذاتي لأن حصولهم عليه يمكن أن يؤثر في أكراد إيران.

وقالت اللجنة إن هدف الولايات المتحدة الأمريكية من مساعدة الأكراد لم يكن تمكينهم من نصر يمكن لهم بعده أن يحصلوا ولو على الحكم الذاتي؛ لأن حصولهم عليه يمكن أن يؤثر في أكراد إيران ويسبب مشاكل للشاه، وبالتالي كان مطلوبًا ضبط مستوى مساعدة الملا مصطفى لحد معين يستطيع عنده استنزاف الجيش العراقي، وفي الوقت نفسه لا يستطيع إحراز انتصار مؤثر يحقق الاستقلال مما يضر بإيران، حتى أن كيسنجر نصح الملا بعدم سماع النصائح بالهجوم بعد تحرك الجيش العراقي إلى سوريا أثناء حرب تشرين؛ لأنه كان من الممكن أن يحقق نصرًا غير مناسب لمصالحهم، وفي شباط عام 1970 قررت الولايات المتحدة الأمريكية إرسال أسلحة بقيمة عشرين مليون دولار للأكراد من بلد شيوعي عن طريق طرف ثالث، وكان المبرر أن مساعدة الأكراد على تكثيف نشاطهم ضد العراق مفيد؛ لأن العراق يعارض اتفاقيات فك الاشتباك التي يرتبها كيسنجر

لحل النزاع في الشرق الأوسط بسياسة الخطوة خطوة)[10].

وخلال المدة ما بين حرب أكتوبر عام 1973 واتفاق الجزائر في آذار 1975 لعب الوزير كيسنجر، الذي كان أيضًا مستشارًا للأمن القومي، ونائبه برنت سكوكروفت، دورًا مهمًّا في توجيه وإدارة التدخل الكردي لوكالة المخابرات المركزية، وغالبًا ما يتصرفون خارج القنوات الدبلوماسية العادية، وطوال هذا الوقت واصل كيسنجر إظهار التزامه القوي بالتدخل الكردي، متجاهلًا في كثير من الأحيان تحذيرات وكالة المخابرات المركزية العديدة بشأن العملية من خلال طلب المزيد من المساعدة الأمريكية، بما في ذلك إيجاد طرق لنقل الأسلحة السوفيتية الصنع إلى الأكراد التي استولى عليها الإسرائيليون أثناء حرب أكتوبر، وحتى بعد استقالة الرئيس نيكسون في أب 1974 بقي كيسنجر في منصبه المزدوج، وأبقى الرئيس الجديد جيرالد فورد على علم بالتدخل الكردي، وفي الوقت نفسه أخفى هنري كيسنجر تفاصيل العملية عن وزارة الخارجية التي كانت تأمل في البناء على إيماءات العراق الإيجابية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية خلال عام 1973، وهذا يعني أن مجموعة صغيرة وسرية من المسؤولين الأمريكيين, مثل كيسنجر، وهيلمز، ورئيس محطة وكالة المخابرات المركزية في طهران آرثر كالاهان، قاموا بإدارة التدخل الكردي، ولهذا عندما استؤنفت الحرب الكردية في آذار عام 1974 تضافرت ثلاث ديناميكيات منفصلة هي: الصراع العربي (الإسرائيلي)، والتنافس بين إيران والعراق, والتدخل في الحرب الباردة. فيما استمرت سياسة إدارة فورد مدفوعة بفكر الحرب الباردة[11].

يقول هنري كيسنجر: في الثاني والعشرين من شباط, وبعد وقت قصير من لقائي مع الشاه الذي كان متخوفًا من أن يكون الكرد في حالة إنهاك شديد، وقد يبدأ مفاوضات مع العراقيين إذا التقى الجانبان في اجتماع أوبك، في مقابل الحق بالاعتراض على من يعينونه إذا ما طُرِد البرزاني، وقد حذرته بقوة من مغبة القيام بذلك، ثم يقول كيسنجر في مذكراته: (في التاسع من آذار شرحت الأمر بالتفصيل لرابين بعد إعلان الاتفاقية التي توصل إليها الشاه وصدام حسين في زيوريخ، أخبرني عن الأمر بطريقة افتراضية قال: إذا قابلت صدام حسين في الجزائر في اجتماع أوبك).. . وضعها أمامي كفكرة كشفتها وأكدتها الاتفاقية، وقلت له مشددًا على أنها فكرة سيئة خصوصًا تصديقه تأكيدات العراقيين بعدم تعيين شيوعي هناك في منطقة الحكم الذاتي الكردية، ولم يذكر الشاه أن الصفقة كانت وشيكة أو أنه سيقبل بسيطرة عراقية كاملة على المنطقة الكردية, ونتيجة لذلك بقيت مستمرًّا في تشجيع البرزاني كما يقول كيسنجر: (وبعد أكثر من أسبوعين بقليل, أي في السادس من آذار, حين كنت أستعد للقيام بالرحلات المكوكية في الشرق الأوسط الذي وصلت فيه المفاوضات إلى طريق مسدود، أذهلنا الشاه بالبيان الذي أعلن فيه التوصل إلى اتفاقية مع صدام حسين يتخلى بموجبها عن الأكراد في واقع الأمر، حيث أغلق الشاه حدوده وأوقف المساعدات كافة للأكراد مقابل بعض التنازلات العراقية في شط العرب، فعلى الصعيد الإنساني، كان تصرف الشاه وحشيًّا ولا يمكن الدفاع عنه، لكن فيما يتعلق بالتقويم الواقعي لأمن إيران يمكن تفهم قراره مهما كان مؤلمًا)[12].

ثم يقول في العاشر من آذار أرسلت برقية متحفظة لم أصل فيها إلى حد المصادقة على تصرفاته، وأشرت فيها ضمنًا إلى أن الشكوك تراودني حول المكاسب والفوائد التي يبدو أن الشاه يخبئها لنفسه فيما يتعلق بالمسألة الكردية فقلت له: (هذا أمر متروك لك يا صاحب الجلالة كي تقرره تبعًا لمصالح بلدك، وتبقى سياستنا كعهدها دائمًا قائمة على دعم إيران باعتبارها دولة صديقة ومخلصة للولايات المتحدة، لسوف أتابع باهتمام كبير بالطبع ارتقاء وتطور العلاقات العراقية – الإيرانية، والسياسة العراقية في منطقتكم عمومًا وتجاه الاتحاد السوفييتي على وجه الخصوص)، ثم يعلق كيسنجر قائلًا:حين

انتهى كل شيء توجهت سهامهم إلي على وجه الخصوص؛ بسبب التخلي عن الأكراد، لكن الشاه اتخذ قراره ولم نكن نملك إلا حججًا منطقية، ولا استراتيجيات معقولة لإقناعه بالعدول عنه. أما الحل الذي اقترحه بعض منتقدي سياستنا(تهديد الشاه بقطع المساعدات) فليس له أي معنى منطقي، فكيف يمكن أن نستغني عن حليفا رئيسًا لبدء عمليات عسكرية بدون دعم منا، وهو الخيار الوحيد حين كان الكونغرس يتخلى عن الحلفاء والسكين على أعناقهم؟، فالأحداث التي وقعت منذ سقوط الشاه أثبتت صوابية حكمنا بأن إيران الصديقة دولة لا غنى عنها تقريبًا للتوازن الإقليمي والعالمي على حد سواء)[13].

خلال أوائل عام 1975، جرت مفاوضات سرية بين إيران والعراق بلغت ذروتها في اتفاق الجزائر في أوائل آذار, وقطعت كل الدعم الأمريكي للأكراد، ومن الواضح أن كيسنجر عارض هذا القرار، معتقدًا أن النظام البعثي في العراق لم يكن جديرًا بالثقة، وأن الامتياز الحدودي المُقدَّم كان ضئيلًا مقارنة بالقيمة الاستراتيجية المكتسبة من دعم الأكراد، كما كان كيسنجر يعلم أن تطوير إيران لموانئها في الخليج، ولا سيما محطة تصدير النفط في جزيرة خرج، يعني أن ممر شط العرب المائي لم يكن حيويًّا لتصدير النفط الإيراني، كما شعر أن الصفقة ستقوي نظامًا له صلات وثيقة بالسوفييت وتساعد الشيوعيين العراقيين على ترسيخ سلطتهم، وفي 5 شباط أرسل له المساعد الخاص لكيسنجر بيتر رودمان خطاب بارزاني إلى جانب مذكرة تحدد مخاوف وكالة المخابرات المركزية بشأن التضمين في ذلك للطلب الكردي إرسال مندوب إلى واشنطن ينص على: (ينصح بعدم القيام بزيارة (أ) لأن الغرض الرئيسي منها هو توجيهك لمزيد من المساعدة، التي لا نستطيع تحملها، و (ب) بسبب المخاطر الأمنية، زيارة بارزاني لا يمكن أن تتم بشكل آمن، إن زيارة المبعوث من ناحية أخرى يمكن أن تظل سرية على الأقل في هذه النهاية)[14].

إن أكثر المساعي إيجابية, بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية, هي أن توصي الشاه بأن يختبر مدى جدية الرغبة العراقية في المصالحة، وليس بتبني موقف معاند وعدائي مبني على أساس أن النظام البعثي غير قابل للإصلاح. يتضح مما سبق أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن غائبة عن دفع الأمور بين طهران وبغداد باتجاه المصالحة، ولم تكن مهتمة حتى من الناحية الإنسانية بمعاناة الأكراد، لكن القيادة الكردية بعد العمليات العسكرية السابقة عام 1963 ثم بعد عام من القتال في 1974 قد توصلت إلى قناعة أن الحرب لن تنهي الأزمة.

كما أن إثارة الحوادث على طول الحدود الإيرانية-العراقية التي يمكن أن تؤدي إلى تدويل الحرب الكردية وعرضها على مجلس الأمن، وهو الأمر الذي أراد تجنبه، وفقًا لتقرير كيسنجر عن الاجتماع إلى فورد بدأ الشاه بمحاولة التحرك في اتجاه بعض التفاهم مع العراق فيما يتعلق بالأكراد، لكن كان متشككًا بشكل مفهوم في إمكانية الصفقة لذلك، كان الشاه يفكر في الاجتماع مع صدام حسين في اجتماع مقبل لمنظمة أوبك عُقِد في الجزائر في آذار لاستطلاع الموقف العراقي، وكذلك إطلاق تحذيرات من أن انهيار الأكراد من شأنه أن يزعزع استقرار المنطقة بأكملها، كما أنه قال: (أي تأكيدات من صدام بخصوص حكم المنطقة الكردية.. . سيكون عديم القيمة، وبما أن السوفييت قد ينظرون إلى تراجع إيران على أنه أحد أعراض الضعف المتزايد للغرب، فمن المرجح أن تزداد مغامراتهم حتى على تلك الجبهة)، كما أن كيسنجر شعر أن الاتفاق مع العراق كان فكرة سيئة لا سيما فكرة أنه كان يؤمن بتأكيدات النظام العراقي بأنه لن يتم تكليف أي شيوعي بمسؤولية منطقة الحكم الذاتي الكردية، وعندما انتهت المحادثة، أعطى الشاه لكيسنجر تأكيدات بأنه سيستمر في دعم الأكراد في الوقت الحالي، وبعد أيام قليلة حذر كيسنجر الإسرائيليين من أن الشاه يخشى أن يكون الأكراد قد تعرضوا له، قد يبدأ مفاوضات مع العراقيين إذا اجتمعوا في أوبك، في مقابل استخدام حق النقض ضد من سيضعون في مكانه إذا تم طرد بارزاني، ومن الواضح أن كيسنجر كان قلقًا بشأن فقدان بطاقته الكردية[15].

> كيسنجر للملا مصطفى البارزاني: (أريدك أن تعرف إعجابنا بك وبشعبك وللجهود الباسلة التي تبذلونها، والصعوبات التي واجهتها هائلة، أنا أقدر كثيرًا قراءة تقييمك للوضع العسكري والسياسي).

وبتأكيدات الشاه في 20 شباط، رد كيسنجر على رسالة بارزاني من كانون الأول في رسالة شخصية بشكل غير عادي، كان قلق كيسنجر بشأن الأكراد واضحًا: (أريدك أن تعرف إعجابنا بك وبشعبك وللجهود الباسلة التي تبذلونها، والصعوبات التي واجهتها هائلة، أنا أقدر كثيرًا قراءة تقييمك للوضع العسكري والسياسي وأيمكنك أن تطمئن إلى أن رسائلك تحظى بأكبر قدر من الاهتمام الجاد على أعلى المستويات في حكومة الولايات المتحدة؛ بسبب الأهمية التي نوليها لها). أما فيما يتعلق بالزيارة المقترحة, اقترح كيسنجر بدلًا من ذلك أن يرسل بارزاني مبعوثًا إلى واشنطن سرًّا: (أنا مقتنع بأن السرية كانت ذات أهمية قصوى في الحفاظ على قدرتنا على القيام بما قمنا به، لهذا السبب فقط – بالإضافة إلى قلقنا على سلامتك الشخصية أتردد في اقتراح لقاء شخصي معك هنا)، حقيقة أن كيسنجر استجاب بشكل إيجابي لطلب بارزاني بإرسال مبعوث يشير إلى اعتقاده بأن الشاه قد تم ثنيه عن إسقاط الأكراد, تم نقل هذه الرسالة إلى بارزاني في 22 شباط، ومن الواضح أيضًا أن بارزاني لم يكن على علم بنوايا الشاه [16].

فيما وردت بعض التقارير التي مصدرها يُعَدُّ مقربًا

من سلطة البعث، بأن كيسنجر قام بزيارة سرية لبغداد قادمًا من إحدى العواصم العربية ومكث في بغداد 24 ساعة, التقى بزعماء البعث هناك، إذ تم إعداد أسس اتفاقية الجزائر، ولدينا وثائق تؤكد ذلك. إن زيارة كيسنجر هذه جاءت في الأسبوع الأخير من شباط عام ١٩٧٥، وهكذا فقد تم إعداد اتفاقية الجزائر في واشنطن قبل أن تتحقق, وكانت هذه الاتفاقية تُعَدُّ إحدى معجزات كيسنجر[17]، ولم تتم الإشارة إلى مصدر هذه المعلومة في مصادر أخرى عدا مصدر مركز البحوث والمعلومات التابع لمجلس قيادة الثورة في نظام البعث.

بعد عدة أسابيع كان هنري كيسنجر في باريس لحضور اجتماع مؤتمر دولي للطاقة، وقد وفرت هذه الظروف فرصة للقاء وزير الخارجية العراقي سعدون حمادي، وهو على الأرجح أول اتصال دبلوماسي كبير بين الولايات المتحدة الأمريكية والعراق منذ أن قطعت بغداد العلاقات الدبلوماسية مع واشنطن في عام 1967 بعد حرب الأيام الستة.

لم يذكر كيسنجر هذا الحدث في مذكراته سنوات التجديد لكنه يظهر أنه يرغب في إقامة اتصال ليبين أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست غير متعاطفة مع العراق، وكان أحد الاعتبارات التي ربما تكون قد دفعت اهتمام كيسنجر بالاجتماع هو تسوية العراق لقضايا الحدود مع إيران في وقت سابق, وكانت وكالة المخابرات المركزية وشاه إيران يدعمان سرًّا تمردًا كرديًّا داخل العراق، كان هدفه تشتيت انتباه النظام البعثي، الذي عدَّه نيكسون وكيسنجر قريبًا جدًّا من موسكو، وحالما توصل العراق وإيران إلى تسوية، قام فورد وكيسنجر بتصفية دعم وكالة المخابرات المركزية للأكراد، إذ أبدى سعدون حمادي، وهو أحد الشيعة القلائل في النظام البعثي، وفق الوثيقة الأمريكية قلقه بشأن الدعم الأمريكي السابق للأكراد، ولكن كما جادل مطولًا، كان القلق الأكبر لبغداد هو (إسرائيل)، التي كانت بترسانتها النووية وسياستها التوسعية تهديدًا مباشرًا لأمن العراق على حد وصف حمادي، فيما رد كيسنجر بأن الولايات المتحدة الأمريكية تقف مع بقاء (إسرائيل) لكنها لا تريدها أن تهيمن على المنطقة، ويمكن تحقيق ذلك من خلال تقليص حجمها إلى أبعاد تاريخية، إذ جادل كيسنجر في التطور التاريخي، فيما اختلف حمادي ومساعده مع كيسنجر بشأن (إسرائيل)، لكنهم أرادوا التحدث معه حول أمور مثل التمرد الكردي، واحتمالات قيام دولة فلسطينية، والوضع في لبنان، إذ لم يرَ العراقيون أي احتمال لتطبيع العلاقات مع واشنطن لكنهم رأوا احتمالات تطوير العلاقات. .. على المستوى الثقافي والاقتصادي، واتفق حمادي وكيسنجر على إمكانية عقد مزيد من الاجتماعات على أساس كل حالة على حدة، مع انتهاء المحادثة، شارك حمادي قلقه بشأن المشكلة الكردية لكن كيسنجر رفض بقوله: (لا يمكن للمرء أن يفعل شيئًا حيال الماضي)[18].

وهذا جزء من وثائق اللقاء بين سعدون حمادي وهنري كيسنجر:

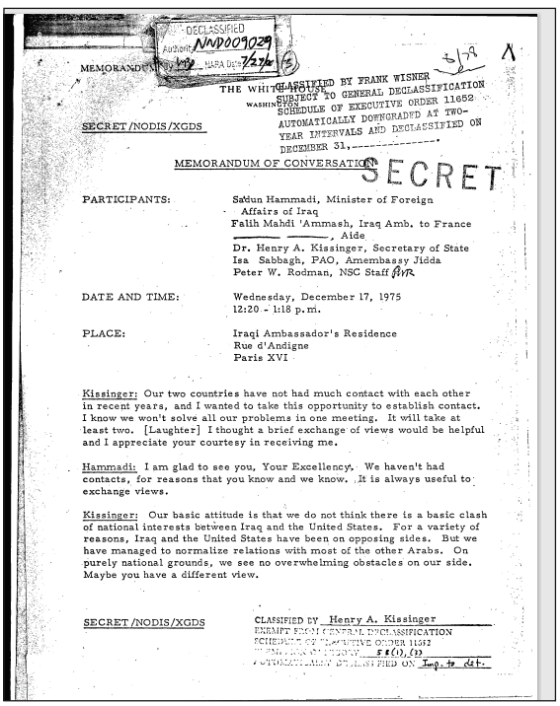

DECLASSIFIED
Authority NND 969029
By LW NARA Date 7/27/06

MEMORANDUM

THE WHITE HOUSE
WASHINGTON

CLASSIFIED BY FRANK WISNER
SUBJECT TO GENERAL DECLASSIFICATION SCHEDULE OF EXECUTIVE ORDER 11652 AUTOMATICALLY DOWNGRADED AT TWO-YEAR INTERVALS AND DECLASSIFIED ON DECEMBER 31, ----------.

SECRET/NODIS/XGDS

SECRET

MEMORANDUM OF CONVERSATION

PARTICIPANTS:
Saddun Hammadi, Minister of Foreign Affairs of Iraq
Falih Mahdi 'Ammash, Iraq Amb. to France
———, Aide
Dr. Henry A. Kissinger, Secretary of State
Isa Sabbagh, PAO, Amembassy Jidda
Peter W. Rodman, NSC Staff

DATE AND TIME:
Wednesday, December 17, 1975
12:20 - 1:18 p.m.

PLACE:
Iraqi Ambassador's Residence
Rue d'Andigne
Paris XVI

Kissinger: Our two countries have not had much contact with each other in recent years, and I wanted to take this opportunity to establish contact. I know we won't solve all our problems in one meeting. It will take at least two. [Laughter] I thought a brief exchange of views would be helpful and I appreciate your courtesy in receiving me.

Hammadi: I am glad to see you, Your Excellency. We haven't had contacts, for reasons that you know and we know. It is always useful to exchange views.

Kissinger: Our basic attitude is that we do not think there is a basic clash of national interests between Iraq and the United States. For a variety of reasons, Iraq and the United States have been on opposing sides. But we have managed to normalize relations with most of the other Arabs. On purely national grounds, we see no overwhelming obstacles on our side. Maybe you have a different view.

SECRET/NODIS/XGDS

CLASSIFIED BY Henry A. Kissinger
EXEMPT FROM GENERAL DECLASSIFICATION SCHEDULE OF EXECUTIVE ORDER 11652
EXEMPTION CATEGORY E.O. 11652 5 B (1), (3)
AUTOMATICALLY DECLASSIFIED ON Imp. to det.

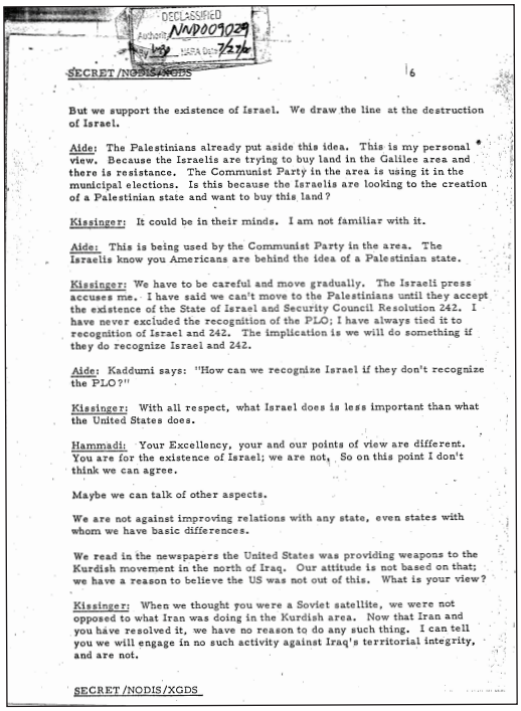

DECLASSIFIED
Authority NND009029
NARA Date 7/27/06

SECRET/NODIS/XGDS 6

But we support the existence of Israel. We draw the line at the destruction of Israel.

Aide: The Palestinians already put aside this idea. This is my personal view. Because the Israelis are trying to buy land in the Galilee area and there is resistance. The Communist Party in the area is using it in the municipal elections. Is this because the Israelis are looking to the creation of a Palestinian state and want to buy this land?

Kissinger: It could be in their minds. I am not familiar with it.

Aide: This is being used by the Communist Party in the area. The Israelis know you Americans are behind the idea of a Palestinian state.

Kissinger: We have to be careful and move gradually. The Israeli press accuses me. I have said we can't move to the Palestinians until they accept the existence of the State of Israel and Security Council Resolution 242. I have never excluded the recognition of the PLO; I have always tied it to recognition of Israel and 242. The implication is we will do something if they do recognize Israel and 242.

Aide: Kaddumi says: "How can we recognize Israel if they don't recognize the PLO?"

Kissinger: With all respect, what Israel does is less important than what the United States does.

Hammadi: Your Excellency, your and our points of view are different. You are for the existence of Israel; we are not. So on this point I don't think we can agree.

Maybe we can talk of other aspects.

We are not against improving relations with any state, even states with whom we have basic differences.

We read in the newspapers the United States was providing weapons to the Kurdish movement in the north of Iraq. Our attitude is not based on that; we have a reason to believe the US was not out of this. What is your view?

Kissinger: When we thought you were a Soviet satellite, we were not opposed to what Iran was doing in the Kurdish area. Now that Iran and you have resolved it, we have no reason to do any such thing. I can tell you we will engage in no such activity against Iraq's territorial integrity, and are not.

SECRET/NODIS/XGDS

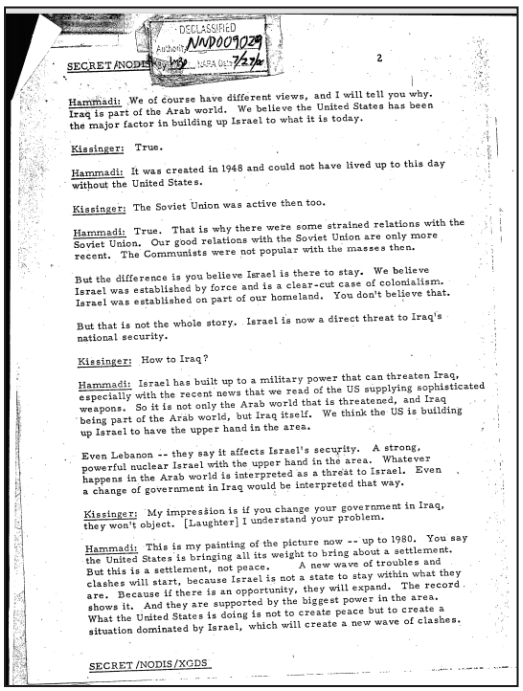

DECLASSIFIED
Authority NND009029
NARA Date 7/27/06

SECRET/NODIS/XGDS 2

Hammadi: We of course have different views, and I will tell you why. Iraq is part of the Arab world. We believe the United States has been the major factor in building up Israel to what it is today.

Kissinger: True.

Hammadi: It was created in 1948 and could not have lived up to this day without the United States.

Kissinger: The Soviet Union was active then too.

Hammadi: True. That is why there were some strained relations with the Soviet Union. Our good relations with the Soviet Union are only more recent. The Communists were not popular with the masses then.

But the difference is you believe Israel is there to stay. We believe Israel was established by force and is a clear-cut case of colonialism. Israel was established on part of our homeland. You don't believe that.

But that is not the whole story. Israel is now a direct threat to Iraq's national security.

Kissinger: How to Iraq?

Hammadi: Israel has built up to a military power that can threaten Iraq, especially with the recent news that we read of the US supplying sophisticated weapons. So it is not only the Arab world that is threatened, and Iraq being part of the Arab world, but Iraq itself. We think the US is building up Israel to have the upper hand in the area.

Even Lebanon -- they say it affects Israel's security. A strong, powerful nuclear Israel with the upper hand in the area. Whatever happens in the Arab world is interpreted as a threat to Israel. Even a change of government in Iraq would be interpreted that way.

Kissinger: My impression is if you change your government in Iraq, they won't object. [Laughter] I understand your problem.

Hammadi: This is my painting of the picture now -- up to 1980. You say the United States is bringing all its weight to bring about a settlement. But this is a settlement, not peace. A new wave of troubles and clashes will start, because Israel is not a state to stay within what they are. Because if there is an opportunity, they will expand. The record shows it. And they are supported by the biggest power in the area. What the United States is doing is not to create peace but to create a situation dominated by Israel, which will create a new wave of clashes.

SECRET/NODIS/XGDS

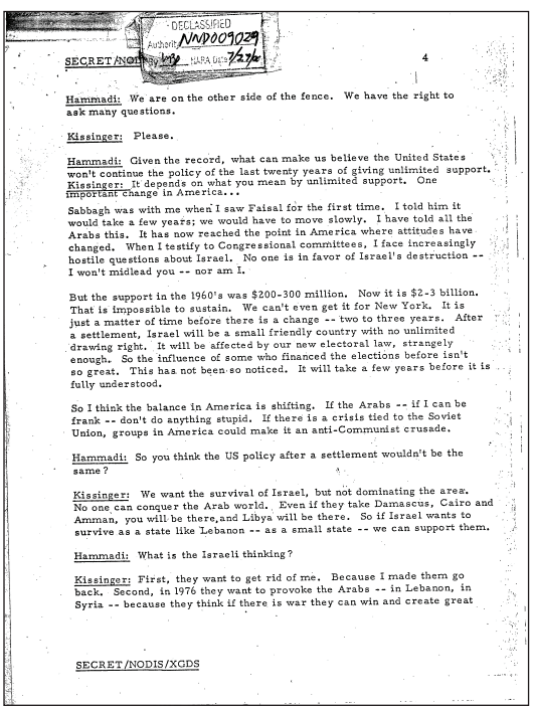

DECLASSIFIED
Authority NND009029
NARA Date 7/27/06

SECRET/NODIS/XGDS 4

Hammadi: We are on the other side of the fence. We have the right to ask many questions.

Kissinger: Please.

Hammadi: Given the record, what can make us believe the United States won't continue the policy of the last twenty years of giving unlimited support.
Kissinger: It depends on what you mean by unlimited support. One important change in America...

Sabbagh was with me when I saw Faisal for the first time. I told him it would take a few years; we would have to move slowly. I have told all the Arabs this. It has now reached the point in America where attitudes have changed. When I testify to Congressional committees, I face increasingly hostile questions about Israel. No one is in favor of Israel's destruction -- I won't mislead you -- nor am I.

But the support in the 1960's was $200-300 million. Now it is $2-3 billion. That is impossible to sustain. We can't even get it for New York. It is just a matter of time before there is a change -- two to three years. After a settlement, Israel will be a small friendly country with no unlimited drawing right. It will be affected by our new electoral law, strangely enough. So the influence of some who financed the elections before isn't so great. This has not been so noticed. It will take a few years before it is fully understood.

So I think the balance in America is shifting. If the Arabs -- if I can be frank -- don't do anything stupid. If there is a crisis tied to the Soviet Union, groups in America could make it an anti-Communist crusade.

Hammadi: So you think the US policy after a settlement wouldn't be the same?

Kissinger: We want the survival of Israel, but not dominating the area. No one can conquer the Arab world. Even if they take Damascus, Cairo and Amman, you will be there, and Libya will be there. So if Israel wants to survive as a state like Lebanon -- as a small state -- we can support them.

Hammadi: What is the Israeli thinking?

Kissinger: First, they want to get rid of me. Because I made them go back. Second, in 1976 they want to provoke the Arabs -- in Lebanon, in Syria -- because they think if there is war they can win and create great

SECRET/NODIS/XGDS

محضر لقاء هنري كيسنجر مع سعدون حمادي عام 1975 من أرشيف الأمن القومي الأمريكي

وعمومًا فإن صدام كان حريصًا على إدامة الصلات بالولايات المتحدة عبر مكتب رعاية المصالح الأمريكية في بغداد الذي استمر بعمله وإن كان رئيسه أقل من درجة سفير، مثلًا كانت رسالة من صدام إلى كيسنجر يطلب فيها رأيه باتفاقية آذار - بعد توقيعها وإعلانها - وكان رد كيسنجر أن الخلاف الحدودي بين البلدين قضية لا تعني الولايات المتحدة لكنها بشكل عام ترحب بتحسن العلاقات بين البلدين, وتأمل بحل سلمي للقضية الكردية، كما يلفت النظر أيضًا زيارة قام بها ديفيد روكفلر الذي كان رئيس بنك تشيس مانهاتن - أكبر مصارف أمريكا وربما العالم - إلى العراق بمعية ضابط المخابرات الأمريكي المتقاعد والشهير آرتشي روزفلت، وفي هذه الزيارة كان روكفلر يرغب بلقاء صدام لكن الأخير اعتذر وأرسل

عدنان الحمداني وفخري قدوري وغيرهم من معاونيه الاقتصاديين, مما عُدَّ إشارة أخرى تفيد بأن صدام يرغب باستمرار الاتصالات مع الولايات المتحدة لكنه متحفظ في إعادة العلاقات الدبلوماسية أو في اللقاء المباشر بينه وبين المسؤولين والمبعوثين الأمريكيين.[19]

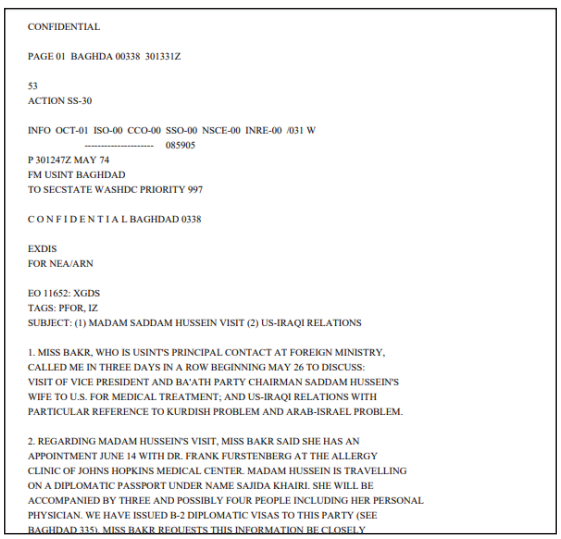

CONFIDENTIAL

PAGE 01 BAGHDA 00338 301331Z

53
ACTION SS-30

INFO OCT-01 ISO-00 CCO-00 SSO-00 NSCE-00 INRE-00 /031 W
---------- 085905
P 301247Z MAY 74
FM USINT BAGHDAD
TO SECSTATE WASHDC PRIORITY 997

C O N F I D E N T I A L BAGHDAD 0338

EXDIS
FOR NEA/ARN

EO 11652: XGDS
TAGS: PFOR, IZ
SUBJECT: (1) MADAM SADDAM HUSSEIN VISIT (2) US-IRAQI RELATIONS

1. MISS BAKR, WHO IS USINT'S PRINCIPAL CONTACT AT FOREIGN MINISTRY, CALLED ME IN THREE DAYS IN A ROW BEGINNING MAY 26 TO DISCUSS: VISIT OF VICE PRESIDENT AND BA'ATH PARTY CHAIRMAN SADDAM HUSSEIN'S WIFE TO U.S. FOR MEDICAL TREATMENT; AND US-IRAQI RELATIONS WITH PARTICULAR REFERENCE TO KURDISH PROBLEM AND ARAB-ISRAEL PROBLEM.

2. REGARDING MADAM HUSSEIN'S VISIT, MISS BAKR SAID SHE HAS AN APPOINTMENT JUNE 14 WITH DR. FRANK FURSTENBERG AT THE ALLERGY CLINIC OF JOHNS HOPKINS MEDICAL CENTER. MADAM HUSSEIN IS TRAVELLING ON A DIPLOMATIC PASSPORT UNDER NAME SAJIDA KHAIRI. SHE WILL BE ACCOMPANIED BY THREE AND POSSIBLY FOUR PEOPLE INCLUDING HER PERSONAL PHYSICIAN. WE HAVE ISSUED B-2 DIPLOMATIC VISAS TO THIS PARTY (SEE BAGHDAD 335). MISS BAKR REQUESTS THIS INFORMATION BE CLOSELY

حرب إيران

مالت إدارة رونالد ريغان نحو بغداد، إذ قدمت معلومات استخباراتية عن ساحة المعركة استُخدِمت لشن هجمات قاتلة بغاز السارين على القوات الإيرانية، كما تشير بعض المصادر, وفي الوقت نفسه، قام البيت الأبيض بشكل غير قانوني بتهريب الأسلحة كجزء مما أصبح فيما بعد قضية إيران-كونترا، ويُقال إن كيسنجر قال عن إيران والعراق: "من المؤسف ألا يخسرا كلاهما".

كما أن ريموند تانتر، الذي عمل في مجلس الأمن القومي، أفاد أنه في مؤتمر صحفي حول السياسة الخارجية للمرشح الرئاسي الجمهوري رونالد ريغان في أكتوبر 1980، أشار كيسنجر إلى أن(استمرار القتال بين إيران والعراق كان أمرًا مفروغًا منه في المصلحة الأميركية)، بعد أن راهن (وخسر) على الشاه، أصبح كيسنجر يأمل الآن في تحقيق أقصى استفادة من حرب سيئة، ونصح ريغان الولايات المتحدة "بأن تستفيد من الأعمال العدائية المستمرة."[20]

وقد ذكَّر ألكساندر هيك - وزير الخارجية الأمريكي- الطرفين المتحاربين أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح لأي منهما أن يُعرِّض أمن ملكيات الخليج للخطر. أما بالنسبة إلى هنري كيسنجر، الذي سيخدم مستشارًا للإدارة الأمريكية الجديدة، أدرك وبسرعة أن هذه الحرب ستحمل فوائد كبيرة لأمن الكيان الإسرائيلي وتحييدها بين أشرس عدوين لها، والأفضل لها أن تتجه نحو سوريا حليف الاتحاد السوفييتي، وحتى ذكر "أنه من المخجل أن يكون هناك خاسر واحد فقط"[21].

في برقية تعود لعام, 1974 وهي برقية موجهة من كيسنجر ومؤرخة في أيار من ذلك العام - عندما كان كيسنجر وزيرًا للخارجية- إلى مكتب رعاية المصالح الأمريكية في بغداد، إذ كانت العلاقات مقطوعة منذ حرب حزيران, 1967 ومعنونة بـ: زيارة زوجة صدام حسين للولايات المتحدة. وفي البرقية يطلب كيسنجر من قسم رعاية المصالح الأمريكية في العراق إبلاغ وزارة الخارجية العراقية بأن السلطات الأمريكية ستوفر الأمن والمساعدة الضرورية لزوجة صدام خلال رحلة علاجها في الولايات المتحدة، كما يطلب كيسنجر أن يستفهم القسم من الخارجية العراقية إن كانت زوجة صدام ترغب بلقاء أي من زوجات المسؤولين الأمريكيين. انظر الوثيقة التالية[22]:

PAGE 01 STATE 115408

53
ORIGIN SS-10

INFO OCT-01 ISO-00 /011 R

66603
DRAFTED BY: NEA/ARN:STRONG
APPROVED BY: NEA/ARN:DAKORN
S/S-O: P. SARROS
NEA - MR. BUTCHER
---------- 128734
O 031512Z MAY 74
FM SECSTATE WASHDC
TO USINT BAGHDAD IMMEDIATE

C O N F I D E N T I A L STATE 115408

EXDIS

FOLL REPEAT STATE 115408 ACTION BEIRUT 01 JUN 74 QUOTE

C O N F I D E N T I A L STATE 115408

EXDIS

E.O. 11652: XGDS
TAGS: PFOR, IZ
SUBJECT: MADAM SADDAM HUSSEIN'S VISIT TO U.S.

REF: BAGHDAD 338
BEIRUT PASS BAGHDAD
1. YOU MAY ASSURE FOREIGN MINISTRY THAT WE WILL GIVE MADAM HUSSEIN ALL POSSIBLE ASSISTANCE AND WILL PROVIDE APPROPRIATE SECURITY COVERAGE FOR HER. WE WILL NEED TO KNOW AS SOON AS POSSIBLE TRAVEL INFO AND NAMES OF THOSE ACCOMPANYING.

2. AT YOUR DISCRETION, YOU MAY ASK FOREIGN MINISTRY IF MADAM HUSSEIN HAS ANY SPECIAL DESIRES FOR ACTIVITIES OTHER THAN MEDICAL TREATMENT WHILE IN THIS COUNTRY. (FYI. CONFIDENTIAL

CONFIDENTIAL

PAGE 02 STATE 115408

Declassified/Released US Department of State EO Systematic Review 30 JUN 2005

مـع نهايـة الحـرب البـاردة، وجـد كيسـنجر نفسـه تحـت المجهـر العـام. تـم التقـاط تقريـر New Republic لعـام 1992 عـن شـركة الاستشـارات الدوليـة كيسـنجر التـي أسسـها كيسـنجر عـام 1982، مـن خلال برنامـج "60 دقيقـة" علـى شـبكة سـي بـي إس. أثـار كل مـن المقـال والتقريـر التلفزيونـي تسـاؤلات حـول تضـارب المصالـح المحتمـل لكيسـنجر. وضـع كيسـنجر كمستشـار للحكومـة الصينيـة وجهـود شـركته الاستشـارية، في أعقـاب الحـرب الإيرانيـة- العراقيـة، لجمـع الأمـوال لنظـام صـدام حسـين العراقـي المثقـل بالديـون، أصبحـت تحـت المجهـر[23].

حرب 1991

أمـام العديـد مـن الغـزوات التـي سـمح بهـا أو خطـط لهـا, مثـل غـزو إندونيسـيا في تيمـور الشـرقية، وغـزو باكسـتان في بنغلاديـش، وغـزو الولايـات المتحـدة الأمريكيـة في كمبوديـا، وغـزو فيتنـام الجنوبيـة في لاوس، وغـزو جنـوب أفريقيـا في أنغـولا, اتخـذ هنـري كيسـنجر موقفـه أوائـل آب 1990، عندمـا أرسـل صـدام حسـين الجيـش العراقـي إلـى الكويـت، إذ أدان هـذا الفعـل.

سـابقًا عندمـا كان في منصبـه، وبعـدّه مستشـارًا ومحـللًا خاصًّـا، فقـد روَّج لفكـرة أن عـراق صـدام يمكـن أن يكـون بمثابـة ثقـل مـوازن لإيـران، لكـن لاحقًـا صـرَّح بأنـه يجـب التراجـع عـن ضـم الكويـت.[24]

ومـن أواخـر تشـرين الثانـي حتـى أوائـل كانـون الثانـي 1991، عُقِـدت أكثـر مـن اثنتـي عشـرة جلسـة اسـتماع للجنـة القـوات المسـلحة في مجلـس الشـيوخ، ولجنـة العلاقـات الخارجيـة، إذ بـرز مناصـرون لمجموعـة واسـعة مـن المواقـف، بينهـم هنـري كيسـنجر، وروبـرت ماكنمـارا, ومسـؤولون في الإدارة, وجـرى التقـدم بعـدد كبيـر مـن الشـهادات بشـأن نظـام العقوبـات المعمـول بـه منـذ أربعـة أشـهرعلى العـراق إثـر دخولـه الكويـت، إذ شـكك أعضـاء في الكونغـرس في ادعـاء الإدارة بـأن التدخـل العسـكري بـات مطلوبًـا الآن[25].

حرب العراق 2003

كتـب هنـري كيسـنجر مقالـة تحـت عنـوان Our Intervention In Iraq عـام 2002 وقبـل الحـرب, قـال فيهـا بأنـه يتعيـن علـى الإدارة الأمريكيـة أن تكـون مسـتعدة لإجـراء نقـاش وطنـي، وذلـك لأن الحجـة لصالـح إزالـة قـدرة العـراق علـى إنتـاج أسـلحة الدمـار الشـامل قويـة للغايـة، ويقـول: إن(التهديـد الإرهابـي يتجـاوز الدولـة القوميـة، فهـو مسـتمد إلـى حـد كبيـر من الجماعـات العابـرة للحـدود الوطنيـة، التـي إذا امتلكـت أسـلحة الدمـار الشـامل، فإنهـا يمكـن أن تلحـق أضـرارًا كارثيـة حتـى لا يمكـن إصلاحهـا)، ويقـول: (إن الإطاحـة بالنظـام العراقـي، وعلـى أقـل تقديـر، إزالـة أسـلحة الدمـار الشـامل التـي يمتلكهـا، مـن شـأنها أن تـؤدي إلـى عواقـب سياسـية مفيـدة. .. ومـن الممكـن أن يشـجع ذلـك نهجًـا جديـدًا في سـوريا، ويعـزز القـوى المعتدلـة في المملكـة العربيـة السـعودية، ويضاعـف الضغـوط مـن أجـل التطـور الديمقراطـي في إيـران، ويثبـت للسـلطة

> أن العراق وقع ضحية الفهم الأمريكي في التعامل الخاطئ مع مجتمعه وتركيبته، وما زال العراق يعاني من إرث مرحلة الحاكم المدني بول بريمر وهو من الدبلوماسيين الذين رعاهم كيسنجر.

الفلسطينية أن واشنطن جادة في التغلب على الأنظمة الاستبدادية)[26].

وبعد دخول الولايات المتحدة وحلفائها العراق عام ٢٠٠٣، عقد كيسنجر اجتماعات مع الرئيس الأميركي الأسبق، جورج بوش الابن، ونائبه، ديك تشيني، لتقديم المشورة لهما بشأن السياسة هناك، حسبما ذكرت «بي بي سي"، وقال لهما إن «الانتصار على التمرد هو استراتيجية الخروج الوحيدة". وفي حديثه عن الحرب في العراق على وجه التحديد، قال كيسنجر لصحيفة «نيويورك تايمز»، بعد ذلك بعام, إن بوش «أراد تحويل العراق إلى نموذج لإمكانية التطور الديمقراطي داخل العالم العربي»[27].

ويبدو أن العراق وقع ضحية الفهم الأمريكي في التعامل الخاطئ مع مجتمعه وتركيبته، وما زال العراق يعاني من إرث مرحلة الحاكم المدني بول بريمر وهو من قدماء الصقور في الخارجية الأمريكية، ومن الدبلوماسيين الذين رعاهم هنري كيسنجر، وقد عمل في الماضي مديرًا تنفيذيًّا لمؤسسة كيسنجر Kissinger Associates، وكان كيسنجر ذاته يرى أن بريمر[28]سوف يساعد الولايات المتحدة الأمريكية

على ترتيب العلاقة بين الحاجة إلى النظام والتطور الذي سيحدث في العراق[29].

وقال كيسنجر لاحقًا: إن الانسحاب المتسرع من العراق سيكون له "عواقب كارثية"، وقال: إن الولايات المتحدة ربما يتعين عليها أن ترسم طريقًا بين النصر العسكري والانسحاب الكامل، قائلًا "إذا قمت بسحب جميع القوات دون أي تفاهم دولي ودون أي حل جزئي لبعض المشاكل، فإن الحرب الأهلية في العراق سوف تتخذ أشكالًا أكثر عنفًا وتحقق أبعادًا ربما تتجاوز تلك التي جلبتنا إلى يوغوسلافيا بالقوة العسكرية"[30].

وبعد الانسحاب الأمريكي عام 2011، يرى كيسنجر مع أحداث سيطرة داعش على العراق وسوريا نموذج لفشل الدولة دون الاعتراف بالتقصير الأمريكي, ويقول: (تغدو سورية والعراق، وقد كانتا ذات يوم رائدتي الحركة القومية بالنسبة إلى البلاد العربية, عاجزتين عن إعادة لملمة نفسيهما بوصفهما دولتين وستفاليتين، فمع سعي زمرها المسلحة المتقاتلة للحصول على دعم طوائف مماثلة عبر المنطقة وخارجها، لا بد لصراعهما من أن يعرض تماسك سائر البلدان المجاورة للخطر، وإذا باتت جملة دول متلاصقة في قلب العالم العربي عاجزة عن إقامة نظام حكم شرعي وتحكم مطرد على حدودها، فإن من شأن التسوية الإقليمية الشرق أوسطية لما بعد الحرب العالمية الأولى أن تكون قد وصلت إلى محطة أخيرة(.

ويقول: (لقد أصبح الصراع في سورية والعراق والمساحات المحيطة رمزًا لتوجه مشؤوم جديد تحلل كيانات الدول وتفككها إلى وحدات قبلية، عشائرية، طائفية ومذهبية، بعضها عابرة للحدود الموجودة، في صراع عنيف فيما بينها أو متلاعب بها من قِبَل زمر خارجية متنافسة بعيدة عن مراعاة أي قواعد مشتركة سوى قانون القوة المتفوقة, وهي ربما الحالة التي كان هوبز قد اعتبرها الحالة الطبيعية، أو حالة الطبيعة)[31].

تحليل سلوك كيسنجر

- لا تختلف عقيدة كيسنجر في ملف العراق عن بقية الملفات الدولية التي تعامل معها.

- يعزز كيسنجر رأيه في احتقار دور الرأي العام في رسم السياسة الخارجية، إذ يعود إلى رؤيته للتاريخ، فالتاريخ يصوغه القادة وليس البشر, ووجهة نظر هؤلاء لا تثبت على حال, فكان تشمبرلين بطلًا أوربيًّا ولكنه ما لبث أن أصبح فردًا تُصَب عليه اللعنات وتُوجَّه إليه أشد عبارات النقد واللوم كما يعتقد.

- نظرية كيسنجر في السلام، تتمثل في قول كيسنجر أثناء معالجته لموضوع فيتنام: إننا نهدف إلى الحصول على سلام دائم وشامل. . فما نفعله في فيتنام يجب أن يقيم بحجم أكبر من فيتنام نفسها، والتاريخ يحدثنا، بأن الشعوب لا تغفر لقادتها الذين يجلبون الدمار لها, حتى لو كان ما فعلوه تحقيقًا لأمانيها وعاملًا من عوامل إرضائها.[32]

- لقد أولى كيسنجر اهتمامًا ضئيلًا للاعتبارات الإنسانية، ولم يؤمن بأن حقوق الإنسان، أو الحاجة إلى الحفاظ على حياة الأبرياء، أو احترام القانون الدولي أو الداخلي، ينبغي أن يمنع قوة عظمى من السعي وراء تلبية مصالحها الأنانية، إذ إن من الواضح أن كيسنجر قرأ كتاب (الأمير) لمكيافيللي، الذي يعلمنا أنه كي يحافظ الأمير على النظام يجب أن يتعلم كيف أن لا يكون صالحًا[33].

- مثل موقفه كذلك من حرب الولايات المتحدة في فيتنام التي عارضها الواقعيون البارزون, مثل جورج كينان، وكينيث والتز، ووالتر ليبمان، وأيدها كيسنجر قبل انضمامه إلى الحكومة، وأطال أمدها أثناء وجوده في منصبه، على الرغم من أنه أدرك أيضًا أنه لا يمكن كسب تلك الحرب، وكذلك يمكن قياس حربه على العراق عام 2003 التي دعمها كيسنجر قبل أن تبدأ، واستمر يدعمها لسنوات بعد ذلك.

Endnotes

1 بثينة شعبان، حافة الهاوية وثيقة وطن الرواية التاريخية لمباحثات حافظ الأسد وهنري كيسنجر، مكتبة بيسان، بيروت، 2017، ص130.

2 مارتن إنديك، سيد اللعبة هنري كيسنجر وفن دبلوماسية الشرق الأوسط، ترجمة ياسر محمد صديق، دار نهضة مصر القاهرة ، 2022، ص51.

3 Stephen M. Walt, Solving the Mystery of Henry Kissinger's Reputation The former secretary of state is a genius—just not at what you might think, JUNE 9, 2023,at: https://foreignpolicy.com/2023/06/09/henry-kissinger-birthday-reputation-foreign-policy/

4 Chip Gibbons, Kissinger in the Gulf, at: https://jacobin.com/2023/11/kissinger-in-the-gulf

5 Report on the Visit of Saddam Hussein to the USSR," February 24, 1972, History and Public Policy Program Digital Archive, Translated for CWIHP by Daniel Rozas. http://digitalarchive.wilsoncenter.org/document/121072

6Bryan R. Gibson, optic, p 118.

7 Ibid, p 119.

8 ماريانا خورداكي، الكورد والسياسة الخارجية الأمريكية العلاقات الدولية في الشرق الأوسط منذ 1945، ترجمة خليل الجيوسي، دار الفارابي، دار آراس، بيروت، أربيل، 2013، ص 297.

9 المصدر نفسه، ص 298.

10 عمار علي السمر، شمال العراق 1958 – 1975 دراسة سياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2012 ، ص 423.

11 Bryan R. Gibson, optic, p 163.

12 هنري كيسنجر سنوات التجديد، ترجمة د. هشام الدجاني، ط2، مكتبة العبيكان، دار كلمة، أبو ظبي- الرياض، 2010، ص 523.

13 المصدر نفسه، ص 524.

14 Bryan R. Gibson, optic, p 187.

15 Bryan R. Gibson, optic, p 181.

16 Ibid, p 189.

17 انظر: الاستراتيجية الجديدة للحزب الديموقراطي الكردستاني، مركز البحوث والمعلومات مجلس قيادة الثورة محدود التداول، ص ١٠6.

18 See: National Security Archive Publishes Digitized Set of 2,100 Henry Kissinger "Memcons" Recounting the Secret Diplomacy of the Nixon-Ford Era, at: https://nsarchive2.gwu.edu/NSAEBB/NSAEBB193/#1

19 رياض محمد، كيسنجر وصدام: استنتاجات أولية، والوثائق نقلًا عن: https://wikileaks.org/plusd/?qproject%5B%5D=ps&qproject%5B%5D=cc&qproject%5B%5D=fp&qproject%5B%5D=ee&qproject%5B%5D=cg&q=Kissinger+Saddam#result

20 Greg Grandin, Kissinger poisoned the Middle East: America is living in a quagmire of his making, SEPTEMBER 30, 2015, at: https://www.salon.com/201530/09//kissinger_poisoned_the_middle_east_america_is_living_in_a_quagmire_of_his_making_partner/

21 بيير رازو، الحرب العراقية - الإيرانية، ترجمة: فلاح حسن الأسدي، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2023، ص 118.

22 وثائق ويكليس نقلًا عن رياض محمد، كيسنجر وزوجة صدام، رابط الوثائق
https://wikileaks.org/plusd/cables/1974STATE115408_b.html?fbclid=IwAR1t1z9vSCnSYZCzyLImVTkHC0IUpsxLxtWfA7xSUNC_HMTQa1nyjNvex60_aem_ARUxeFryGXJ0DshXhWIQkEJUI9JkQiW78l6i9TDjCmuLN5i9CAvBvQS8Eq-In-XS3_g

Alex Hobson, Henry Kissinger's Great Escape, 23 December 4, 2023, at: https://newlinesmag.com/argument/henry-kissingers-great-escape

Greg Grandin, How Henry Kissinger Helped Make 24

Endless War an All-American Tradition, NOVEMBER 9, 2015, at: https://inthesetimes.com/article/henry-kissinger-greg-grandin-us-military-air-power

25 جوي غوردن، الحرب الخفية أمريكا والعقوبات على العراق، ترجمة عبد الرحمن أياس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2018، ص -196 197.

26 Henry A. Kissinger, Our Intervention In Iraq, Washington post, August 12, 2002.

27Nancy Benac, Henry Kissinger was a trusted confidant to President Nixon until the bitter, bizarre end, November 30, 2023,at: https://apnews.com/article/kissinger-obit-a-life-secretary-of-state-d760662fa0b911ed86333c219cee77e8

28 يُقال إن رامسفيلد قد اختاره بناءً على علاقته بكيسنجر, وقد وصف كيسنجر بريمر بأنه مهووس بالسيطرة.

29 جيف سميونز، عراق المستقبل السياسة الأمريكية في إعادة تشكيل الشرق الأوسط ، ترجمة سعيد العظم ، دار الساقي، بيروت، 2004، ص412.

30 Brian Knowlton, Kissinger Says Victory in Iraq Is Not Possible, Nov. 19, 2006, at: https://www.nytimes.washington/19cnd-policy.html/19/11/com/2006

31 هنري كيسنجر، النظام العالمي تأملات حول طلائع الأمم ومسارات التاريخ، ترجمة د. فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، 2015، ص144.

32 أمين هويدي، كيسنجر وإدارة الصراع الدولي فييتنام. الوفاق الدولي، أيلول الأسود، حرب أكتوبر73، دار الموقف العربي، ط2، القاهرة، 1986، ص141.

33 Stephen M. Walt, Was Henry Kissinger Really a Realist? December 5, 2023, at: https://foreignpolicy.com/202305/12//was-henry-kissinger-really-a-realist/

أجرى الحوار: منى سامي

مجلة حوار الفكر تحاور وزير الداخلية

الفريق الركن عبد الأمير كامل الشمري

بعد عام 2003، شكل الملف الأمني تحديًّا كبيرًا للحكومات العراقية المتعاقبة؛ بسبب المخاطر الناجمة عن المواجهة مع الإرهاب, فضلًا عن السلاح المنفلت والنزاعات العشائرية التي تُعَدُّ تهديدًا حقيقيًّا للسلم المجتمعي.
وفي ظل تعدد الأجهزة الأمنية والاستخباراتية في البلاد وتداخل المهام، تتجه الأنظار لتسلم وزارة الداخلية الملف الأمني بشكل كامل في المحافظات, الأمر الذي يساهم في ضبط الاستقرار في البلاد, وينهي ظاهرة التواجد العسكري المكثف.
كما شكلت ظاهرة التغير المناخي في البلاد أزمة أمنية أخرى مع تزايد حالات نزوح العوائل من منطقة إلى أخرى مما يحتم على الجهات الأمنية المختصة تتبع ومراقبة تلك العوائل.
هذه المواضيع وغيرها المتعلقة بالأوضاع الأمنية وضعتها مجلة «حوار الفكر» على طاولة معالي وزير الداخلية السيد الفريق الركن عبد الأمير الشمري؛ ليجيب عليها.

وإلى نص الحوار

حوار الفكر: السيد معالي وزير الداخلية كيف تشاهد الاختلاف الكمي والنوعي من منطقة إلى أخرى بتغير المناخ واختلاف الجرائم في العراق باختلاف المناخ؟

الوزير: الشكر والتقدير للقائمين على مجلة حوار الفكر، والحقيقة بخصوص مستوى الجرائم الجنائية أو الإرهابية، لا يخفى على الجميع التغيرات المناخية فيها جوانب تؤدي إلى انعكاسات على الأمن الغذائي, وانخفاض فرص العمل, وهجرة قسم من المناطق إلى مناطق أخرى, جراء التغير المناخي في العراق في السنوات الثلاثة الماضية تأثرًا كبيرًا وبالتحديد في مناطق محافظة ذي قار وميسان والبصرة والمثنى وكذلك محافظة الديوانية. هذا التغير المناخي أثر وسبب بانخفاض منسوب المياه في الأنهار والأهوار ومناطق أهوار الجبايش في محافظة ذي قار وأهوار الشرقية في محافظة ميسان, وهذا التأثير خلف هجرة قرى بأكملها باتجاه محافظات محددة, كمحافظة النجف وكربلاء وبغداد, باعتبار هذه المحافظات جاذبة, وفيها فرص عمل، والتأثير الآخر هو انخفاض مستوى المياه, الأمر الذي دعا وزارة الموارد المائية القيام بتجفيف أو ردم بحيرات تربية الأسماك غير المجازة بشكل رسمي, لوجود أعداد كبيرة من هذه البحيرات بعد عام 2003, خاصة في مناطق شمال العراق ومناطق المدائن وجنوب بغداد والقريبة على الأنهر وكذلك محافظة صلاح الدين، بعدما قام عدد من المواطنين بأخذ مساحات كثيرة وتركوا الزراعة وبدأوا العمل بتربية الأسماك، وطبعًا أسبابها الهجرة وانعدام فرص العمل والهجرة إلى أماكن أخرى, مثلًا في محافظة كربلاء المقدسة والنجف الأشرف, كما مثبت في وزارة التخطيط, ويختلف عن الواقع الحالي؛ كون المناطق مناطق عشوائية نتيجة الهجرة إلى كربلاء والنجف وكذلك في بغداد.

وهذه الهجرة بالإمكان القول أصبح الشباب بدون عمل, وقسم منهم يعملون على قضايا عمل يومي أو الأجرة، وبدأت تظهر بعض الجرائم الجنائية في هذه المناطق.

حوار الفكر: معالي الوزير كيف تربط بين نوع الجريمة وعددها والنزوح والهجرة أو تغيير المناطق من منطقة إلى أخرى, وهل يُعَدُّ الوجود الأمني مؤشرًا لديكم في مناطق أخطر؟

الوزير: نحن لا نستطيع أن نقول إن هذه القرى هي سبب الجرائم، فمثلًا كانت في مناطق الأهوار جنوب العراق أغلب الشباب يعيشون على اصطياد الأسماك وقضايا العمل، وعندما يذهبون باتجاه المدينة لا يجدون فرص العمل وإنما يبحثون عن التعيين ولو بصفة عقد أو بصفة عامل يومي، وبالنتيجة هذا يخلق جوًّا ليس فقط بقضايا المخدرات، إذ إن أكثر المناطق تكثر فيها الجرائم هي مناطق عشوائية ومناطق السكن الجديدة, ونحن بحاجة إلى بناء مراكز شرطة تعزز القوات الأمنية, وبالتأكيد نحن لدينا موقف شهري جنائي للمناطق التي تتصاعد فيها الجرائم الجنائية, ويجب أن يكون هنالك إجراء أو يوجد تحليل جنائي يحدد، وقد يكون في منطقة أشر فيها بشكل كبير وزيادة العدد، نحن كوزارة لدينا مقياس لكل مواطن وعدد مراكز الشرطة يتطلب استحداث مراكز وأقسام جديدة.

حوار الفكر: بخصوص التنسيق مع الوزارات المعنية لأنه في السنوات السابقة كان هناك اهتمام قليل من قِبَل وزارة الداخلية في البيئة والمناخ, وهذا شيء نراه في الحكومات السابقة منذ عام 2003 ولحد الآن يشتكي موظفو وزارة البيئة بخصوص عدم الاستجابة من أفراد وزارة الداخلية بشأن التجاوزات الحاصلة في مجال البيئة؟ هل لديه خطة لهذه المشكلة في المستقبل أو الآن؟

الوزير: لدينا شرطة البيئة التابعة لمديرية الدفاع المدني. أما بالنسبة للتجاوزات, دائمًا ما تحصل هذه التجاوزات على الأنهر, ونتعامل مع وزارة الموارد

> وزير الداخلية : في حرب العصابات استغل داعش المناطق المشجرة والمناطق التي تكون فيها الطبيعة الجغرافية تمنع الجهات الأمنية الوصول إليها.

المائية برفع هذه التجاوزات, ودائمًا تحصل أثناء المواسم الزراعية خصوصًا خلال فترة زراعة الحنطة والشعير والشلب, ويتم التنسيق مع وزارة الموارد المائية, وبالنسبة لوزارة البيئة لدينا تنسيق, وكذلك من قِبَل شرطة البيئة, ولدينا مبادرة تشجير كون توجيه السيد رئيس مجلس الوزراء كان لكل الوزارات أن تكون لديها مبادرات في تشجير المساحات بما يمكن للمناطق المفتوحة.

حوار الفكر: المعارك مع داعش جعلتنا نخسر كثيرًا, منها خسارة مساحات خضراء في عموم المناطق المحررة, وكذلك الحال في تجريف البساتين. هل تعمل وزارة الداخلية على الحد من هذه الظاهرة, خصوصًا ونحن نشهد تحويل الأراضي الزراعية إلى سكنية ما هو دور وزارتكم؟

الوزير: واضح لدى الجميع أنه في حرب العصابات، استغل داعش المناطق المشجرة والمناطق التي تكون فيها الطبيعة الجغرافية تمنع الجهات الأمنية الوصول إليها، والكثير من الجزرات الموجودة الأكثر كانت عامرة بالأشجار اضطررنا إلى تجريفها.

هذه المناطق تكون مأوى للعناصر الإرهابية, وتؤثر على السكان الموجودين في هذه المنطقة في صلاح

الدين ونينوى, وهذه الجزرات كانت محمية بالتأكيد. هذا تأثير, وإن الشكاوى كانت تأتي من السكان بوجود داعش ضمن هذه الجزرات مما أجبر القوات الأمنية على تجريفها، وطلبنا بعد ذلك من محافظ صلاح الدين ومحافظ نينوى بأن هذه المناطق يجب أن يتم توزيعها للمواطنين لغرض الزراعة والمحاصيل الزراعية, وكانت هناك استجابة من قِبَل المحافظين بهذا الخصوص، ولكن هناك بعض المناطق التي لم يكن فيها تجريف, مثال ذلك في محافظة كركوك منطقة وادي الشام لوجود أشجار طبيعية على الرغم من كثرة الدواعش في هذه المنطقة, وتمت المعالجة من طريق ضربات جوية محددة دون الحاجة إلى تجريف.

حوار الفكر: في حوار سابق أجريناه مع السيد مستشار الأمن القومي قاسم الأعرجي، عن ملف تسليم الأمن من وزارة الدفاع إلى وزارة الداخلية, وقالها نصًّا إن وزير الداخلية متألق, ويجب أن تكون الوزارة مثله متألقة، إلى أين وصل هذا الملف؟

الوزير: شكرًا للسيد معالي مستشار الأمن القومي على هذه الثقة والشهادة التي نعتز بها. كما تعلمون أن موضوع الأمن الداخلي في البرنامج الحكومي، من الأولويات وهو استلام المسؤولية الأمنية من قِبَل وزارة الداخلية, واستلام هذه المسؤولية فيها كثير من المعايير يجب أن تاخذها وزارة الداخلية, في محافظات عديدة من يقود الأمن هي القيادات الأمنية, وأنا كنت قائد عمليات لفترات طويلة.

وبالتالي, إن إدارة العمليات من قِبَل وزارة الدفاع هي قيادة عسكرية أمنية، ونحن في وزارة الداخلية والمواطن يسأل ما هو التغيير من وزارة الدفاع إلى وزارة الداخلية؟. بالتأكيد يجب أن تكون وزارة الداخلية عندما تستلم لديها إجراءات يشعر بها المواطن من خلال انتشار النجدة, وكذلك من خلال الكاميرات والتقنيات الحديثة، ومن خلال تعامل مراكز الشرطة، وهي تكون مسؤولة عن الملف الأمني. نحن كوزارة استلمنا المسؤولية الأمنية في واسط والديوانية والمثنى والنجف وبابل، ومرحلة أخيرة في هذا العام مراكز المدن في ذي قار, وهذه السنة سوف نستلم مراكز المدن في نينوى وصلاح الدين والأنبار, وسوف تكون لبغداد أسبقية, وكذلك ديالى. هذه المناطق تكون قيادات الشرطة هي المسؤولة, وتم إجراء ممارسات في المحافظات الخمس, وتأشر ذلك وفق رؤية مستشارية الأمن الوطني والعمليات المشتركة, أشر بانخفاض في الجرائم, وأن وزارة الداخلية عملت على تعزيز هذه المحافظات بعجلات حديثة وضباط, وكذلك منتسبين.

كذلك قمنا بأتمتة إلكترونية في مراكز الشرطة خلال نهاية السنة الماضية؛ لكي ننهي الاعتماد على النظام الورقي, ويكون هناك اتصال شبكي مع الشرطة ومع القضاء ومع أقسام الشرطة, حتى يطلع وزير الداخلية على الأوراق التحقيقية.

حوار الفكر: هل تشاهد معاليك تحسنًا أمنيًّا في المناطق التي تسلمتها وزارة الداخلية من الدفاع؟

الوزير: هناك تقييم شهري يتم إحالته للسيد رئيس مجلس الوزراء, وهذه المحافظات تشهد استقرارًا أمنيًّا ملحوظًا خلال الفترة الماضية، وبالنتيجة لكي أكون منصفًا هذه المحافظات أساسًا مستقرة، ولكن نحن إدارة الملف الأمني بشكل منعزل خلال الزيارة الأربعينية, وكذلك خلال المناسبات التي مرت في الفترة الماضية كان هناك وضع أمني مستقر, انعكس بشكل إيجابي، وكذلك والسادة المحافظين والإعمار والمشاريع التي نُفِّذت وجذب الاستثمار, وهذه المحافظات التي تُعَدُّ أدنى مستوى من حيث الجرائم الجنائية.

حوار الفكر: بغداد وبعد أن رُفِعت السيطرات من المناطق جعلت المواطن يشعر بالأمان أكثر مع قلة رؤية العناصر العسكرية, وهذه تجربة عظيمة، ونتمنى أن تنتقل هذه التجربة لباقي المحافظات,

وزير الداخلية: التهديد الأمني اختلف الآن والأجهزة الأمنية تفرض قوتها على هذه المدن أمنيًا ومن خلال المعلومات وليس عسكريًا.

وحتى المحافظات المحررة، فهل هناك رؤية بهذا الصدد؟

الوزير: رأينا في محافظة بغداد, وعندما كنت قائدًا لعمليات بغداد عام 2013, التهديد كان يختلف، وكانت هناك مناطق مجاورة كالفلوجة والكرمة تهدد العاصمة بالعجلات المفخخة, وكان التنظيم الإرهابي داعش موجودًا فيها.

الآن التهديد اختلف والجهاز الأمن الوطني والأجهزة الأمنية تفرض قوتها على هذه المدن أمنيًا ومن خلال المعلومات وليس عسكريًا.

إضافة إلى ذلك نحن قمنا بتوسيع شبكة الكاميرات في بغداد, وأضفنا خلال هذه السنة 1000 كامرة, وهذه الكاميرات ذكية, وعملنا على مشروع الإشارة الضوئية الذكية, وسوف تكون في جانب الرصافة خمسة تقاطعات سوف تكمل خلال الأيام القادمة. هذه تكون إشارة ذكية مع كامرة تلتقط, مثال على ذلك الذي لا يرتدي حزام الأمان والمخالفات الأخرى, وهذا لا يتطلب وجود شرطي المرور وإنما الكامره تلتقط الصورة.

حوار الفكر: القرارات التي تتخذها لصالح المنتسبين في شرطة المرور يؤشر إلى أن معاليك قد تبالغ أحيانًا بهذا الاهتمام؟

الوزير: كما تعرفون أننا لا نستطيع أن نتحمل التوقف لمدة خمس إلى عشر دقائق أثناء تنظيم شرطي المرور لحركة السير في التقاطعات، بينما الشرطي ذاته يقف لساعات طويلة, ويكون تحت أشعة الشمس أو الجو البارد، وبالتالي هو إنسان ويكون تحت ضغط نفسي. أنا أثمن رجال المرور رغم كل الظروف. إنهم يمارسون دورهم بشكل جيد, وكل التقاطعات الموجودين فيها دائمًا نشهد فيها انسيابية في الحركة، وكما ذكرت أن الإشارات الذكية سيكون لها دور كبير في حل هذه المشكلة, ولن تكون هناك حاجة لتواجد شرطي المرور في التقاطعات والشوارع.

> وزير الداخلية: الإشارات الذكية سيكون لها دور كبير ولن تكون هناك حاجة لتواجد شرطي المرور في التقاطعات والشوارع.

كما أن هذه الإشارات الذكية سوف تخفف من ظاهرة الازدحامات، وأن حكومة السيد رئيس مجلس الوزراء بدأت بمشروع فك الاختناقات المرورية, وكما تعلمون تجري عملية تنفيذ المشاريع بسرعة، وهذا يتطلب وجود رجال المرور, ودورنا نحن كوزارة

حمايتهم, ولا نسمح لأحد بالاعتداء عليهم, وأنا لا أبالغ في ذلك.

حوار الفكر: إنهاء ظاهرة السلاح المنفلت المتواجد في عموم العراق, كيف تتعاملون مع هذا الملف؟ خصوصًا أن هذا الموضوع في ظل الحرب على غزة اليوم يُعَدُّ بمثابة تهديد على البعثات الديبلوماسية من قِبَل المقاومة الإسلامية؟

الوزير: حصر السلاح بيد الدولة قرار لا بد من تطبيقه، وهناك لجنة عليا برئاسة وكيل الوزارة وبإشرافي شخصيًّا, ومن كل أجهزة الدولة، وهذه اللجنة تعمل وفق استراتيجية, وهذه الاستراتيجية أُقِرت من قِبَل مجلس الأمن الوطني، وفي هذه الاستراتيجية جوانب قسم منها أسلحة المواطنين, وقسم منها أسلحة العشائر, ويجب أن تكون بالكامل تحت سيطرة الدولة.

والاستراتيجية جعلت مراحل لحصر السلاح من 5 - 10 سنوات، وهذه الاستراتيجية تتضمن بما فيها ترميز السلاح, حتى الذي عند الأجهزة الأمنية، وكذلك تسجيل السلاح الذي يكون عند المواطن, وكذلك إغلاق محلات بيع الأسلحة النارية, وإصدار التعليمات بخصوص هويات منح السلاح وحيازة السلاح. كذلك الأسلحة الموجودة لدى دوائر الحكومة وتسليمها إلى وزارة الداخلية, وفي نفس الوقت نحن نشجع المواطنين على تسليم الأسلحة, إما من خلال شرائها أو بطرق أخرى, ولدينا جلسة أخيرة فيها عدد من المقترحات سوف تُعرَض على مجلس الوزراء, مثلًا وجود تخصيص مبالغ مالية تُشجع على تسليم السلاح وتقديم فرص عمل أو تعيين إذا سُلِّم السلاح.

أما بخصوص البعثات الدبلوماسية, نحن كحكومة مسؤولون عن تأمين الأمن لكافة البعثات الدبلوماسية، وهذا واجبنا, ولن نسمح لأي شخص أو جهة أن تهدد أمن البعثات الدبلوماسية، وهي متواجدة بحماية الحكومة.

حوار الفكر: بخصوص المناطق المتنازع عليها في حدود إقليم كردستان. قضاء مخمور تحديدًا الذي يبعد 70 كم عن أربيل، قد يكون متنازع عليه شمالًا بحكومة الإقليم وجنوبًا لحكومة بغداد. تغيير المناخ عن هذا القضاء أدى إلى نزوح البعض منه, وتسبب إلى كثرة الشكاوى من قِبَل المواطنين وزيادة الجرائم، هل تنسقون العمل أمنيًّا مع حكومة الإقليم في تلك المناطق المتنازع عليها أم أنكم تتحملون المسؤولية وحدكم في هذا الأمر؟

الوزير: قضاء مخمور بالكامل تحت سيطرة الحكومة الاتحادية, ولكن توجد سلسلة جبال قضاء قرجوغ, تفصل بين أربيل وبين مخمور، ومع وجود اللاجئين الأكراد, ولكن أغلب سكان القضاء هم سكان مزارعين. وفي الفترة الأخيرة في هذا القضاء يوجد مركز شرطة وقطعات من الجيش في هذا القضاء. والتنسيق موجود في فرقة قيادة 14 في الجيش العراقي, ويوجد تنسيق مع ضباط من قوات البشيمركة والجيش والشرطة العراقية.

هناك رؤية لدى قيادة العمليات المشتركة في المناطق المتنازع عليها, ويوجد لواءان مشتركان, لواء 20 من البيشمركة, وتم تسمية لواء 60 من الجيش العراقي. ومهمة هذه الألوية هي لحماية الحدود بين الإقليم والحكومة الاتحادية, وبالتحديد هذه المناطق لوجود فراغات تصل إلى 10 أو 20 كيلو مترًا.

دول وقضايا

الفريق الركن حسن سلمان خليفة البيضاني

طوفان الأقصى والتوغل الصهيوني

مقارنة عملياتية لمجرى الصراع عسكريًّا

المستخلص

انتفاضة الأقصى ليست حدثًا عابرًا يمكن أن يُسجَّل على لائحة الحوادث التاريخية ثم يتناسى, بل هو أقرب ما يكون إلى الحدث الأهم خلال تاريخ الصراع الصهيوني الفلسطيني؛ كونه أعاد للقضية الفلسطينية مشروعيتها, كما أنه أفرز, وإلى حد كبير, طبيعة القوى المتحكمة بالصراع ذات الطابع الشعبي بعيدًا عن الحكومات المتحكمة بالسياسة في بلدان المواجهة مع الكيان الصهيوني. الصراع العسكري هو في شكله المنظور والخارجي صراع غير متكافئ, إلا أنه ورغم عدم التكافؤ أثبت بأن من يدير دفة الحرب المفتوحة هو من يكون قادرًا على قيادة الصراع بالاتجاه الذي خُطّط له, ولكون هذا الصراع قد حصل في أغلب مراحله في بيئة قتالية مبنية ومأهولة فإنه اتسم بصعوبات بالغة سواء للمدافع أو المهاجم, إذ تبقى القتالات الخاصة في مثل تلك المناطق ذات الطبيعة التخصصية عصية على من لا يمتلك إرادة القتال أو الدافعية القتالية.

المقدمة

الانعطافة الحاسمة التي أحدثتها أحداث فجر السابع من تشرين الأول 2023, المتمثلة بانطلاق ساعة الصفر لعمليات طوفان الأقصى, تلك العمليات التي بعدما تجاوزت القوات المخصصة لتنفيذ خطوط الشروع المحددة لها مسبقًا بموجب الخطة الموضوعة حتى بات كل ما هو سائد ضمن الحدود الإقليمية

خاضع لمتغيرات حادة, فنظرية الأمن الصهيونية لم تعد سوى وثيقة يمكن للصهاينة الاحتفاظ بها كجزء من ماضٍ عسكري تغنوا به كثيرًا, وكل محاضر مؤتمرات هرتسيليا يفترض بها أن تُحرَق, فكل ما دار في هذه المؤتمرات, وما تم اتخاذه من قرارات, ذهب أدراج الرياح تحت أقدام أولئك الرجال الذين مثلوا الموجة الأولى وما تلاها من موجات وهم يعبرون خطوط العدو المؤَمَّنة تقنيًّا واستخباريًّا وبشريًّا إلى العمق الصهيوني, محدثين صدمة لاتزال الاستخبارات العسكرية الصهيونية (أمان) غير قادرة على استيعابها, في الوقت الذي بات الموساد بكل ماضيه الذائع الصيت مجرد جهاز متضخم غير قادر على التنبؤ ولو بمقدار واحد بالألف بما حصل.

مجرى الصراع بين طرفي المعادلة العسكرية لا يمكن مقارنتهما من حيث القدرات والإمكانيات المادية والتقنية العسكرية والتحالفات الإقليمية والدولية, فجيش الكيان الصهيوني يُعَدُّ من الأرقام الصعبة بالقياسات المعتمدة, إذ يحتل هذا الجيش المركز(17) في تصنيف الجيوش عالميًّا لعام 2024, حسب تصنيف مركز(كلوب فاير بأور), متقدمًا على كل الجيوش العربية, عدا الجيش المصري الذي يحتل المركز(15) في ذات التصنيف. ويمتلك من مقومات القوة ما لم يمتلكها الغالبية العظمى من الدوار المحيطة بالكيان, وقاعدته التصنيعية التي تجعله قادرًا على تلبية المتطلبات العسكرية ومستلزمات استمرار القتال لفترة طويلة, كما أن له امتدادات تتسع لتشمل الغالبية العظمى من دول أوربا الغربية وكل إمكانيات الولايات المتحدة العسكرية المسخرة لخدمته, في المقابل نجد أن فصائل المقاومة الفلسطينية هي أقرب ما تكون إلى تنظيمات شبه مسلحة تعتمد على إمكانياتها الذاتية في تطوير قدراتها القتالية مع دعم مقيد بحكم الوضع الجيوبولتيكي لفلسطين من قِبَل دول الممانعة والرفض لوجود الكيان الصهيوني, والمتمثلة بإيران واليمن وفصائل المقاومة الإسلامية في العراق. فضلًا

مجرى الصراع بين طرفي المعادلة العسكرية لا يمكن مقارنتهما من حيث القدرات والإمكانيات المادية والتقنية العسكرية والتحالفات الإقليمية والدولية.

عن الإرادة والإصرار المتأتية من شعور الشعب الفلسطيني بالظلم الذي لحق به جراء الاحتلال الصهيوني والعمليات المسلحة التي أودت بحياة أكثر من (100) ألف فلسطيني وجرح (330) ألف وتشريد مئات الآلاف وفق الإحصائيات الرسمية المعلنة من قِبَل الجانب الفلسطيني.

كثيرة هي الجوانب التي تتطلب الوقوف أمامها ودراستها عن كثب, فهذه المواجهة التي تجاوزت وفق الحسابات الزمنية المائة يوم والتي يزداد فيها مع كل يوم يمر من معدل الخسائر في جيش الكيان الصهيوني حملت بين دفتيها رياح التغيير في الكثير من الثوابت العسكرية, فالإبداع الذاتي والقدرات الخلاقة للمجاميع المقاتلة من فصائل المقاومة أجبرت العدو, ولمرات عديدة, على الانسحاب من مناطق أعلن عن سيطرته الكاملة والمطلقة عليها, كما أنها استطاعت أن تحيل الغالبية العظمى من الآلة العسكرية الصهيونية إلى ركام باستخدام أسلحة قد لا تمتلك تقنيات متطورة كالتي يمتلكها جيش الكيان الصهيوني, إلا أن أسلوب استخدامها منحها قدرات تدميرية مضاعفة, لذلك فإن الخوض في الجوانب المتعلقة بإدارة العمليات العسكرية في المناطق المبنية, لا سيما المأهولة منها

أو إجراء مقارنة بين طرفي الصراع, قد يحتاج إلى فهم لأمور ليس من السهل إدراك تأثيرها على سير العمليات العسكرية وفي مقدمتها ما يمكن أن نطلق عليه إرادة القتال والاندفاع العقائدي المتصاعد.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية مثل هذه الدراسات في أنها تحاول أن تستجلي الواقع القائم عسكريًّا في خضم تصاعد الصراع دون التريث لحين حسم النتائج, وفي التالي فهي أقرب ما تكون إلى قراءة متجددة لصراع ذي طبيعة غير متكافئة.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى التركيز على ما يلي:

1. مدخلات ومخرجات عملية طوفان الأقصى في يومها الأول.
2. محددات القتال في المناطق المبينة مع تبيان لدوافع التخول الصهيوني.
3. قراءة عسكرية لإدارة الصراع بين المدافع والمهاجم وأساليب القتال لكِلا الطرفين.
4. استقراء مستقبل الصراع عسكريًّا.

إشكالية الدراسة

لكون الصراع في أوج تصاعده, وللطبيعة المتغيرة في ما يحصل في ساحات المواجهة والصراع, ولدخول أطراف متعددة فيه, لذلك فإن إشكالية الدراسة تتمحور حول هل أن كل ما جرى ويجري سيؤدي إلى ذات التوقعات التي توصلت إليها الدراسة؟.

هيكلية الدراسة

جرى تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مباحث وكما يأتي:

1. المبحث الأول: طوفان الأقصى قراءة عملياتية.
2. المبحث الثاني: التوغل الصهيوني قراءة عمليا تية .

3. المبحث الثالث: المقارنة العملياتية لمجرى الصراع عسكريًا.

المبحث الأول

طوفان الأقصى, قراءة عملياتية

تطور القدرات الفلسطينية وقدرة الاختراق

تسارع الأحداث والتصعيد غير المسبوق الذي شهدته ساحات المواجهة بين فصائل المقاومة الفلسطينية وجيش الكيان الصهيوني بعد العملية الجريئة التي بدأت مع فجر يوم 7 ت1 لا بد أن يمر عبر العودة لقراءة ما حصل في عمليات سيف القدس. تلك العملية التي أتاحت لفصائل المقاومة الفرصة بإعادة النظر الجذرية في كل ثوابتها التعبوية العملياتية والسوقية, كما أنها مهدت, وبعد مرور 29 شهر عليها أي ما يقارب أكثر من سنتين وأربعة أشهر, إلى ما يمكن أن نطلق عليه أمنيًّا وعسكريًّا مبدأ كسر التوازن الذي كان غائبًا لفترة طويلة عن أجندة الفصائل, رغم أنه يُعَدُّ من مبادئ الحرب غير المتكافئة أو الحرب الثورية. في ذات الوقت فإن الفصائل عملت على رفع مستوى الاستعداد والإدراك المسبق الأمني والعسكري والمصحوب برفع القدرات القتالية لمجاهديها, ليس على المستوى التعبوي والتكتيكي فحسب, بل تجاوزت ذلك إلى المستوى العملياتي والسوقي مما جعلها قادرة على التنفيذ المتقن للعملية وبشكل ملفت للنظر, و قدرتها العالية على استيعاب ردود فعل عدو عُرِف بدمويته, وذلك من خلال:

1. تغير اتجاهات البوصلة القتالية, وذلك بالتحول من أسلوب الأسود المنفردة الذي عُرِفت به كتائب الأقصى إلى أسلوب الاشتباك الكامل الذي شمل كل الفصائل رغم ما يُشاع عن وجود خلافات جوهرية بينها.
2. دراسة كل ما حصل سابقًا من مواجهات, والتوصل إلى حقيقة هي أن الإعداد والتجهيز لم يعد كما كان عليه الأمر سابقًا, بل يجب أن يجري وفق رؤية جديدة تتمثل في أن كل المستحيلات ممكنة إذا ما توفرت العزيمة والالتزام العقائدي, مقتدين بتجربة الفتوى المباركة والحشد الشعبي.
3. تحليل علمي ومدروس مع جراءة عالية في تشخيص الأخطاء, ودراسة دقيقة لسلسلة العمليات المنفذة(عملية يافا, بني براك, الخليل, ديزينغورف, القدس, حاجز مخيم شعفاط). تلك العمليات التي جرى تحليها بدقة والتركيز على نقاط الضعف والقوة فيها مع تحديد دقيق لرد الفعل المعادي وأسلوب مجابهة هذا الرد.
4. العودة مجددًا ومن خلال التحليل العلمي وبوسائل مختلفة لتحديد المخرجات الميدانية العملياتية التي نجمت عن عمليات(جنين, طول كرم, أريحا, نابلس). تلك العمليات

> **تغير اتجاهات البوصلة القتالية عبر التحول من أسلوب الأسود المنفردة الذي عُرِفت به كتائب الأقصى إلى أسلوب الاشتباك الكامل الذي شمل كل الفصائل.**

التـي اختـرقـت المنظومـة الدفاعيـة الصهيونيـة للوقـوف علـى مـدى قـوة تلـك المنظومـة ونقـاط الوهـن والارتخـاء التـي يمكـن أن تشـكل مقتـرب تعبـوي مناسـب للاندفـاع في المناطـق الرخـوة أمنيًّـا في عمـق العـدو.

5. ممـا يُعـاب علـى فصائـل المقاومـة الفلسـطينية في مواجهاتهـا السـابقة هـو ضعـف قدراتهـا في مجـال القيـادة والسـيطرة والتحكـم, لذلـك جـرت إعـادة نظـر وقـراءة دقيقـة وجريئـة لـكل مالـه علاقـة بمنظومـة القيـادة والسـيطرة لفصائـل المقاومـة وتعزيـز القـدرات وفـق مبـدأ توحيـد السـاحات, مـع التركيـز علـى إدارة المنـاورة بالمسـتويات العليـا وبشـكل مشـترك ومتـوازن.
6. أحـد أهـم مبـادئ الحـرب الحديثـة هـو مبـدأ المفاجئـة أو المباغتـة وبمسـتوياتها المتنوعـة وأشـكالها المختلفـة التـي أُجيـد إدارتهـا صبيحـة يـوم 7 تشـرين الأول, إذ جـرى اسـتغلال دقيـق للزمـان والمـكان والأسـلوب مـن خـلال اختيـار الوقـت المناسـب المسـبوق برسـائل مجفـرة لـم يسـتطع العـدو معرفـة المـراد منهـا, في الوقـت ذاتـه كان تعـدد المحـاور واحـدًا مـن أكثـر أسـاليب المباغتـة المقرونـة بالمنـاورة العملياتيـة نجاحًـا, أمـا عـن الأسـاليب التـي جـرى اعتمادهـا مـن قِبَـل المهاجميـن فهـي الأخـرى أذهلـت العـدو وباغتتـه؛ كونهـا لـم تكـن متوقعـة في الأغلـب الأعـم منهـا, وهـذا مـا دفـع العـدو للانتظـار لأكثـر مـن أسـبوع قبـل أن يقـرر اقتحـام غـزة والتوغـل في مناطقهـا المبنيـة والمأهولـة.

> **أحد أهم مبادئ الحرب الحديثة هو مبدأ المفاجئة أو المباغتة وبمستوياتها المتنوعة وأشكالها المختلفة التي أُجيد إدارتها صبيحة يوم 7 تشرين الأول.**

التنفيذ المرن وتعدد الأساليب

تُعَـدُّ المرونـة المقرونـة بتعـدد الأسـاليب واحـدة مـن المبـادئ التـي باتـت مـن أكثـر مبـادئ الحـرب لا سـيما في الحـروب اللامتماثلـة أهميـة, وهـذا مـا أدركـه القائمـون علـى التخطيـط لعمليـة طوفـان الأقصـى, إذ إن مـا يُحسَـب للقائميـن علـى التخطيـط والتنفيـذ للعمليـة أنهـم أجادوا, وبشـكل متقـن, في تحديـد مراحـل التنفيـذ وفـق أسـلوب جعـل العـدو يترنـح ولا يمتلـك القـدرة الكافيـة علـى رد الفعـل, في ذات الوقـت فـإن هـذه المراحـل اتسـمت بمـا هـو غيـر متوقـع بدرجـة كبيـرة, إذ تعـوَّد العـدو الصهيونـي بـأن تكـون عمليـات فصائـل المقاومـة ذات نفـس قصيـر, وغالبًـا مـا تتوخـى مجموعـة محـدودة جـدًّا مـن الأهـداف إن لـم تكـن في أغلـب أحوالهـا تسـتهدف هـدف واحـد فقـط. فضـلًا عـن ذلـك فـإن الدخـول بعمـق تجـاوز الـ35 كـم وبسـبعة سـرايا في الأراضـي المحتلـة, وبأعـداد تجـاوزت ألـف مجاهـد وبواسـط نقـل مختلفـة, شـكل انعطافًـا جذريًّـا في أسـلوب مواجهـة العـدو الصهيونـي, ويمكـن أن نحـدد مراحـل العمليـة بمـا يأتـي[1]:

1. المرحلـة الأولـى: تضمنـت إطـلاق مـا يقـارب 5000 صـاروخ مـن مختلـف العيـارات باتجـاه عمـق الأراضـي المحتلـة, وعلـى أهـداف محـددة مسـبقًا (مسـتعمرات, معسـكرات, مواقـع قيـادة وسـيطرة اتصـالات معاديـة, عقـد مواصـلات), وبدقـة عاليـة كقصـف تمهيـدي اسـتمر لمـدة 20 دقيقـة متبوعـة بخمسـة آلاف أخـرى بعـد أقـل

من ساعة على محيط غزة من الجهة المقابلة للعدو لمنع أي تدفق عسكري معادي آني.

2. المرحلة الثانية: الاندفاع ب1111 مجاهد مدربين تدريبًا راقيًا على أعمال القتال في المناطق المبنية والقتالات الخاصة وأعمال الكوماندز من خلال سبعة ثغرات تجاه أربعة عشر هدف, تضمنت (تسعة مستعمرات (سديروت, ناحل عوز, صوف, نيريم, بئيري, كفارة غزة, حوليت, نتيف هعسر, نير إسحاق) ومعسكر واحد (إيزر(عزرا) العسكري مقر قيادة منطقة غزة العسكرية), ومواقع عسكرية للقيادة والسيطرة) بوسائط نقل مختلفة (عجلات نقل صغيرة,درجات نارية)
3. المرحلة الثالثة: اندفاع مجاميع أخرى من المجاهدين باتجاه الأهداف التي تم اقتحامها لأغراض التعزيز والدعم اللوجستي والطبي وجلب الأسرى إلى العمق الفلسطيني.
4. صاحب المرحلتين الثانية والثالثة موجة من الطائرات الشرعية التي كان يقودها مجاهدون لمهاجمة أهداف نوعية, ولشل قدرة العدو على رد الفعل, مع موجة لاحقة أخرى من الطائرات المسيرة الانتحارية جرى تحديد أهدافها ميدانيًّا لمعالجة ردود فعل العدو الآنية.
5. المرحلة الرابعة: هي مرحلة رد الفعل المقابل للقصف الصهيوني لمدينة غزة, إذ أُطلقت المئات من الصواريخ باتجاه تل أبيب ومدن صهيونية أخرى. صاحب ذلك قصف من زوارق قبالة الساحل الفلسطيني لأهداف منتخبة, وكذلك دخول الجبهة الشمالية التي يقودها حزب الله في المواجهة بإطلاقها سلسلة من الصواريخ باتجاه مناطق الجليل الأعلى ومزارع شبعا وغيرها.
6. لاحقًا, جرى تعزيز الاندفاع بعمليات نوعية, منها مهاجمة أهداف في منطقة عسقلان,

ومنها منطقة أفاريم الحيوية وإحراق عدد من المواقع العسكرية ومراكز الشرطة في الضفة الغربية, وشمال القدس في منطقة قلنديا التي تقع ضمن أراضي فلسطين قبل عام 1967.

رد الفعل المقابل والفشل الاستخباري

يُعرَف عن الكيان الصهيوني وجيشه بأنه قد أعطى لنظرية الأمن الصهيونية أهمية كبيرة, التي تستند إلى اثنين من أكثر الثوابت أهمية, وهما لا خسائر كبيرة ولا إطالة للحرب, بل الحسم السريع, حتى أن مؤتمرات هرتسيليا السنوية تكاد أن تكون فقرة مراجعة هذه النظرية حاضرة في كل تلك المؤتمرات, التي تجاوز عددها العشرين مؤتمر, وقد جرى تعديل هذه النظرية لمرات عديدة كانت حرب عام 1973 هي البداية الأولى لتعديل هذه النظرية, التي كان يُطلَق عليها اختصارًا(الرمح والدرع), في إشارة إلى القوة المدرعة والقوة الجوية والاستخبارات التي تشكل الثلاثي الأهم في أعمدة الأمن القومي الصهيوني, ثم جاء اندفاع الأهوج في لبنان في الثمانينيات, إذ اقتضت الضرورة مرة أخرى ليقوم هذا الكيان بإعادة النظر في هذه النظرية محاولًا التركيز على مبدأ منح الآمرين والقادة الأحداث حرية أوسع بالعمل, دون الرجوع إلى مركز اتخاذ القرار. عام 2006 قلبت الموازنة وخسر جيش الكيان الصهيوني حربه مع مجاهدي حزب الله في الجنوب اللبناني مما دفع القيادات العليا أثناء انعقاد مؤتمر هرتسيليا السنوي إلى المطالبة بإلغاء كل ما تضمنته تلك النظرية, والقيام وبجراءة بإعداد نظرية أمن جديدة تعتمد استراتيجيات مختلفة, أولها أن يكون الإسناد الجوي متاحًا إلى مستوى الحضيرة, إذ أُطلِق حينها مصطلح 16 /16؛ للتعبير عن أن على الطائرة إف 16 أن تؤمّن متطلبات المقاتل الحامل للبندقية إم 16, والأمر الثاني هو الضربة الاستباقية لمجرد الشعور بالخطر, ثم جاءت مواجهة سيف القدس لتقلب المعادلة مجددًا, ولتصبح الأنفاق هي

الشغل الشاغل للكيان الصهيوني, وفي ذات الوقت الذي اتسعت فيه عمليات الأسود المنفردة, وهنا أيضًا حاول الكيان الصهيوني أن يعيد كتابة هذه النظرية بما يتوافق مع ما حصل ميدانيًّا في هذه المواجهة التي خسر فيها الكيان الصهيوني وجيشه أكثر بكثير مما هو متوقع.

في مواجهات طوفان الأقصى, وفي ساعاتها الثماني والأربعين الأولى, يمكن أن نتوصل من خلال النتائج الأولية غير الحاسمة بقدر تعلق المر بجيش الكيان الصهيوني إلى ما يلي[2]:

1. فشل ذريع في الأسلوب العملياتي الذي اعتمده جيش الكيان الصهيوني في منح قادة المناطق الاستقلالية الكاملة في العمل العسكري باعتماد مبدأ اللامركزية المطلقة.
2. انعدام تام في الحافز ورد الفعل المرن الذي تميز به العدو في مواجهاته السابقة مع العرب والفلسطينيين, بل أنه لم يستطع الإفاقة من الصدمة الأولى إلا بعد ست ساعات على بداية المواجهة.
3. الخداع الاستخباري من جانب فصائل المقاومة أثبت بأن ما كان يتبجح به العدو, من امتلاكه لأقوى جهاز استخبارات بين جيوش العالم, هو مجرد كلام صالح للإعلام, إلا أنه غير واقعي على أرض الواقع.
4. الإبقاء على قائد منطقة غزة(نمرود أولوني), تحت ذريعة امتلاك الخبرة الميدانية في مواجهة الفلسطينيين, أثبت بأنه دليل على أن القيادات العليا المسؤولة لا تدرك حقيقة أن المستفيد من بقائه هي فصائل المقاومة؛ كونها تعرف كيف يفكر, وماهي ردود فعله المتوقعة.
5. لم تعد القبة الحديدية أو مقلاع داؤود لهما القدرة على أي رد فعل يمنع الآلاف من الصواريخ من أن تصل إلى أهدافها المرسومة

لا سيما في العاصمة تل أبيب, رغم أن الكلفة اليومية لتشغيلهما تتجاوز ملايين الدولات يوميًّا, وهنا يجب الأخذ بنظر الاعتبار بأنه ليس بالتقنية الحديثة وحدها, مهما تطورت, يمكن لجيش أن ينتصر.

6. فقد جيش الكيان الصهيوني في هذه المواجهة ثقة الصهاينة, إذ يجري, وعلى نطاق واسع, توجيه الانتقادات الشديدة, ومنها بأنه جيش محترف بلا رأس في إشارة إلى فشل اللامركزية, وكذلك بأنه بات اليوم جيش عدم الدفاع عن إسرائيل.
7. كل الدلائل التي بنى الكيان الصهيوني ترتيباته الأمنية عليها كانت تستند إلى تصور بأن الجبهة الشمالية يمكن أن تُختَرَق من قِبَل قوة الرضوان التابعة لحزب الله, في حين كان ينظر إلى الجبهة الجنوبية على أنها جبهة عمليات منفردة, إلا أن الأمر انقلب رأسًا على عقب بعد ساعات من المواجهة في طوفان الأقصى.

كل الدلائل التي بنى الكيان الصهيوني ترتيباته الأمنية عليها كانت تستند إلى تصور بأن الجبهة الشمالية يمكن أن تُختَرَق من قِبَل قوة الرضوان التابعة لحزب الله.

طوفان الأقصى وتطبيقات الحرب المفتوحة

طوفان الأقصى, وبكل ما أفرزه من مستجدات, اتسم بتفرد لم يكن حاضرًا في الأدبيات العسكرية في السابق, وهو المزواجة غير المتوازنة بين جملة من الأنماط القتالية, ففي القياسات التقليدية تحسب العملية على أنها أقرب ما تكون إلى غارة تنفذها عناصر قتالية مدربة تدريبًا راقيًا, متخذة من أنماط الحرب الثورية وحرب العصابات مناهج عمل لها, إلا أنها وفي ذات الوقت فتحت الباب على مصراعيه لحرب مفتوحة تحمل بين خباياها كل الاحتمالات, ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد, بل أن البحر بات طرفًا حاسمًا في هذه العملية في الوقت الذي كانت السماء هي الأخرى مسرحًا لعمليات أقضت مضاجع العدو وهزمته قبل إعلان هزيمته بشكل رسمي.

وبالعودة إلى تطبيقات الحرب المفتوحة, فإنه وبشكل عام اتسمت مبادئ الحرب بصفة الثبوت النسبي, رغم أنها تختلف من بلد إلى آخر وفق جملة من الاعتبارات تقف في مقدمتها طبيعة وإمكانيات العدو المحتمل, والموقع الجيوبولوتيكي للبلاد, وطبيعة النظام السياسي واستقراره. فضلًا عن مستوى قوة الدولة وتحالفاتها, إلا أن ما يميز الحروب اللامتماثلة والهجينة أنها تتسم بصفة تبتعد بها عن مبادئ الحرب التقليدية, إذ إنها تتغير بشكل أكبر بكثير مما هو متوقع, كما أنها تقترب كثيرًا من العقيدة القتالية؛ كونها تغادر السمة الأساسية لمبادئ الحرب, والمتمثلة بالثبوت النسبي. وفي طوفان الأقصى, تلك العملية التي لاتزال مستمرة, اتضحت وبشكل لا يقبل الشك صورة الحرب المفتوحة من خلال اعتمادها جملة من المبادئ والأساليب التي غالبًا ما تُعتمَد في الحرب المفتوحة, ومنها على المستوى السوقي والعملياتي ما يأتي[3]:

1. تعدد الساحات: وهو مبدأ أقرب ما يكون لمبدأ من مبادئ الحرب, والمتمثل بتشتيت

جهد العدو من خلال المناورة على جبهات متعددة, وقد نجحت العملية في أن تجعل العدو في حالة من عدم اليقين من منظومته الاستخبارية التي عجزت عن تحديد التحركات العملياتية والتعبوية للمقاتلين الفلسطينيين في تلك الساحات.

2. خوض الحرب بما يناسب السلاح المتيسر: واحد من أهم مبادئ الحرب المفتوحة, ويمكن أن يكون مرادفًا لمبدأ من مبادئ الحرب الهجينة, المتمثل بالاقتصاد بالجهد وفق القدرات المتاحة, إذ جرى الاعتماد في عملية طوفان الأقصى على مجموعة وسائل وأسلحة وأساليب قتال غير مكلفة, كما أنها تتميز بوفرتها محليًا, ولا تحتاج إلى توريد عدا بعض متطلباتها التقنية, وقد نجحت المقاومة الفلسطينية بشكل منقطع النظير في تحقيق الأهداف المرسومة باختيارها لأسلحتها دونما البحث عن إمكانيات مضافة.
3. الخروج عن المألوف: هو الآخر مبدأ نجحت فصائل المقاومة في اعتماده على المستوى السوقي, فقد فاجئت العدو بأنها لم تعتمد الأساليب التقليدية السائدة والمتوقعة, بل ذهبت بعيدًا لتقوم بتوظيف إمكانيات تمكنت بواسطتها من مفاجئة العدو ومقاتلته في عقر داره, وتدمير قدارته الدفاعية في محيط غزة دون أن يستطيع القيام بأي رد فعل مقابل لدرء الخطر ومنع التدهور خلال الساعات الست الأولى.
4. السلاح الأقل وقعًا والأكثر دقة: رغم أن هذا المبدأ يمكن أن يندرج ضمن الأساليب القتالية, إلا أنه ومن خلال اعتماده من قِبَل فصائل المقاومة الفلسطينية, وكذلك حزب الله في جنوب لبنان, بات يشكل مبدأً يمكن اعتماده في الحرب المفتوحة والحروب الهجينة, إذ كانت الضربات الصاروخية وصواريخ الكورنيت

> **واحد من أهم مبادئ الحرب المفتوحة ويمكن أن يكون مرادفًا لمبدأ من مبادئ الحرب الهجينة المتمثل بالاقتصاد بالجهد وفق القدرات المتاحة.**

المحدثة تُوجَّه إلى الأهداف الأكثر تأثيرًا على قدرات العدو بعد أن غادر المقاومون أسلوب الرمي التنبؤي الذي يفتقد إلى الدقة.

5. ضبابية ميادين المعارك: اتسمت المواجهة بنسبة عالية من الغموض والضبابية إلى الحد الذي أصبحت فيه التنبؤات بأحداثها المحتملة أمرًا في غاية الصعوبة؛ كون التصعيد يجري من كِلا الطرفين بسرعة غير مسبوقة, كما أن الاستهداف اتسع إلى أن أصبح من الشمولية, بحيث باتت المواجهة وكأنها حرب في جميع الجبهات.
6. التقنيات الحديثة ليست وحدها اللاعب الأساس في ميدان القتال: كما هو معروف فإن العدو الصهيوني وظف ويوظف مليارات الدولارات من أجل تطوير قدراته الدفاعية باستخدام التقنيات الحديثة, التي سخر لها العشرات من مراكز الأبحاث والمئات من الشركات المصنعة للأسلحة والمعدات, فضلًا عن أنظمة القبة الحديدية ومقلاع داوود والسياج العازل, ومع ذلك استطاع رجال المقاومة من أن يتغلبوا على كل تلك التقنيات

بأساليب بسيطة, البعض منها استُخدِم قبل عشرات السنين.

عنصر الابتكار والمفاجئة

في طوفان الأقصى, وإذا ما حللنا ما يجرى على المستوى العملياتي, يمكننا أن نصل إلى فهم مشترك لمبادئ الحرب المفتوحة التي اتخذت شكل أسئلة يتوجب إيجاد إجابات دقيقة لها:

1 - هل نحن من نختار ساحة القتال؟

في هذه المواجهة غير المتماثلة عرفت أو تعلمت الفصائل الفلسطينية أين تقاتل, فرغم أن محيط غزة أو جدارها يُعَدُّ من أكثر المناطق تحصينًا بعد الجليل الأعلى المقابل لحزب الله, إلا أن الاختيار كان صائبًا للأسباب الآتية:

أولًا: تحقيق عنصر المفاجئة؛ كون قائد منطقة غزة المعروف جيدًا عند الفصائل(العميد إيفي روزنفليد) كان يعتقد أن إمكانية الاختراق مستحيلة.

إطلالة غزة على الواجهة البحرية جعل إمكانية الطيران الشراعي ممكنة كونها منطقة مفتوحة.

ثانيًا: امتلاك العدو ولا سيما قيادته العليا تصورًا خاطئًا, وهو أن جدارهم الفاصل الذي سنأتي لاحقًا لذكر تفاصيله غير قابل للاختراق.

ثالثًا: إطلالة غزة على الواجهة البحرية جعل إمكانية الطيران الشراعي ممكنة كونها؛ منطقة مفتوحة.

رابعًا: الملاصقة التي تتميز بها المنطقة, إذ لا تبعد المستوطنات عن حدود غزة إلا مسافات قليلة, منح المقاتلين الفلسطينيين فرصة أكبر في الخرق والوصول إلى الأهداف.

كل ما ذُكِر ساهم بشكل أو بآخر في إنجاح العملية بمراحلها الأولى؛ كون الاختيار لم يكن في جميع جوانبه في صالح العدو.

2 - ما هو الوقت المناسب للقتال؟

ما يجب التركيز عليه هو أن العملية قد جرت بعد مرور 24 ساعة فقط على مرور ذكرى حرب تشرين عام 1973. تلك الحرب التي حقق فيها الجيش المصري مفاجئة سوقية أدت إلى انهيار كامل لأقوى منظومة دفاعية في حينها وهي خط بارليف. وقد لا يكون في أذهان المنفذين أي ربط بين الحدثين, إلا أن الحالة النفسية لها تأثير في رد الفعل المقابل, فحين عرفت القيادة العسكرية الصهيونية بالخرق الحاصل في جدار غزة عادت من جديد ذات الصورة في أذهان القادة, وهو الفشل الاستخباري, وللمرة الثانية, وهذا ما أربك القائمين على اتخاذ القرار في المستوى السوقي والعملياتي, ناهيك عما حصل من تخبط في الجيش الصهيوني في قطاع غزة في المستوى التعبوي, وهو يرى بأم عينه, وللمرة الأولى, مقاتلي حماس والأقصى وهم يسيطرون على مقر قيادتهم الرئيس في قاعدة(رعيم) العسكرية, حيث مقر قيادة فرقة غزة(ثعالب النار) التي يقودها (العميد إيفي روزنفليد) التابعة لقيادة المنطقة الجنوبية لجيش الكيان الصهيوني والمكونة من ثلاثة ألوية (الشمالي– هغفين والجنوبي- قطيف ووحدة شمشون بمستوى

لـواء قـوات خاصـة). فـضلًا عـن وحـدة أفيـري هـبلادا (فرسـان الفـولاذ) المدرعـة والموضوعـة بإمـرة القيـادة للحـالات الطارئـة.

3 - ماهـي الأسـاليب التـي علينـا تطبيقهـا في مثـل هـذا القتـال؟

الطرفـان هنـا كان لهـم ذات التسـاؤل, فالصهاينة كانوا علـى يقيـن بـأن أسـاليبهم القائمـة والمتمثلـة بالقبـة الحديديـة ومـقلاع داوود والجـدار الفاصـل أو العـازل, ومـن ثـم توجيـه ضربـات موجعـة إلـى المدنييـن, وقـد يقتضـي الأمـر أن تكـون هنالـك حاجـة إلـى اجتيـاح بـري محـدود أو واسـع النطـاق رغـم احتماليـة ارتفـاع الخسـائر بشـكل كبيـر مـع التركيـز علـى الأسـاليب التقليديـة, المتمثلـة بالاغتيـالات وتدميـر المنـازل والضربـات المباشـرة للأنفـاق, هـذا كل مـا يمكـن للعـدو الصهيونـي فعلـه, إلا أنـه وبالمقابـل كان التسـاؤل(كيف نقاتـل)؟ بالنسـبة للفصائـل الفلسـطينية إجابـات مختلفـة كثيـرًا عـن مـا سـبق, فقـد تنوعـت الأسـاليب إلـى الحـد الـذي بـات مـن المتعـذر علـى العـدو إيجـاد آليـة محـددة لـتلافي تلـك الضربـات التـي أحدثتهـا الأسـاليب المتبعـة, والتـي تنوعـت بالشـكل الـذي تمكنـت مـن تحقيـق مباغتـة بالأسـلوب, فـضلًا عـن المباغتـة بالوقـت والمـكان. ويمكن إجمـال الأسـاليب التـي اتبعتهـا الفصائـل الفلسـطينية بمـا يلـي:

أولًا: رشـقات الصواريـخ الموجهـة, وبكثافـة عاليـة, إلـى أهـداف منتخبـة وبمديـات غيـر متوقعـة ورؤوس حربيـة أكثـر تأثيـرًا تجـاوزت قـدرات القبـة الحديثـة.

ثانيًـا: اختـراق بالدراجـات الآليـة والعجلات, بعـد إزالـة جـزء مـن الجـدار الفاصـل مـن أماكـن متعـددة, مـع تحـرك باتجاهـات مختلفـة؛ لتشـتيت جهـد العـدو الآنـي والمباشـر.

ثالثًـا: طائـرات مسـيرة ذاتيـة الإطلاق لحمولتهـا مـن الصواريـخ والقذائـف لمشـاغلة أهـداف حيويـة جـرى انتخابهـا بدقـة.

> شرع الكيان الصهيوني بإنشاء الجدار العازل الذي يتكون من جدار إسمنتي بارتفاع بين 18 إلى 20 قدم مع أبراج مراقبة مزودة بكاميرات حرارية تزداد في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية لا سيما إلى جوار غزة والقدس المحتلة.

رابعًا: موجة من الطائرات الشراعية تحمل كل واحدة بين واحد أو اثنين من المقاتلين المدججين بالسلاح لغرض الإنزال وسط مواقع العدو العسكرية.

خامسًا: جهد هندسي مرافق لإزالة أي عوائق, مع تدمير كل ما يمكن تدميره من آليات العدو العسكرية.

سادسًا: موجة أخرى من المقاتلين, وهذه المرة بعجلات مكشوفة تحمل رشاشات ثقيلة جرى استخدامها لاختراق مستوطنات العدو الإحدى عشرة التي جرى انتخاباها.

سابعًا: مجاميع من المقاتلين المدربين تدريبًا عالي المستوى من الانغماسين, جرى زجهم لاقتحام مقر قيادة فرقة غزة العسكرية, والسيطرة عليها وجلب الأسرى من العسكريين بينهم ضباط برتب كبيرة.

اختراق القدرات المعادية أو تخطيها

من المعاضل التي جابهت المخططين للعملية هما أمران أساسيان في طبيعة البناء الدفاعي لجيش الكيان الصهيوني. الأمر الأول القبة الحديدية التي كثر الكلام عنها, والتي هي عبارة عن منظومة ذاتية الاشتغال, مهمتها اعتراض وتدمير أي جسم طائر يخترق المجال الجوي الصهيوني لا سيما القذائف والصواريخ ذات المديات القصيرة والمتوسطة التي يصعب اعتراضها من قِبَل منظومات الدفاع الجوي التقليدية, يصل مدى عملها إلى 70 كم وبالتالي فهي قادرة على تغطية كل الجبهات, إذ نشرت بين 12 إلى 14 منظومة منها, وبحسابات التلاحك في أقواس الكشف والمشاغلة فإنها غطت سماء الكيان الصهيوني بالكامل. تشمل هذه المنظومة بالإضافة إلى أجهزة الرادار الأمريكية والمحدثة من قِبَل الصناعات العسكرية الصهاينة(شركة رافائيل), فضلًا عن ثلاث منظومات إطلاق صواريخ لكل منظومة رئيسة, تحتوي كل واحدة منها على 20 صاروخ اعتراضي من نوع (تأمير), يعمل بالتوجيه الأرضي من منظومة القيادة والسيطرة, ويمكن لكل بطارية صواريخ أن تدافع عن منطقة مساحتها 150 كم مربع. أما المكمل لهذه القبة هو مقلاع داوود, وهو الآخر نظام صاروخي اعتراضي يشابه في عمله إلى حد كبير منظومة القبة الحديدية, خُصِّص للجبهة الشمالية لاعتراض صواريخ حزب الله بعيدة المدى.

أما الأمر الثاني, الذي كان بحاجة إلى تخطيط مسبق من قِبَل القائمين على عملية طوفان الأقصى لاختراقه أو تجنبه, فهو الجدار العازل, إذ شرع الكيان الصهيوني بإنشائه عام 2003, يتألف من جدار إسمنتي بارتفاع بين 18 إلى 20 قدم مع أبراج مراقبة مزودة بكاميرات حرارية تزداد في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية لا سيما إلى جوار غزة والقدس المحتلة. يتميز بتعدد أجهزة الاستشعار والتصوير الحراري مع وجود مسالك رملية إلى جوار الجدار؛ لتحديد نقاط الاختراق بواسطة الكاميرات المنصوبة على الجدار, كما أن هنالك منظومات إطلاق نيران(رشاشات) للتعامل مع أي حركة اختراق يجري تحديدها, وحسب ما خُطِّط له فإن تلك المنظومات قادرة على تحديد مكان الخرق خلال ست دقائق فقط,

وهذا ما تبين لاحقًا, بأنه مجرد من الدقة, إذ تمكن رجال الصولة الأولى من اقتحامه, ولم تكن هنالك أي ردود فعل إلا بعد مرور أكثر من ست ساعات.

الدرس الذي يمكن أن تتعلمه هنا, هو أن العقل البشري والإرادة القتالية والإصرار على بلوغ الهدف لن تقف أمامه كل التقنيات الحديثة، وأن الكيان الصهيوني الذي سخر أكثر من 30 مركزًا بحثيًّا متخصص في الجوانب العسكرية والتقنيات التي تدخل ضمن الصناعات العسكرية, فضلًا عن الشركات المنتجة للأسلحة والمعدات العسكرية الصهيونية التي تعمل لخدمة جيش الكيان والتي تجاوز عددها عام 2022 الـ167 شركة.

تعدد وتنوع ساحات المواجهة

ليس بالضرورة وفق مبادى الحرب المفتوحة أن تكون كل الجبهات المفتوحة مع العدو هي جبهات قتال أو مظاهر مسلحة, بل يقتضي الأمر في مثل هذه الحروب أن تتنوع الأساليب التي يُفترَض استخدامها, وهنا لا بد من تبيان حقيقة, هي أن فصائل المقاومة الفلسطينية والقوى المساندة لها لا تمتلك جميعها الوسائل العسكرية للمواجهة, إلا أنها تمتلك قدرات أخرى يمكن أن تُوظَّف لصالح الفصائل أثناء خوضها للمعركة, وتُعَدُّ جزءًا من مضاعفات القوة لها, إلا أن الفصائل في هذه المواجهة قد استطاعت, سواء من طريق تخطيط وتنسيق مسبق أو كرد فعل لاحق, أن تجعل كل حدود الكيان الصهيوني عبارة عن ساحات للمواجهة التي اتسمت غالبية قطاعتها باستخدام القوة, وكما يلي[4]:

1. الحدود اللبنانية: هي الأكثر اشتعالًا وتأثيرًا على الكيان الصهيوني, إذ أسهمت بشكل كبير في ضرب قواعد العدو بشكل مباشر, واستطاعت لا سيما في الأيام الأخيرة من أن تدمر العديد من ناقلات الأشخاص ودبابات مريكافا بواسطة صواريخ كورنيت المحدثة وغير القابلة للتصدي والمعالجة. فضلًا عن الغارات التي نُفِّذت على العديد من المواقع, ومنها(كريات شمونة, وموقع العباد العسكري, وجل علام, وزرعيت, وغيرها). وبذلك يمكن القول إن الكيان الصهيوني أُجبِر على أن يناور بكل ثقله العسكري في القاطع الشمالي (الجليل الأعلى) من أجل التصدي لمقاتلي حزب الله. هذا التدخل المبرمج الذي جرى بتنسيق عالٍ مع كتائب الأقصى وحماس قد أربك الكيان الصهيوني مما دفع بالمتحدث بلسان الجيش الصهيوني, وفي مؤتمر صفحي يوم 17 ت1, أن يعلن بأن خطورة الجبهة الشمالية أكبر بكثير من خطورة جبهة غزة على المستوى العسكري.
2. الحدود السورية: هذه الجبهة الضامرة التي تتصور القيادة الصهيونية أنها أكثر الجبهات هدوءًا وأمانًا بعد الحدود الأردنية, إلا أن المفاجئة هي أن هنالك العديد من الضربات بالصواريخ قد وُجِّهت من هذه الجبهة, ورغم محدودية تلك الضربات إلا أنها أجبرت العدو على أن يحشد ما يمكن تحشيده من قوته

> ليس بالضرورة وفق مبادى الحرب المفتوحة أن تكون كل الجبهات المفتوحة مع العدو هي جبهات قتال أو مظاهر مسلحة بل يقتضي الأمر في مثل هذه الحروب أن تتنوع الأساليب التي يُفترَض استخدامها.

الاحتياطية على هذه الجبهة لا سيما وأنه يتوقع أن تكون لدى فصائل المقاومة الإسلامية التي تقاتل داعش في الأراضي السورية نوايا بالقيام بعمليات تجاه الجولان وطبريا, رغم أن حصول ذلك قد يكون مُستبعَدًا؛ كون النظام في سوريا غير قادر على قبول مثل هذه المجازفة.

3. الحدود الأردنية: رغم أن هذه المنطقة ابتعدت كليًّا عن استخدام القوة تجاه عمق الكيان الصهيوني, إلا أن الحشود التي فاجئت النظام الأردني والكيان الصهيوني, والتي اندفعت صوب الحدود, أحدثت حالة من الهلع والخوف بعد المحاولات التي جرت من المتظاهرين لإسقاط الجدار الفاصل, إذ تقع العديد من المستوطنات الصهيونية على الجانب الآخر داخل الأراضي المحتلة وعلى مقربة من الجدار.
4. الضفة الغربية: تكاد أن تكون ساحة حرب هذه الأيام, رغم أن القائمين على السلطة الفلسطينية هناك قد حاولوا جاهدين طمأنة الصهاينة من أن ليس هناك أي تصعيد, إلا أن الذي يحصل على الأرض من مواجهات مستمرة وعمليات طعن واستهداف لقوات الاحتلال جعلها منطقة هشة جدًّا أمنيًّا, وقد دفع العدو بالعديد من وحداته هناك لغرض السيطرة على الموقف, ولكن دون جدوى.
5. الحدود المصرية: الأمر يختلف من حيث القدرة على المواجهة في هذا القاطع, فمعبر رفح, وهو المتنفس الوحيد لغزة من مصر, جعل التصعيد في هذه المنطقة أمرًا صعبًا للغاية, كما أن الفراغ السكاني أثَّر بشكل كبير على القدرة على تنفيذ ضربات. فضلًا عن أن تنظيم داعش يتواجد في هذه المنطقة الذي ينأى بنفسه عن أي مواجهة مع الكيان الصهيوني.
6. الساحل البحري: جرت العديد من المحاولات من قِبَل فصائل المقاومة الفلسطينية, إذ وُجِّهت غواصات انتحارية تجاه أهداف بحرية صهيونية, إلا أن هنالك تعتيم كامل على نتائج تلك الضربات.

> **جرت العديد من المحاولات من قِبَل فصائل المقاومة الفلسطينية للسيطرة على الساحل البحري إذ وُجِّهت غواصات انتحارية تجاه أهداف بحرية إلا أن هنالك تعتيم كامل على نتائج تلك الضربات.**

يُضَاف إلى ذلك أن الأراضي اليمنية شهدت تصعيدًا من نوع آخر, إذ أطلقت ثلاثة صواريخ يوم 20 ت1 تجاه تل أبيب. جرى اعتراض أحدها من قِبَل السفن الحربية الأمريكية, في حين ادعى السعوديون بأنهم تمكنوا من إسقاط صاروخ آخر, في ذات الوقت سقط الثالث على مركز تل أبيب دون أن تُعرَف الخسائر الناجمة عن ذلك. فضلًا عن ذلك, فإن هنالك جبهات أخرى فُتِحت, ليس على جيش الكيان الصهيوني, بل على القوات الأمريكية المتواجدة في الدول العربية, ومنها الصواريخ الموجهة إلى إحدى السفن الحربية الأمريكية قبالة الساحل اليمني, وسلسلة الهجمات بالطائرات المسيرة الانتحارية على قواعد أمريكية في العراق للأيام 17 و18 و19, منها قاعدة حرير في أربيل, وقاعدة عين الأسد, وقاعدة مطار بغداد الدولي, ورغم أن مثل هذه الهجمات لا تستهدف بشكل مباشر جيش الكيان الصهيوني إلا أنها تقدم الدعم المعنوي للفصائل الفلسطينية المشتبكة بالقتال معه لاسيما

وأن تصريح بايدن الأخير في تل أبيب قد آثار موجة من الغضب لدى الغالبية العظمى من العرب, حينما قال بالحرف الواحد أثناء زيارته لها يوم 17 ت1 (لو لم تكن هنالك إسرائيل لصنعنا نحن الأمريكان إسرائيل أخرى هنا في هذا المكان).

مما تقدم, يتضح أن الحرب المفتوحة قد جرى تطبيق كل مبادئها الأساسية تقريبًا في مواجهة أو معركة طوفان الأقصى, إذ نجد أن تعدد الساحات كان من أول المبادئ المطبقة. فضلًا عن الابتكار غير المسبوق للوسائل المتبعة في تصعيد الصراع, كذلك الاختيار الدقيق لأين ومتى وكيف نقاتل. يُضَاف إلى ذلك أن سمة هذه المواجهة أنها لم تخرج من محددات الحروب الهجينة, إذ امتلك العدو كل مقومات القوة إلا أنه فشل في المواجهة في جميع مراحلها لا سيما المرحلة الابتدائية منها, حين بُوغِت بشكل كامل بالتوقيت والمكان والأسلوب.

الاستمرارية ومجابهة التوغل الصهيوني

الميزة الأكثر أهمية في ما حصل, اعتبارًا من السابع من تشرين الأول وحتى الآن, هي القدرة العالية لفصائل المقاومة الفلسطينية في المطاولة والاستمرارية, إذ تميزت هذه الفصائل ورغم كل القدرات المسخرة من قِبَل العدو الصهيوني لشل أو تدمير قدرات المقاومة أو على أقل تقدير تحييد إمكانياتها في القدرة على إيقاف الاندفاع والتوغل الصهيوني في المحاور المختلفة, كذلك في إيقاف الاستخدام المبرمج لوسائل الإطلاق الناري باتجاه غلاف غزة والمدن الصهيونية الأخرى. هذه المطاولة والاستمرارية هي محصلة لجملة من التراكمات والإمكانيات التي تتمثل بما يأتي:

1. التخطيط المسبق قبل العملية من قِبَل القائمين على التخطيط لأخذ كل الاحتمالات بنظر الاعتبار, ووضع المعالجات لكل حالة محتملة.

> **التنسيق الاستخباري عالي المستوى الذي مكَّن فصائل المقاومة من أن تصل إلى مستوى عالٍ من المعرفة المسبقة بكل قدرات العدو العسكرية ومن ثم تسخير الإمكانيات المتاحة لتحييد تلبك القدرات.**

2. التنسيق الاستخباري عالي المستوى الذي مكَّن فصائل المقاومة من أن تصل إلى مستوى عالٍ من المعرفة المسبقة بكل قدرات العدو العسكرية, ومن ثم تسخير الإمكانيات المتاحة لتحييد تلبك القدرات.
3. المرونة المتأتية من الاستخدام الأمثل لمبادئ الحرب المفتوحة والحرب اللامتماثلة, إذ يصعب على العدو التعامل مع المجاميع المنفذة؛ كونها غالبًا ما تعمل وسط الناس.
4. القراءة المسبقة المبنية على تحليل علمي لردود فعل العدو, والناجمة عن المواجهات السابقة, إذ من النادر أن يغير العدو بطبيعة ردود فعله؛ لمحدودية إمكانيات ذلك.
5. تحليل منطقة العمليات, سواء للقطاع بمدنه الخمسة والمحاور المحتملة للعدو أو في المناطق المأهولة بالمستوطنين في غلافها, أي (غلاف غزة), كذلك أماكن انفتاح القطاعات الصهيونية, سواء في معسكراتها الدائمية أو في أماكن انفتاحها لأغراض العمليات, ساهم بشكل مباشر في خلق تصور مسبق لمجرى الحوادث المحتمل, وهذا الأمر دفع باتجاه إمكانية الاستمرارية والمطاولة.

> التفوق الجغرافي لصالح العرب من حيث السعة الجغرافية والتنوع البيئي والطوبوغرافي وهذا الجانب تطلب أن تكون نظرية الأمن الصهيوني قادرة على معالجة ذلك.

أمام كل ذلك فإن الأنماط القتالية التي ساهمت في الاستمرارية والمطاولة, رغم التوغل الصهيوني, تتمثل بما يأتي:

1. استمرار قصف المدن الصهيونية, وبمختلف أنواع القذائف والصواريخ, وبمعدل يومي تجاوز في أحيان كثيرة المائة صاروخ أو قذيفة في اليوم الواحد.
2. العملية القتالية اليومية التي تستهدف الأرتال التي تحاول زيادة رقعة الاختراق.
3. الاستهداف المبرمج للآليات, سواء عن بعد أو بكمائن قريبة.
4. عمليات المحاصرة التي شهدتها العديد من المناطق, إذ يجري جر العدو إلى منطقة قتل, ومن ثم محاصرته والانقضاض عليه.

المبحث الثاني
التوغل الصهيوني, قراءة عملياتية

نظرية الأمن الصهيوني بين التأرجح والحضور المتأخر

بُنيت نظرية الأمن الصهيونية, قبل وبعد عام 2006 وما لحق بها من المتغيرات الحادة التي حصلت بين الأعوام 2014 2022-, على مجموعة الحقائق التي من الصعب تجاوزها دون إيجاد أساليب أو وسائل مقابلة تكون قادرة على التقليل من تأثيراتها على الأمن الصهيوني, ويمكن إجمالها بما يأتي[5]:

1. التفوق الجغرافي لصالح العرب من حيث السعة الجغرافية والتنوع البيئي والطوبوغرافي, وهذا الجانب تطلب أن تكون نظرية الأمن الصهيوني قادرة على معالجة ذلك رغم محدودية المساحة الكلية للكيان وانعدام العمق السوقي.
2. التفوق الديمغرافي: الذي يكون هو الآخر لصالح العرب وبنسبة كبيرة تتجاوز الـ 1 إلى 47, إذ تشير الإحصائيات إلى أن العدد الكلي لسكان الوطن العربي قد وصل نهاية عام 2023 إلى 473 مليون, في الوقت الذي لم يتجاوز عدد سكان فلسطين المحتلة العشرة ملايين, بما فيهم عرب عام 1948 الذين يبلغ عددهم أكثر من 1,75 مليون. وهذا الجانب انعكس سلبًا على قدرة الكيان في المجابهة, ليس على مستوى سكان الوطن العربي ككل, بل على مستوى مجابهة الفلسطينيين في قطاع غزة والضفة الغربية الذين يبلغ عددهم أكثر من 14,630 مليون, قرابة الخمسة ملايين منهم في غزة, إذ تدور المجابهات العسكرية هناك.
3. الإمكانيات المتيسرة: تزخر البلدان العربية, وعلى مختلف الأصعدة, بإمكانيات تفوق الكيان الصهيوني بمئات المرات, ورغم أن الأنظمة العربية

المسيطرة على تلك الموارد قد تكون غير راغبة في الدخول بصراع ذي جانب اقتصادي مع الكيان الصهيوني, إلا أن هنالك إمكانية لتسخير جزء من هذه الإمكانيات, وهذا ما حصل حرب عام 1973 حينما اتفق العرب في مؤتمر القمة على إيقاف تصدير النفط. فضلًا عن ذلك فإن مقاطعة الشركات التي تساند الكيان, والتي يجري اتباعها الآن, هو الآخر سلاح تخشاه الإدارة الصهيونية.

أما عن الثوابت المُعتمَدة في نظرية الأمن الصهيوني فهي[6]:

1. الردع: أي أن جيش الكيان الصهيوني يجب أن يكون قادرًا, وتحت كل الظروف, على توجيه الضربة الاستباقية أو الضربة الوقائية أو الإجهاضية[7], دون أي تأخير, كون الطبيعية الجيوبولتيكية للكيان لا تستطيع تحمل الضربة الأولى, والكيان قد صمم قدراته القتالية على أساس أنها قادرة على تحقيق الردع السوقي, إلا أنه يعول على الردع العملياتي لإدراكه بأنه الأكثر قدرة بحكم تعدد الجبهات والساحات المعادية للكيان.

2. الإنذار: يشغل الجانب الاستخباري الحيز الأكبر من مساحات عمل نظرية الأمن الصهيونية, لذلك نجد أن الكيان اعتمد على مجموعة أجهزة استخبارية في مقدمتها الموساد, وأمان, واستخبارات القوة الجوية والبحرية, والاستخبارات التعبوية. فضلًا عن وجود وزارة متخصصة في شؤون التنسيق الاستخباري. ولعل تجارب عام 1973 و2006 قد دفعت العدو بالعمل الجدي من أجل خلق منظومة إنذار متكاملة حسب تصورهم عن أي نوايا عدوانية تجاه الكيان من أي طرف كان الإنذار, إذًا, بالمعنى الاستراتيجي، يكون باستشراف نوايا العدو ومعرفة قدراته. الإسرائيلي يعتقد بأنه لا يستطيع أن يخوض معارك واسعة مفتوحة لأسباب اقتصادية وديمغرافية.

3. الحسم: هو العمل بكل الوسائل المتاحة, حتى تلك المحرمة دوليًّا, على أن تكون النتيجة النهائية لصالحه, كونه يدرك بأن التوزان في النتائج سيؤدي حتمًا إلى ميلان الكفة لفصائل المقاومة بشكل خاص أو العرب بشكل عام, وقد أثبتت التجارب مع حزب الله وحماس ذلك, فجميع المواجهات التي لم تنتهِ بالحسم لصالح الكيان, خسر على إثرها الكثير من مرتكزات قوته.

> **بعد أن باتت المستوطنات الصهيونية على مرمى حجر من صواريخ المقاومة اللبنانية إذ وجد العدو أن نظرية الأمن لم تكن قادرة على درء الخطر مما يتطلب أن تكون هنالك أسبقية عالية في تأمين أمن داخلي.**

4. حماية الجبهة الداخلية: وهو البند الرابع في نظرية الأمن الصهيونية الذي تم إدخاله عام 2006, بعد أن باتت المستوطنات الصهيونية على مرمى حجر من صواريخ المقاومة اللبنانية, إذ وجد العدو أن نظرية الأمن لم تكن قادرة على درء الخطر, مما يتطلب أن تكون هنالك أسبقية عالية في تأمين أمن داخلي يضمن استمرار الحياة الطبيعية عند احتدام المواجهات على الجبهات الحدودية, ويمكن عدّ مقلاع داوود والقبة الحديدية [8], بكل مكوناتها, جزءًا عمليًّا من تطبيق هذا البند, إذ كانت الغاية من هذه الإجراءات التي كلفت الكيان الصهيوني العشرات من مليارات الدولارات هو لخلق بحبوحة أمان للمستوطنين لا سيما بعد ظهور بوادر الهجرة من الأراضي المحتلة والعودة إلى أوربا للكثير من اليهود بعد شعورهم بفقدان الأمان وضعف القدرة الصهيونية على حماية الجبهة الداخلية.

مبـررات التوغـل وفـق العقيـدة القتاليـة لجيـش الكيـان الصهيونـي

علـى الرغـم مـن مـرور فتـرة ليسـت بالقصيـرة علـى بـدأ عمليـات طوفـان الأقصـى التـي بـدأت مـع الضيـاء الأول ليـوم 7 ت1 وحتـى اليـوم, إلا أنهـا لاتـزال تشـكل الحـدث الأكثـر أهميـة علـى مسـتوى الصراعـات ذات الطابع العنيـف علـى مستوى العالـم, لأسـباب متعـددة يمكـن إجمالهـا بمـا يأتـي:

1. إنهـا امتـداد لصـراع مضـى عليـه أكثـر مـن ثمانيـن عامًـا دون حسـم.
2. يشـكل الصـراع أهميـة جيوسـتراتيجية لغالبيـة الـدول المطلـة علـى البحـر المتوسـط. فضـلًا عـن أهميتـه للـدول الإسـلامية والعربيـة الأخـرى.
3. الصـراع هـو امتـداد الصراعـات بينيـة أخـرى تشـكل إيـران وفصائـل المقاومـة الإسـلامية أحـد أطرافهـا, وأمريـكا والكيـان الصهيونـي الطـرف الثانـي.
4. يأتـي الصـراع بعـد منازلـة سـيف القـدس التـي خـرج منهـا الطرفـان متعادليـن, رغـم أن الكفـة كانـت تميـل في حينهـا لفصائـل المقاومـة الفلسـطينية.
5. الصـراع جـاء في فتـرة عـدم الاسـتقرار في الداخـل الصهيونـي بعـد التظاهـرات والاحتجاجـات والرفـض الشـعبي للسياسـات وللحكومـة القائمـة.
6. أدوات الصراعـات مختلفـة عـن سـابقاتها, ممـا دفـع بالجميـع إلـى الترقـب والتحسـب, ومعرفـة مـا سـيؤول إليـه الصـراع في نتيجتـه النهائيـة.
7. الاسـتخدام المفـرد للقـوة مـن قِبَـل جيـش الكيـان الصهيونـي يقابلـه عمليـات انتقائيـة مبرمجـة مـن قِبَـل فصائـل المقاومـة.
8. دخـول الصـراع مرحلـة المواجهـة المباشـرة مـن خـلال القتـال في المناطـق المبنيـة والمأهولـة, أعطـى للصـراع بعـدًا آخـر.

9. استمرارية الصراع رغم عدم تكافؤ موازين القوى من حيث مكونات القوة.
10. جاء الصراع بعد فشل نوبة التطبيع بين الكيان الصهيوني وبعض الدول العربية والإسلامية مما عقد الموقف السياسي للصراع.
11. رغم إعلان الهدنة الإنسانية المؤقتة لمدة أربعة أيام, اعتبارًا من الخميس 28 تشرين الثاني 2023, إلا أن العمليات العسكرية عادت وبقوة من جديد حال انتهاء الهدنة, وقد رفع العدو من مستوى استخدام وسائل التدمير تجاه المدنيين والبنية التحتية إلى أقصى حد.

ما جاء أعلاه كان مبررًا ودافعًا للكيان الصهيوني وجيشه الذي يبحث عن أي وسيلة للحفاظ على ماء الوجه من أن يقرر اقتحام غزة على أمل أن يكون هذا الاقتحام مدعاة لإيقاف حالة الغضب والانتقاد المتصاعدة التي تعرض لها الجيش الصهيوني والقيادة العسكرية والسياسية. وعليه فإن من أهم دوافع ومبررات هذا التوغل من الناحية العسكرية ما يأتي:

1. محاولة لكسر شوكة المقاومة من خلال إقحامها في القتال في المناطق المبنية والمأهولة.
2. الاندفاع, وحسب وجهة النظر العسكرية الصهيونية, يمكن أن يوقف الهجمات المستمرة على غلاف غزة ورميات الصواريخ تجاه باقي مناطق فلسطين المحتلة.
3. إن لم تستطع هذه العملية العسكرية البرية من أن تحقق الهدف أعلاه فإنها, وعلى أقل تقدير, يمكن أن تقلل وإلى أدنى حد تلك الهجمات والرميات.
4. تكمن الغاية الأساسية في الاندفاع في أنها تستهدف مراكز القيادة والسيطرة لكتائب القسام والجهاد الإسلامي.
5. الأنفاق وتشعباتها كانت الشغل الشاغل للقيادة العسكرية الصهيونية, ولذلك فإن من أهم أهداف أو دوافع عملية الاقتحام هو محاولة تدمير الجزء الأكبر من هذه الأنفاق, إذ سبق للعدو أن ادعى بأنه استطاع تدمير خمسة أنفاق في شمال قطاع غزة, ونفقين في جنوبها.
6. بالتأكيد يحاول العدو, من خلال اقتحامه لقطاع غزة, أن يثير غضب أهالي القطاع ضد فصائل المقاومة؛ كون الاقتحام والتوغل سيزيد أضعاف المرات نسبة الخسائر بين صفوف المدنيين, وكذلك في البنية التحتية لمدن القطاع.
7. العدو يحاول جاهدًا من خلال اندفاعاته المتعددة الوصول إلى غايته الأعلى المتمثلة في تقطيع أوصال القطاع, وعزل منطقة عن الأخرى؛ بغية البدء بمرحلة لاحقة تتمثل في تأمين كل منطقة بمعزل عن الثانية ومنع التعاون بين الفصائل.
8. في كل الأحوال فإن الاندفاع البري يشكل تحديًّا جديدًا لجيش الكيان الصهيوني لأثبات قدرته على مواجهة فصائل المقاومة بعد أن فشل فشلًا ذريعًا في الأسبوع الأول من المواجهة.

يحاول العدو جاهدًا من خلال اندفاعاته المتعددة الوصول إلى غايته في تقطيع أوصال القطاع وعزل منطقة عن الأخرى بغية البدء بمرحلة لاحقة تتمثل في تأمين كل منطقة بمعزل عن الثانية.

> إن القتالات تجري غالبًا وسط مناطق مبنية مما يجعل من الصعب على العجلات والأفراد الحركة بحرية كبيرة وبالتالي فإن الحركة تحتاج إلى تكتيكات وتعبئة خاصة تتناسب مع مدينة.

التوغل الصهيوني ومحددات القتال في المناطق المبنية والمأهولة

في البدء لا بد من التركيز على جانب مهم وحيوي, يتمثل في أن من أصعب أنواع القتالات على الجيوش, حتى تلك المدربة تدريبًا عالي المستوى وتملك القدر الأكبر من التقنيات وامتلاكها لطيف واسع من الأسلحة والأعتدة والتجهيزات, هي القتالات الخاصة المتمثلة بالقتال في المناطق المبنية وعلى وجه التحديد المأهولة منها, فإن هناك جملة من التحديدات التي تُفرَض على القطاعات عند القتال في المناطق المبنية. هذه التحديدات وُضِعت وسُطِرت من خلال تجارب لحروب سابقة, واعتُمِدت كأساس, وبقيت متداولة دونما تغيير, رغم كل المتغيرات التي حصلت على طبيعة القتال في المناطق المبنية خاصة بعد التطورات الحاصلة في هذا المجال, رغم أن أغلب الوسائل التي كانت سائدة حينها في القتال من هذا النوع قد تطورت إلى وسائل أكثر حداثة وأشد فتكًا وأكثر دقة, وعليه فإن الأمر يتطلب إعادة نظر جذرية في هذه المتطلبات, مع إبقاء ما ورد منها في الأدبيات العسكرية الرسمية إذا ما دعت الضرورة التعبوية لذلك شريطة أن تكون ملائمة ومتطابقة مع متطلبات القتال الحالية. وعليه يمكن إجمال التحديدات بما يلي[9]:

أ. محدودية الحركة وتأثيرها: إذ إن هذه القتالات تجري غالبًا وسط مناطق مبنية مما يجعل من الصعب على العجلات والأفراد الحركة بحرية كبيرة, وبالتالي فإن الحركة تحتاج إلى تكتيكات وتعبئة خاصة تتناسب مع طبيعة بناء كل مدينة أو كل قسم منها.

ب. إمكانية تغيير المعلومات: إذ غالبًا ما يصعب جمع المعلومات التفصيلية عن المدينة بالنسبة للمهاجم، خاصة إذا أُجرِيَت تعديلات غير مؤشرة أو غير معلومة على منظومات البنية التحتية أو إضافة فضاءات جديدة كأحياء للسكن بشكل رسمي أو على شكل عشوائيات (أحياء عشوائية).

جـ. صعوبة التمويه والاختفاء: وهذا التحديد يطبق على كِلا الطرفين(المدافع والمهاجم), فقد يحتاج المهاجم استخدام القوة لكشف مواضع العدو, وبالتالي يفقد إمكانية الاختفاء والمخادعة، ونفس الأمر ينطبق على المدافع الذي عليه منع العدو من التوغل مما يتطلب استخدام القوة, وبالتالي كشف موضعه مبكرًا.

د. صعوبة تأمين الإسناد الناري: تُفرَض الكثير من التحديدات على استخدام المدفعية والإسناد الجوي والسمتي, وحتى في بعض الأحيان استخدام الهاونات المتوسطة والثقيلة, وغالبًا ما تجري المعارك باستخدام الأسلحة الخفيفة والمتوسطة، والتحديدات المفروضة سببها أن الاستخدام المفرط للإسناد الناري قد يؤدي إلى إحداث تخريبات أكبر للمدينة, وهذا الأمر ينعكس سلبًا على مجرى القتال لكِلا الطرفين وكما يلي:

أولًا: المدافع: ستزداد الأعباء, وتُقطَع الطرق أمام قوات الاحتياط أو الإسناد, ويتخذ المهاجم من الأبنية المدمرة أماكن للاختفاء؛ كون معالمها قد تغيرت, كما أنه بفقدان الأبنية نتيجة تدميرها قد تُفقَد الكثير

مـن الأبنيـة العاليـة المشـرفة التـي يمكـن اسـتخدامها لأغـراض المراقبـة والرصـد او كمراكـز مقاومـة.

ثانيًـا: المهاجـم: سـتعيق وإلـى حـد كبيـر الأبنيـة المدمـرة حركـة قطاعاتـه تجـاه الأهـداف التـي خطـط لاحتلالها, كما أن كمائـن وقناصة المدافعين سيتخذون منهـا أماكـن لمقاتلـة القـوة المهاجمـة، الدبابـات والعـجلات المدرعـة سـتتحدد حركتهـا إلـى حـد كبيـر دون وجـود معـدات هندسـية كافيـة لفتـح الطـرق التـي أُغلِقـت نتيجـة التدميـر.

ثالثًـا: تمنـح الأبنيـة المدمـرة فرصـة كبيـرة للمدافـع مـن أجـل تطبيـق تعبئـة المسـافة صفـر في حيـن أنهـا ستشـكل خطـورة علـى المهاجـم؛ كونهـا تعطـي فرصـة أكبـر لاتبـاع هـذه التعبئـة.

هـ. المناطـق المأهولـة بالسـكان المدنييـن: يُعَـدُّ السـكان المدنيـون والمناطـق المأهولـة مـن أكثـر التحديـات خطـورة علـى كِلا الطرفيـن, رغـم أن المدافـع قـد يميـل في بعـض الأحيـان إلـى اسـتخدام هـؤلاء كـدروع بشـرية، إذ يتطلـب وجـود المدنييـن داخـل المدينـة الكثيـر مـن الإجـراءات, كمـا أنـه يعيـق إلـى حـد كبيـر تنفيـذ الخطـط الموضوعـة سـلفًا لا سـيما إذا مـا فوجـئ المهاجـم بوجـود المدنييـن، في حيـن يعانـي المدافـع ممـا يترتـب علـى وجودهـم نتيجـة حاجاتهـم ومتطلباتهـم لا سـيما احتياجاتهـم الإنسـانية والغذائيـة والصحيـة التـي تثقـل كاهـل منظومـة الدعم اللوجسـتي للمدافـع, إضافة إلـى الخروقـات الأمنيـة المصاحبـة لوجودهـم حينمـا يسـتطيع العـدو زرع عناصـر مـن المدنييـن بمثابـة عيـون لـه.

و. المعالـم الصناعيـة: هـذه المعالـم إن لـم يكـن قـد جـرى تحديدهـا مسـبقًا بدقـة عاليـة فإنهـا تُعَـدُّ واحـدة مـن التحديـدات التـي تزيـد مـن تعقيـد القتـال في المناطـق المبنيـة, فهـي تعطـي للمدافـع إمكانيـات مضافـة بالسـتر والرصـد والاختفـاء, ممـا يتطلـب مـن المهاجـم تجنبهـا في ذات الوقـت ورغـم أنهـا تحـدد وإلـى درجـة كبيـرة قـدرة المهاجـم علـى المنـاورة إلا أن

> تمنح الأبنية المدمرة فرصة كبيرة للمدافع من أجل تطبيق تعبئة المسافة صفر في حين أنها ستشكل خطورة على المهاجم كونها تعطي فرصة أكبر لاتباع هذه التعبئة.

احتلالهـا مـن قِبَلـه سـيمكِّنه مـن إضافـة صعوبـات كبيـرة علـى القـوة المدافعـة.

ز. تحديـدات الاتصـالات: يسـبب ذلـك ولـكِلا الطرفيـن خـللًا كبيـرًا في منظومـة القيـادة والسـيطرة؛ نتيجـة الحجـب الحاصـل بسـبب الأبنيـة, ورغـم أن التقنيـات الحديثـة قـد تجـاوزت الكثيـر مـن هـذه المعاضـل إلا أنهـا لا تـزال تؤثـر بشـكل أو بآخـر علـى قـدرة منظومـة القيـادة والسـيطرة في المناطـق المبنيـة.

ح. الضغـوط النفسـية: هـذا التحديـد يفـرض علـى القطعـات المشـتركة في القتـال في المناطـق المبنيـة للأسـباب الآتيـة:

أولًا: اسـتمرار المعـارك وعـدم توقفهـا عكـس مـا هـو عليـه الحـال في المعـارك التقليديـة.

ثانيًـا: الخسـائر العاليـة, وخاصـة عنـد اسـتخدام الطرفيـن للقنـص أو الأسـلحة ذات القـدرة التدميريـة العاليـة.

ثالثًـا: عـدم إمكانيـة تحديـد جهـة للقتـال, إذ غالبًـا مـا يجـري القتـال واسـتخدام النيـران مـن جهـات متعـددة ممـا يجعـل مـن الصعوبـة تلافي النيـران بـأي وسـيلة كانـت.

ط. شكلت الأنفاق في قتالات المدن الكثير من المعاضل للمهاجم, إذ إنها منحت المدافع قدرة أكبر على التخطي, كما أنها أعطته مرونة واسعة في مجال المناورة, إلا أنها في الوقت ذاته تعاني من الوهن لا سيما إذا ما استخدم المهاجم العوامل الكيمياوية في مداخلها أو منافذها أو عند استخدام القذائف ذات القدرات التدميرية العالية القابلة لاختراق المنعات والسقوف.

التحديدات المستحدثة والمضافة

ما ذُكِر أعلاه هو ما يمكن أن نطلق عليه التحديدات الأساسية التي قد تعترض القتال في المناطق المبنية والمأهولة إلا أن هنالك تحديدات أخرى مضافة ومنها:

أ. في البدء لا بد من إيضاح مدى الاختلاف في المفاهيم سواء في الدفاع والهجوم في حروب الجيل الرابع, وخاصة عندما تجري تلكما الصفحتين في عمليات تطهير المدن أو ما يمكن أن يُطلَق عليه (القتال في المناطق المأهولة) وليس (المبنية) كون أن هناك اختلاف كبير وجوهري بين كِلا المفهومين، فمن السهولة بمكان للمهاجم أن يخوض معارك تطهير مناطق مبنية وفق الأساليب المعتمدة لقتال وتطهير المدن, إلا أن الصعوبات تزداد إلى أقصى حدودها حينما يخوض المهاجم تلك المعارك في مناطق مأهولة وذات كثافة سكانية عالية, إذ تبرز إلى الوجود الكثير من المعاضل التي تجعل المهاجم أكثر مما هو عليه الحال لو كانت تلك المناطق غير مأهولة بالسكان, ومما يمكن ذكره هنا ما يلي[10]:

أولًا: إن المدن أو الأحياء المأهولة تتطلب من المهاجم أن يتعامل بأقصى درجات الحذر في استخدام الأسلحة المتيسرة لديه في كل مراحل عمليات التطهير.

ثانيًا: تفرض تلك المدن أو الأحياء تحديدات كبيرة على استخدام الإسناد الناري المألوف, إذ يتطلب الأمر

في أغلب الأحوال تنفيذ ما يُطلَق عليه بالمدفعية (الرميات الدقيقة), وهي رميات ذات طابع فني تحتاج إلى تدريب عالي المستوى, كما أنها غالبًا ما تكون مصحوبة بالتأخير؛ لكونها تتطلب الكثير من الدقة.

ثالثًا: تتحدد وإلى درجة كبيرة إمكانية معالجة الأهداف المتحركة التي غالبًا ما يعتمدها العدو, والمتمثلة بالعجلات المفخخة, إذ إن وجود السكان المدنيين يجعل من الصعب التعامل الفوري مع كل عجلة متحركة, خاصة في مناطق الاشتباكات التي تحصل فيها إصابات بين صفوف المدنيين مما يتطلب إسعافهم أو نقلهم بواسطة العجلات التي تُستغَل لغرض دفع عجلات مفخخة في ذات الوقت باتجاه القطعات القائمة بالتطهير أو بإخلاء الإصابات في صفوف المدنيين.

رابعًا: غالبًا ما يكون المواطنون في تلك المدن ذوي ولاءات متعددة وغير مستقرة تبعًا لحالة الاقتتال على الأرض, وهذا الأمر قد يؤثر, وبدرجة كبيرة, على سير المعركة وكذلك على مصداقية ودقة المعلومات الاستخبارية الواردة.

خامسًا: الصعوبات البالغة التي تكتنف عمليات التطهير خاصة إذا ما بدأت موجات النازحين بالتحرك أثناء احتدام المعارك مما يتطلب تخصيص هيئات ركن وعناصر سيطرة على السابلة, وأماكن للإيواء, وممرات آمنة, إضافة إلى الحاجة إلى الدعم اللوجستي والطبي. فضلًا عن ما يشكله النزوح أثناء المعارك من مخاطر أمنية تتمثل في استغلال العدو للعوائل النازحة للهروب او التملص أو القيام بعمليات انتحارية تُنفَّذ من قِبَل نساء أو أطفال أثناء حركتهم خارج المدينة ومرورهم بقطعات التطويق أو السيطرات الكائنة على مداخل ومخارج المدن.

سادسًا: المعلومات الاستخبارية الواردة من داخل تلك المدن, وخاصة خلال عمليات التطهير غالبًا ما تكون سلاحًا ذي حدين, ففي حالة إهمالها قد تكون هذه المعلومات صحيحة وبالتالي قد تخسر القطعات فرصة مؤاتية أو قد يُراد من هذه المعلومات إيقاع الخسائر بالقطعات, لذلك يجب أن يكون ضباط الاستخبارات أثناء عمليات التطهير على قدر عالٍ من المهنية والاحترافية.

أن المدن المأهولة تضيف أعباء أكبر على المهاجم حتى في عديد القوات المشاركة لأغراض الاقتحام والتطهير.

سابعًا: في أكثر الأحوال فإن فرص استخدام القوة الجوية وطيران الجيش لمساندة المهاجم تكون في أدنى مستوياتها؛ لصعوبة استخدام المقذوفات وحتى الذكية منها.

ب. وهكذا نجد أن المدن المأهولة تضيف أعباء أكبر على المهاجم حتى في عديد القوات المشاركة لأغراض الاقتحام والتطهير, كما أن المتطلبات الإدارية والدعم اللوجستي وحتى حجم هيئات الركن للتشكيلات القائمة بالتطهير تكون أكبر بكثير من تلك التشكيلات التي تقوم بتطهير المدن غير المأهولة، وما يتعلق بالربط بين الحالتين (المأهولة وغير المأهولة) وعلاقة ذلك بحروب الجيل الرابع، لا بد من العودة إلى ما ورد في كتاب (جدوى القوة) (لروبرت سمث) حينما أطلق على هذه الحروب تسمية (حروب وسط الناس), وهذا ما يعطيها شكلًا أكثر تعقيدًا من تلك الحروب التي تُخاض في جبهات بعيدة عن المناطق المأهولة. إن التحديات التي تُفرَض في مثل هذه المعارك والحروب تكاد أن تكون

مقيدة ومحددة لطرفي النزاع (المدافع والمهاجم), وغالبًا ما تقتضي الضرورة أن يتخلى كِلا الطرفين أو أحدهما عن العديد من المميزات التي يمتلكها منعًا لإحداث الخسائر بين المدنيين.

جـ. إن أكثر التحديدات تأثيرًا في الوقت الحاضر, هي الفرص المتاحة لدى طرفي النزاع عند خوض القتال في المناطق المبنية في مجال استخدام تقنيات المراقبة والاستطلاع الجوي بواسطة الطائرات المسيرة ذات الأحجام الصغيرة التي يصعب إسقاطها أو السيطرة عليها, مما يتطلب التعامل بحذر عند نشر القوات أو حركتها حتى ليلًا, وذلك لامتلاك هذه الطائرات وسائل مراقبة (كاميرات) ذات خصائص تجعلها تعمل ليلًا وفي ظروف الرؤية الرديئة.

د. التحديد الآخر هو ارتفاع نسبة استخدام وسائل التفخيخ والتفجير عن بعد التي أصبحت من أكثر سمات القتال في المناطق المبنية, إذ يعتمد المدافع في إنشاء منظوماته الدفاعية على شكل خطوط متعاقبة من وسائل التفخيخ (عبوات ناسفة، عجلات مفخخة مركونة على الطريق سواء مدمرة أو غير مدمرة، تفخيخ الطرق، تفخيخ أعمدة الكهرباء وغيرها), والمهاجم هو الآخر زاد من استخدامه للعجلات المفخخة التي يقودها الانتحاريون, وخاصة إذا كان المهاجم عدو غير نظامي.

> إن أكثر التحديدات تأثيرًا في الوقت الحاضر هي الفرص المتاحة لدى طرفي النزاع عند خوض القتال في المناطق المبنية في مجال استخدام تقنيات المراقبة والاستطلاع الجوي بواسطة الطائرات المسيرة.

الانفتاح المقابل وأساليب التصدي والقدرات الدفاعية

في البدء لا بد من قراءة عسكرية لجغرافية قطاع غزة؛ كونها هي المسرح القتالي الأهم في مواجهة طوفان الأقصى. فقطاع غزة هو أحد الألوية الجنوبية في فلسطين التاريخية. يقع في الجزء الجنوبي الغربي من فلسطين، تحده جنوبًا مصر، وغربًا البحر الأبيض المتوسط، وتطوّقه أقضية بئر السبع والخليل والرملة من بقية الجهات. بلغت مساحة قضاء غزة 1111.5 كيلومترًا مربعًا، وضم 3 مدن رئيسة هي: المجدل وغزة وخانيونس، و54 قرية وبلدة منها: بيت حانون ودمره وهوج وعراق المنشية وحمامة وكوكبا ودير سنيد وغيرها. قُسّمت لاحقًا إلى خمس محافظات هي (غزة الشمالية – بيت لاهية, وغزة ودير البلح, وخان يونس ورفح)، وعمل أهلها في الزراعة وصيد السمك والصناعات الخفيفة، منها النسيج الذي تميزت به المجدل، ودباغة الجلود والتصدير وغيرها، كما ضم سكة حديد، كانت تربطه بمصر.

بعد نكبة عام 1948، انقسم قضاء غزة على قسمين: قسم يتبع الإدارة المصرية بمساحة 365 كيلومترًا مربعًا واسمه «قطاع غزة»، في حين سيطر الاحتلال على ما تبقى من مساحة في القسم الآخر الذي سماه «غلاف غزة»، وأسس عليها 50 مستوطنة وكيبوتس، منها: «سديروت»، و«العين الثالثة»، و«أشكلون»، و«نيرعام»، و«رعيم»، و«بئيري» وغيرها . ظل قطاع غزة تحت الإدارة المصرية حتى احتلاله في الأيام الأولى من حرب 1967، ليبدأ في قلب القطاع عهد المستوطنات التي انتشرت على 3 كتل رئيسة: شمالًا, وضمت «نيسانيت» و«إيلي سيناي» و«دوغيت»، ووسطًا «نتساريم» و«كفارداروم»، وجنوبًا, تجمع «غوش قطيف» الاستيطاني الذي امتد

في الجانب الغربي من مدينتي رفح وخانيونس, وحرم هاتين المدينتين من امتدادهما إلى شاطئ البحر. كانت الغاية الأساسية من تلك المستعمرات هو خلق إطار دفاعي, يمكن من خلاله منع أي عملية فدائية لا سيما أثناء تصاعد تلك العمليات أواخر الستينات في 13 أيلول عام 1993, حينما وقَّع رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات ورئيس الحكومة الصهيونية حينها رابين على اتفاقيات أوسلوا التي أعلن الجانب الفلسطيني من جانبه حينها إيقاف الأعمال العسكرية تجاه الصهاينة. هذه المستوطنات في حقيقتها لم تكن مستوطنات تقليدية, بل كانت أقرب ما يكون إلى مراكز مقاومة دفاعية تتوفر فيها كل سبل القتال[11].

ظل قطاع غزة تحت السيطرة الإسرائيلية الأمنية والمدنية الكاملة حتى نهاية عام 1993. بعدها جرى توقيع اتفاق أوسلو، وتأسيس السلطة الفلسطينية على أجزاء من أراضي القطاع والضفة الغربية، لتنسحب قوات الاحتلال من مراكز المدن وتتمركز داخل المستوطنات والمواقع العسكرية والحواجز المحيطة بها. ظل الوضع على ما هو عليه حتى اندلاع انتفاضة الأقصى عام 2000، التي انتهت بالاندحار الإسرائيلي الكامل من قطاع غزة عام 2005، لتصبح غزة أول أرض فلسطينية تخلو من أي وجود عسكري مباشر لجيش الاحتلال، رغم حصارها برًّا وبحرًا وجوًّا.

قسمت السلطة الفلسطينية هيكلها الإداري إلى محافظات شمالية(الضفة الغربية), ولسنا بصددها هنا، ومحافظات جنوبية(قطاع غزة), وانقسم القطاع إلى خمس محافظات هي كالآتي :[12]

- محافظة الشمال:
- تقع في أقصى شمال قطاع غزة، وتضم مدن بيت لاهيا وبيت حانون وجباليا ومخيم جباليا (أكبر مخيمات اللاجئين في القطاع)، إضافة إلى عدد من القرى مثل القرية البدوية وأم النصر.

من غير المعلوم طبيعة الأنفاق التي جرى إنشاؤها تحت مدينة غزة إلا أن الصهاينة يعتقدون أنها العصب النابض للمقاومة الفلسطينية.

- تحدها من الشمال والشرق الأراضي المحتلة، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب محافظة غزة.
- يبلغ عدد سكان المحافظة 388.977 نسمة، وفقًا لإحصاءات عام 2022.
- تضم المحافظة عددًا من المقرات الحكومية, ومكاتب المنظمات الدولية والأهلية والشركات الخاصة، وعددًا من الأسواق.
- يعتمد القطاع الصحي فيها على 3 مستشفيات رئيسة هي: كمال عدوان والإندونيسي التابعان لوزارة الصحة، والعودة التابع للجان العمل الصحي.
- على حدود المحافظة يقع معبر بيت حانون «إيريز» الإسرائيلي، الواصل بين قطاع غزة والأراضي المحتلة عام 1948، والمخصص لسفر السكان، وعبور الشخصيات الدولية والسياسية من وإلى غزة.
- غالبًا ما تكون ذات أسبقية عليا في أي عملية توغل صهيوني, كما أنها تُعَدُّ أهم قواعد الدعم اللوجستي لفصائل المقاومة الفلسطينية. يحاول العدو في الغالب استهدافها من الجو؛ كونه يعتقد أن أغلب منصات إطلاق الصواريخ تتواجد فيها.
- محافظة غزة:
- تضم المحافظة إلى جانب مدينة غزة، مدينة الزهراء والمغراقة وقرية جحر الديك، ومن أكبر أحيائها الشجاعية والزيتون والرمال الجنوبي، ويقع فيها مخيم الشاطئ للاجئين.
- تحدها شمالًا محافظة شمال غزة، وشرقًا الأراضي المحتلة عام 1948، وغربًا البحر الأبيض المتوسط، ويفصلها وادي غزة جنوبًا عن المحافظة الوسطى.
- يبلغ عدد سكانها 893.932 نسمة، وفقًا لإحصاءات عام 2022، لتكون الأكبر من حيث عدد السكان على مستوى القطاع.
- عصبها الأساس مدينة غزة، التي تُعَدُّ العاصمة الإدارية والسياسية للقطاع، وفيها مقر الرئاسة سابقًا ومجلس الوزراء والمقار الرئيسة لكل الوزارات والأجهزة الأمنية والمدنية، والمنظمات الدولية والأهلية والخاصة، وأسواق ومعالم أثرية وتاريخية.
- يقع في مدينة غزة ميناء بحري ومرفأ الصيادين، ومهبط للطائرات العمودية, استخدمه الرئيس الراحل ياسر عرفات قبل تدميره من قِبَل جيش الكيان الصهيوني.
- يصلها بالأرض المحتلة معبر «كارني» المخصص للبضائع، الذي أغلقه الاحتلال واستبدل به معبر «كرم أبو سالم» جنوب القطاع.
- المدينة تُعَدُّ مركز الثقل الاستراتيجي لعموم قطاع غزة؛ كونها تشكل الثقل السياسي والسكاني.
- من غير المعلوم طبيعة الأنفاق التي جرى إنشاؤها تحت المدينة, إلا أن الصهاينة يعتقدون أنها العصب النابض للمقاومة ا لفلسطينية .

- العدو حاول وفي كل توغلاته السابقة أن يدمر أقصى ما يمكن من البنية التحتية للمدينة.
- كما أنه يستغل اتكاء المدينة على وادي غزة من الجنوب بعدّه أرضًا رخوة يصعب الدفاع عنها مما جعل الاندفاع إلى عمقها ممكنًا وإلى أعماق خطيرة.
- تميّزت مدينة غزة ببناء الأبراج السكنية والتجارية، التي يزيد ارتفاعها عن 5 طوابق، في حين حافظت باقي مناطق القطاع على بيوت وعمارات سكنية تتراوح من 3-5 طوابق، إضافة إلى النمط الإنشائي التقليدي المعتاد من البيوت الأرضية أو التي لا يزيد ارتفاعها عن طابقين.
- المحافظة الوسطى (دير البلح):
- فيها مجموعة من البلدات والمخيمات، وهي النصيرات ومخيمها والمغازي ومخيمها والبريج ومخيمها ودير البلح ومخيمها ووادي السلقا.
- يبلغ عدد سكانها 331.945 نسمة، بحسب إحصاءات عام 2022.
- تحدها شمالًا محافظة غزة، وجنوبًا محافظة خان يونس، وشرقًا الأرض المحتلة، وغربًا البحر الأبيض المتوسط.
- يقسمها شارع صلاح الدين إلى قسمين شرقي وغربي، ويجري فيها وادي السلقا، وليست لها أي معابر مع الاحتلال.
- تُعَدُّ مركزًا لتجمع مخيمات اللاجئين, لذلك فهي الداعمة كقوة قتالية لفصائل المقاومة.
- ضعيفة جغرافيًّا من حيث قدرتها على مقاومة اندفاعات العدو؛ كونها تستند في جناحها الشمالي إلى واحدي غزة.
- العدو يركز على مراكز الثقل العملياتية فيها لا سيما المخيمات, أي اندفاع فيها إلى العمق يؤدي إلى فصل جنوب غزة عن شمالها.
- محافظة خان يونس:

العدو يركز على مراكز الثقل العملياتية فيها لا سيما المخيمات أي اندفاع فيها إلى العمق يؤدي إلى فصل جنوب غزة عن شمالها.

- أكبر محافظات قطاع غزة من حيث المساحة، عاصمتها الإدارية مدينة خان يونس التي يقع فيها مخيم خان يونس للاجئين، وتضم قرى وبلدات: القرارة وبني سهيل وعبسان الكبيرة وعبسان الجديدة والفخاري وخزاعة.
- تحدها شمالًا المحافظة الوسطى(دير البلح)، وجنوبًا محافظة رفح، وشرقًا الأراضي المحتلة، وغربًا البحر الأبيض المتوسط.
- يبلغ عدد سكانها 463,744 نسمة، بحسب إحصاءات عام 2022، لتكون الثانية على مستوى القطاع من حيث عدد السكان.
- ليست لها أي معابر مشتركة مع الاحتلال.
- قدر الإمكان ليست من الأهداف السوقية للاحتلال, إلا أنها تشكل في المفهوم العسكري العمق الجيوبولوتيكي للمقاومة الفلسطينية, فإن كسر شوكتها أو احتلالها سيودي إلى ضعف في العمق العملياتي للمقاومة, وبالتالي فإن استهدافها أو الاندفاع فيها يشكل هدفًا عملياتيًّا أكثر مما هو هدف سوقي.
- محافظة رفح:

- تضم المحافظة مدينة رفح ومخيماتها، وعددًا من القرى الحدودية منها أم النصر.
- تحدها شمالًا محافظة خان يونس، وجنوبًا سيناء المصرية، وشرقًا الأرض المحتلة، وغربًا البحر الأبيض المتوسط.
- أقل محافظات قطاع غزة من حيث عدد السكان، إذ يبلغ عدد سكانها 296.661 نسمة، بحسب إحصاءات عام 2022.
- يتبع لمحافظة رفح معبرها الواصل مع مصر، ومعبر «كرم أبو سالم» المخصص لإدخال البضائع إلى قطاع غزة.
- ذاع صيتها في سنوات الحصار المشدد على القطاع (2008-2011)، إذ أصبحت شريان إمداد تجاري عبر الأنفاق الحدودية.
- يشكل مطار ياسر عرفات فيها الأرض الحيوية, رغم تدميره من قِبَل الصهاينة, لذلك فهي منطقة محتملة الاحتلال, كما أنها تشكل أهمية اقتصادية بالغة فيما لو جرى احتلالها بالكامل.
- المعابر مع مصر قلقة للغاية, ويقوم الصهاينة بغلقها متى شاؤوا.

> يُحوَّط قطاع غزة بعدد كبير من المواقع العسكرية الإسرائيلية من شماله إلى جنوبه، تبدأ بموقع «زيكيم» العسكري البحري شمالًا، مرورًا بموقع «إيريز»

- مصر من جانبها, ومن باب تحسين علاقتها مع الكيان الصهيوني, عملت لإقامة جدار عازل هي الأخرى؛ لمنع الفلسطينيين من حفر أي أنفاق لتهريب المواد. المشروع المصري الأخير يتضمن عمل جدار فولاذي بعمق 30 متر, لمنع أي حفر تحت الأرض مع مجسات ووسائل كشف حديثة, وبالتعاون مع الاستخبارات الصهيونية.

يمتد الشريط الساحلي لقطاع غزة بطول يصل إلى 41 كيلومترًا، وعرض يتراوح من 5 إلى 15 كيلومترًا، أرضه سهلة منبسطة، باستثناء «تلة المنطار» في حي الشجاعية شرق مدينة غزة، و«تلة 86» في دير البلح في المحافظة الوسطى. يتصل القطاع من شماله إلى جنوبه عبر شارعين رئيسين، هما: شارع الرشيد «البحر» غربًا، وشارع صلاح الدين شرقًا، حيث يقطعان وادي غزة عبر جسرين، تشكل حلقة الوصل بين محافظتي غزة والشمال وبين باقي محافظات القطاع.

التواجد العسكري الصهيوني حول غزة (غلاف غزة)

يُحوَّط القطاع بعدد كبير من المواقع العسكرية الإسرائيلية من شماله إلى جنوبه. تبدأ بموقع «زيكيم» العسكري البحري شمالًا، مرورًا بموقع «إيريز» شرق بيت حانون، وسلسلة عديدة من المواقع التي تحاذي المدن والقرى والبلدات الحدودية للقطاع منها: «ناحل عوز» و«فجة» و«كيسوفيم» و«مارس»، وصولًا إلى «صوفا» و«كرم أبو سالم» في رفح. بين المناطق السكنية لقطاع غزة والسياج الفاصل مع الأرض المحتلة، مساحات من أراضٍ زراعية سهلية، كانت حتى سنوات قريبة مسرحًا لعمليات الاحتلال، ومنطقة عازلة هي عرضة لعمليات التجريف وإطلاق النار، إلى أن فرضت المقاومة وجودها الميداني عبر أبراج الرصد والمراقبة، وشقت شارع «جكر» الممتد

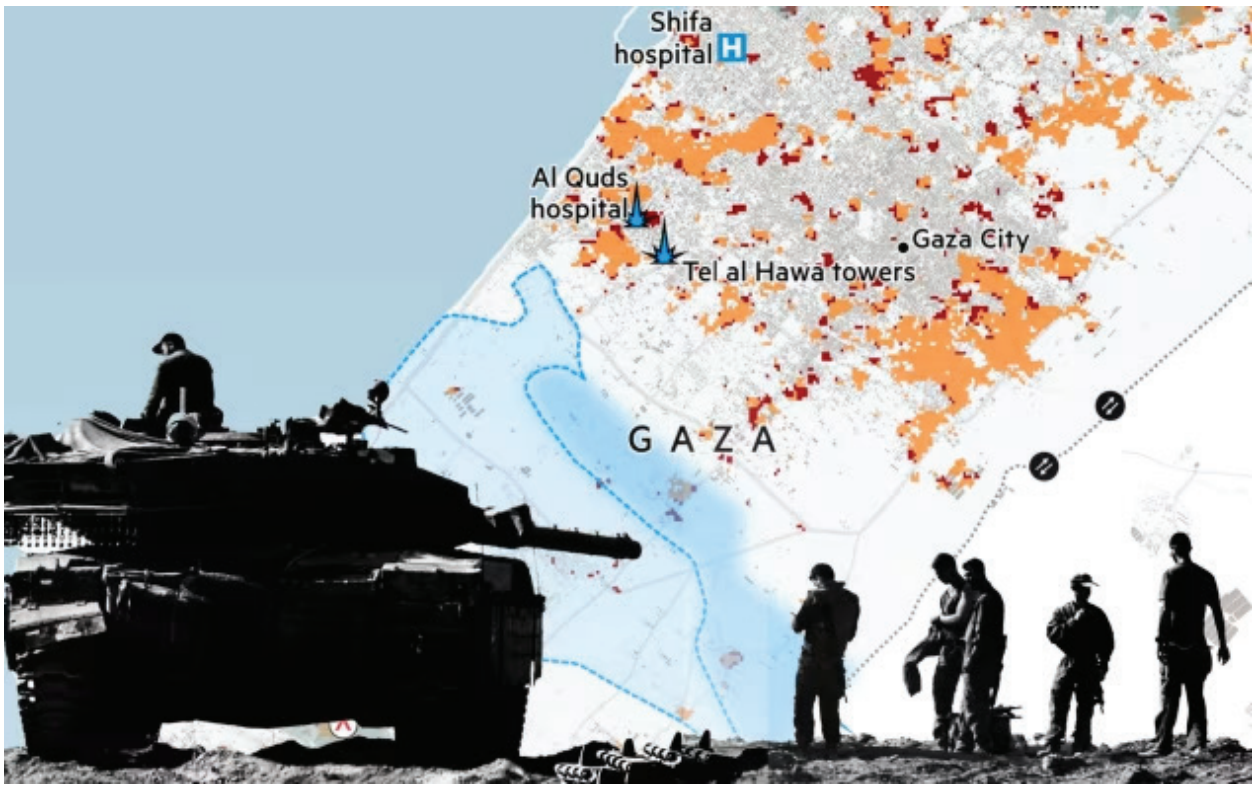

على طول الحدود الشرقية لقطاع غزة، وانتزعت للمزارعين حقهم بزراعة أراضيهم والوجود فيها إلى بعد أمتار معدودة من السياج الفاصل.

المقاومة الوطنية الفلسطينية

تمتلك كتائب «الشهيد عز الدين القسام» ستة ألوية قتالية موزعة على محافظات القطاع، وهي: لواء الشمال، ولواء غزة الشمالي (يغطي الأحياء الشمالية للمدينة)، ولواء غزة الجنوبي (يضم الأحياء الجنوبية للمدينة)، ولواء الوسطى(دير البلح)، ولواء خان يونس، ولواء رفح يتبع كل لواء عدد من الكتائب الفرعية المقسمة على مستوى الأحياء، وهذه الألوية هي[13]:

- لواء الشمال يضم سبع كتائب
  - كتيبة بيت حانون.
  - كتيبة بيت لاهيا.
  - كتيبة الخلفاء(تضم مجاهدي مخيم جباليا).
  - كتيبة عماد عقل (تضم مجاهدي مدينة جباليا).
  - كتيبة العمليات الخاصة(النخبة).
  - كتيبة العمليات البحرية.
  - كتيبة الصواريخ.
- جميع هذه الكتائب مشتركة بشكل مباشر بالقتال والتصدي للهجوم البري الصهيوني.
- لواء غزة الشمالي: يضم سبع كتائب من ضمنها:
  - كتيبة الرضوان.
  - كتيبة الشجاعية.
  - كتيبة التفاح.
  - كتيبة الدرج.
  - كتيبة النخبة.

هذا اللواء هو الآخر مشترك بكل ثقله في المعركة, إلا أن أغلب كتائبه متخصصة بالإسناد الناري

وإطلاق الصواريخ. فضلًا عن تخصص كتيبة الرضوان بالعمليات الخاصة.

- لواء غزة الجنوبي: يضم خمس كتائب من ضمنها:
  - كتيبة الزيتون.
  - كتيبة الصبرة.
  - كتيبة تل الإسلام.
  - كتيبة النخبة.
  - لواء الوسطى (دير البلح)
  - يضمن خمسة كتائب من ضمنها:
  - كتيبة دير البلح.
  - كتيبة البريج.
  - كتيبة المغازي.
  - كتيبة النخبة.
  - كتيبة مستقلة.
- لواء خان يونس: يضم هو الآخر خمس كتائب, واشترك بالقتال بعد انتهاء الهدنة.
- لواء رفح: ويضم خمس كتائب أيضًا, ولايزال غير مشترك بالقتال, ويُعَدُّ الآن بمثابة القوة الاحتياطية السوقية لكتائب الأقصى.

تمتلك كتائب الأقصى وحدات متخصصة لأداء مهام قتالية خاصة لا يعرف أعداد المجاهدين في كل وحدة من هذه الوحدات أو مقراتها.

- تميزت هذه الألوية بثقلها العسكري من حيث التسليح والتجهيز والتدريب العسكري وعدد الأفراد والخبرات القتالية، خصوصًا في مدنها وأحيائها الحدودية، مثل: بيت حانون والشجاعية والزيتون.
- ضمت هذه الألوية عددًا من القادة التاريخيين للكتائب، منهم: عماد عقل، وأحمد الجعبري، ونضال فرحات، وزاهر نصار، وفوزي أبو القرع، وغيرهم، فضلًا عن الشهيد أيمن نوفل قائد لواء الوسطى الذي استشهد أثناء مواجهات طوفان الأقصى.
- امتلكت هذه الألوية حصة من الترسانة الصاروخية الثقيلة للكتائب.
- تُعَدُّ بمثابة مرتكز الأنفاق الحدودية في عمق الأرض المحتلة.
- تنفيذها عمليات «ناحل عوز»، وموقع «16» العسكري، واقتحام موقع «زيكيم».

فضلًا عن ذلك فإن كتائب الأقصى تمتلك وحدات متخصصة لأداء مهام قتالية خاصة لا يعرف أعداد المجاهدين في كل وحدة من هذه الوحدات أو مقراتها, إلا أنها فعالة على الأرض وبأساليب قيادة وسيطرة مبتكرة تتناسب مع قدرات العدو الصهيوني في المجال الاستخباري سواء في مجال الكشف أو المنع, وهذه الوحدات هي[14]:

1. وحدة الكوماندوس(النخبة).
2. وحدو الطائرات المسيرة.
3. وحدة مقاتلة الدروع.
4. وحدة الهندسة العسكرية وصناعة ومعالجة المتفجرات.
5. وحدة التطوير والتصنيع المتخصصة في مجال تطوير الصواريخ والقذائف.
6. وحدة الطائرات الشراعية.
7. وحدة الكمائن.
8. وحدة الدفاع الجوي.

9. وحدة الإسناد الناري(المدفعي والصاروخي, وهي مقسمة إلى عدة مجاميع متخصصة).
10. وحدة القناصين.
11. وحدة معالجة الدبابات والعجلات المدرعة(المسافة صفر).
12. وحدة الاستشهاديين.
13. وحدة الإسناد والدعم اللوجستي.
14. وحدة القيادة والسيطرة والاتصالات.
15. وحدة العمل الاستخباري والمراقبة.
16. وحدة التعبئة والتوجيه.
17. وحدة الضفادع البشرية.
18. وحدة الغواصات الانتحارية.
19. وحدة الأنفاق, وهي الأخرى مقسمة إلى مجاميع متخصصة.
20. وحدة الظل (شُكّلت أثناء طوفان الأقصى, وكُلّفت بمهمة حماية وتنقل وإيواء الأسرى).

أُضيفت لاحقًا وحدة جديدة مهمتها استخدام الطائرات الشراعية, وهي وحدة مستحدثة نجحت إلى حد كبير في مهامها القتالية.

وحدات النخبة الصهيونية المشاركة في التوغل الصهيوني[15]:

متكال:

سايريت ماتكال، وحدة استطلاع هيئة الأركان العامة، هي ركيزة أساسية لقوات العمليات الخاصة في الجيش الصهيوني. تأسست عام 1957 على يد أبراهام أرنان، وهي تستقطب أعضاءها من أكثر الوحدات والخلفيات نخبوية، بما في ذلك قدامى محاربي البلماح, وشباب الكيبوتسات, و كانت عمليات الوحدة، التي غالبًا ما تكون محجبة بالسرية، محورية في صراعات مختلفة، مثل حرب تشرين عام 1973, وحرب لبنان الأولى, وحرب

> وحدة الكوماندوز البحرية النخبة التابعة لجيش الكيان الصهيوني مشهورة بتعدد استخداماتها وفعاليتها في العمليات البحرية وتدريب الوحدة واسع النطاق.

عـام 2006, وعمليـات الأقصـى وسـيف القـدس, والآن تشـارك مـع باقـي القـوات الخاصـة في عمليـات التوغـل, وقـد مُنيـت بخسـائر كبيـرة, إلا أن غالبيتها لـم تُعلَـن.

شايطت 13:

شـايطت 13، وحـدة الكومانـدوز البحريـة النخبـة التابعـة لجيـش الكيـان الصهيونـي. مشـهورة بتعـدد اسـتخداماتها وفعاليتهـا في العمليـات البحريـة, وتدريـب الوحـدة واسـع النطـاق، ويغطـي جوانـب قتـال المشـاة، ومكافحـة الإرهـاب، وحـرب العصابـات، وأسـاليب الهجـوم البحـري. وإن دورهـم في العمليـات الاسـتراتيجية ضـد البنـى التحتيـة البحريـة للعـدو, وجمـع المعلومـات الاسـتخبارية ذات الأهميـة السـوقية, بالنسـبة لاسـتراتيجية الدفـاع الصهيونيـة. لـم يُعلَـن عـن مشـاركتها بشـكل رسـمي, إلا أنهـا, ومـن المحتمـل, تشـارك القـوات الخاصـة الأمريكيـة في عمليـات التصـدي للقـوات اليوميـة أثنـاء تعرضهـا للسـفن المبحـرة تجـاه الكيـان الصهيونـي.

وحدة شالداغ التابعة للقوة الجوية

تأسسـت عـام 1974, علـى إثـر الفشـل الاسـتخباري في حـرب أكتوبـر 1973. كانـت في البدايـة بمثابـة سـرية احتياطيـة تابعـة لسـيريت متـكال، جـرى تطويرهـا إلـى وحـدة عملياتيـة رئيسـة تابعـة لـسلاح الجـو الصهيونـي. شـاركت سـابقًا في المهـام الحاسـمة، مثـل عمليـة سـليمان, والعمليـات المختلفـة في لبنـان، وعمليـات نقـل يهـود الفلاشـا مـن أثيوبيـا, ويعكـس اسـم الوحـدة، الـذي يعنـي "الرفـراف"، طبيعـة عملياتهـا، التـي تتميـز بالدقـة وخفـة الحركـة، مثـل الطائـر الـذي سُـمِّيت باسـمه. تتعـرض في الوقـت الحاضـر إلـى انتقـادات كبيـرة بعـد فشـلها في عمليـات البحـث عـن الأسـرى الصهاينـة البالـغ عددهـم حسـب المصـادر الصهيونيـة 145, وقـد نجـم عـن تلـك العمليـات الفاشـلة مقتـل عـدد مـن أفرادهـا, كمـا تسـببت هـي بقتـل أسـيرين أثنـاء محاولتها اقتحـام مخبـأ كانـت المقاومـة قـد وضعتهـم فيـه.

وحدة دوفديفان المتخصصة في حرب المدن:

حسـب مـا جـرى التخطيـط لـه مـن قِبَـل القيـادة العليـا لجيـش الكيـان الصهيونـي, فـإن وحـدة دوفديفـان، التـي أُسّسـت عـام 1986، يفتـرض بهـا أن تلعـب دورًا حاسمًا في عمليـات مكافحـة الإرهـاب، خاصـة في المناطـق الحضريـة داخـل المناطـق المحتلـة عـام 1948 وعـام 1967. غالبيـة عناصرهـا مـن العـرب أو الشـرقيين مـن ذوي الملامـح العربيـة شـريطة إجادتهـم اللغـة العربيـة واللهجـة الفلسـطينية باتقـان. مسـؤولة عـن عمليـات الاغتيـال المبرمجـة التـي يديرهـا الموسـاد وباقـي الأجهـزة الاسـتخبارية الصهيونيـة. زُجَّ بهـا في الفتـرة الأخيـرة في غـزة تحـت غطـاء باعـة متجولين أو تجـار خضـار. قُتِـل العديـد مـن عناصرهـا بعـد تشـخيصهم مـن قِبَـل عناصـر المقاومـة.

وحدة جبال الألب خبراء حرب الجبال:

وحدة جبال الألب، وهي وحدة احتياطية تابعة للجيش الصهيوني، متخصصة في حرب الجبال، خاصة في التضاريس الصعبة لجبل الشيخ. هذه الوحدة، التي تضم محاربين قدامى من وحدات مثل إيجوز وجولاني، وتم تدريبها على العمليات في الظروف الجوية القاسية, وهي حيوية للدفاع عن المستوطنات في الجولان وطبرية والجليل الأعلى ضد التهديدات القادمة من حزب الله. لم يُعلَن بشكل رسمي عن مشاركتها الفعلية, ولكن يُعتقَد أنها تعمل مع باقي القوات الصهيونية في تلك المناطق كقطاع نخبة واستطلاع.

وحدة إيجوز: متخصصة في حرب العصابات:

تأسست وحدة إيجوز في عام 1995، وهي متخصصة بحرب العصابات, وتعمل بشكل أساس على طول الحدود الشمالية للكيان الصهيوني مع الجنوب اللبناني, وتركيزها في التدريب على التضاريس المعقدة والأسلحة المبتكرة يجعلها قوة مقابلة لقدرات حزب الله والتهديدات المماثلة. حتى الآن ورغم تكليفها بالعديد من المهام تجاه حزب الله, إلا أنها لم تستطع تحقيق أي نجاح يُذكَر.

وحدة ياهالوم: خبراء الهندسة القتالية:

هي جزء من فيلق الهندسة القتالية، متخصصة بمهام هندسية، بما في ذلك التعامل مع أنفاق وعناصر المقاومة والمواد الخطرة. وقد تم تسليط الضوء على دورهم في عملية الجرف الصامد التي أُريد بها تحييد وشل وتدمير البنية التحتية للأنفاق الخاصة بفصائل المقاومة الفلسطينية في غزة, إلا أنها حققت بعض النجاح, ولم تستطع تنفيذ ما جرى التخطيط له, إلا أن تشارك على نطاق واسع في عمليات التوغل بعد أن زُوِّدت بعجلات هندسية مدرعة مسحوبة بواسطة دبابات سنتوريون البريطانية لغرض إزالة العوائق. أما القوة المتوغلة وتدمير الأنفاق, مُنِيت هي الأخرى بخسائر غير متوقعة وكبيرة, مما تطلب إعادة جحفلتها لمرات عديدة.

> تأسست وحدة إيجوز عام 1995 وهي متخصصة بحرب العصابات وتعمل بشكل أساس على طول الحدود الشمالية للكيان الصهيوني مع الجنوب اللبناني.

وحدة سكاي رايدر: عيون في السماء:

وحدة سكاي رايدر، وهي وحدة سرية تابعة لسلاح المدفعية في جيش الدفاع الإسرائيلي. تقوم بتشغيل طائرات بدون طيار؛ لتوفير الاستخبارات الجوية والدعم للقوات البرية. وإن استخدامهم للتقنيات المتقدمة مثل Skylark UAV يعزز القدرات العملياتية للجيش الصهيوني بشكل كبير. مُنِيت بخسائر كبيرة جراء مشاركتها مع باقي القوات الصهيونية المتوغلة في عمق سيناء. أسقطت منها العشرات من الطائرات المسيرة, كما تمكن رجال المقاومة الفلسطينية من الاستيلاء على ثلاث من طائراتها يوم 22 كانون الثاني 2024 صالحة للاستخدام في عملية نوعية لم يُعلَن حتى الآن عن تفاصيلها.

لواء جولاني

هو أحد الألوية الخمسة التي تشكل القوة الضاربة لجيش الكيان الصهيوني في غزة في الوقت الحالي.

أُعلِن عن تشكيله قبل قيام الدولة الصهيونية, وعلى وجهه التحديد يوم 22 شباط 1948. يعسكر حاليًّا كمقر دائمي في معسكر شراجا داخل الأراضي المحتلة, شعاره شجرة الزيتون. قاتل في جميع الحروب العربية الصهيونية, وكان ضمن القوة التي قادها أيريل شارون لعبور ثغرة الدفر سوار في حرب تشرين 1973. جرى زجّه في عملية الاقتحام, إلا أنه فشل فشلًا ذريعًا في تحقيق أهدافه, مما دفع القيادة الصهيونية إلى إصدار أمر بسحبة من غزة يوم 23 كانون الأول 2023 بعد أن مُنيَ بخسائر كبيرة.

لواء غيفعاني

أُسّس هذا اللواء في كانون الأول 1947, لذلك يُعَدُّ النواة الحقيقية للجيش الصهيوني. شارك كقوة رئيسة في حرب عام 1948, وقام بمذابح دموية ضد الفلسطينيين. جرى حله عام 1956, بعد الانسحاب من السويس, ثم أُعيد تشكيله عام 1983. يرتبط في الوقت الحاضر بالقيادة الجنوبية, ويتميز مقاتلو هذا اللواء بشعارهم المتمثل بالسيف والتنين على شكل نمر, وبقبعاتهم البنفسجية. يشارك في معارك اقتحام غزة, وقد تعرض لخسائر كبيرة, إلا أنه لم يسحب من

> يعد لواء غيفعاني النواة الحقيقية للجيش الصهيوني شارك كقوة رئيسة في حرب عام 1948, وقام بمذابح دموية ضد الفلسطينيين.

المعركة. أعلن عن مقتل أحد آمري كتائبه المقاتلة نهاية شهر تشرين الثاني الماضي, في كمين محكم لمقاتلي فصائل المقاومة الفلسطينية, ظهرت لاحقًا مقاطع مصورة يظهر فيها جنود اللواء وهم يهربون أثناء محاولتهم اقتحام أحد الأبنية. خسائر اللواء في ارتفاع متزايد إلا أن الإعلام العسكري الصهيوني يحجم عن التطرق لها, ويحتمل أن يكون الـ24 جندي الذين قُتِلوا في منتصف شهر كانون الثاني هم من منتسبي هذا اللواء.

لواء ناحال

يُطلَق عليه لواء شباب الطليعة المقاتلة, وهو الآخر زُجَّ به في غزة, باعتباره من ألوية النخبة. تم تشكيله عام 1982, بعد أن ظهرت الحاجة إلى إعادة تنظيم جيش الكيان الصهيوني عقب غزو جنوب لبنان، وأُنشِئ هذا اللواء بنواة من جنود من حركة ناحال شبه العسكرية الذين كانوا منخرطين في القوة الجوية(كجزء من القوة المحمولة جوًّا المرتبطة بالقوة الجوية الصهيونية) آنذاك. شكلت كتائب اللواء من مزيج من الأقسام مع تغيير التسمية, ومنها كتيبة 50 (البازلت), وهي من أفواج شرطة التدخل السريع, وكتيبة 931(الغرانيت), وغالبية منتسبيها من يهود المنطقة الشمالية المتشددين دينيًّا, وكتيبة 932(الغرانيت) المركزية, وكتيبة 934 (توباز) وهي كتيبة استطلاع. بالإضافة لكتائب ووحدات هندسية ووحدات من قوات التدخل السريع ووحدات استطلاع ووحدات اتصالات وغيرها. يشارك اللواء منذ اليوم الأول للتوغل إلا أن المهام المناطة به هي المسك بعد التطهير.

لواء كفير

يُطلَق عليه أيضًا تسمية اللواء 900. مقره الدائمي في الضفة الغربية, إلا أن الحاجة الماسة دفعت بقيادة الجيش الصهيوني لنقله إلى غزة, يتألف من ست كتائب مشاة من مختلف الاختصاصات. تخصص منذ

تشكليه وحتى اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام 2005 بمرافقة القطعات المدرعة والتجحفل معها, إلا أنه وعلى إثر ارتفاع حدة الانتفاضة تخصص اللواء بقتال المدن. يقاتل الآن في خان يونس, وقد تعرض هو الآخر لخسائر كبيرة, إلا أن الحاجة تدعو إلى بقائه لا سيما وأن للواء خبرة كبيرة في التعامل مع الأنفاق التي تشكل العائق الرئيس للقوات الصهيونية المتوغلة في أعماق مدن القطاع.

لواء المظليين

تأسس عام 1955, وهو من الألوية المتخصصة بالقفز بالمظلات وعمليات الإنزال الجوي. جرى نقله إلى غزة بعد أن كان ولفترة طويلة في المنطقة الشمالية, وغالبًا ما يكون اللواء في حالة تدريب وتنفيذ للتمارين. يجري ولخمس مرات سنويًّا زج متطوعين جدد فيه بأعمار مناسبة. تلقَّى ضربات موجعة في غزة أثناء اشتراكه في عمليات التوغل, مما دفع الجيش الصهيوني إلى سحب وحدات منه لغرض التعويض في بادئ الأمر, ومن ثم سحبه بالكامل لغرض إعادة التنظيم.

المبحث الثالث

المقارنة العملياتية بين المدافع والمهاجم وأثر ذلك على مجرى الصراع عسكريًّا

في أغلب الأحوال تُعَدُّ القتالات الخاصة في المناطق المبنية والمأهولة, سواء للقطعات المهاجمة أو المدافعة, من أصعب أنواع القتالات, ولأسباب كثيرة, جرى تبيان جزء كبير منها أعلاه. في عملية طوفان الأقصى منحت الأرض للمدافع إمكانية عالية للمناورة التعبوية, كما أن أساليب القتال التي تميزت بتجددها هي الأخرى فسحت الطريق أمام

لم يكن العدو قد وضع في حساباته بأن طبيعة إدارة المعركة الدفاعية من قِبَل فصائل المقاومة اختلفت عن السابق بحكم تراكم الخبرة وبناء القدرات والنتائج التي تمخضت عنها المواجهة السابقة.

المدافع ليحتفظ بالمبادأة لأطول فترة ممكنة, إلا أنه في الجانب المقابل نجد أن المهاجم, والمتمثل بجيش الكيان الصهيوني, هو الاخر يمتلك جزءًا كبيرًا من الإمكانيات القتالية التي تعطيه قدرات واسعة على المضي قدمًا بالاقتحام وفق السياقات التقليدية, إلا أن الذي يحصل هو في الغالب خروج كامل أو جزئي عن السياقات التقليدية المعتمدة للقتال في مثل هذه المناطق, مما أضاف على المهاجم أعباء كبيرة أدت بشكل أو بآخر إلى فقدانه المبادأة في الكثير من المواقف, وأمام هذه الحالة فإن الحسم في مثل هكذا مواقف يتوقف بالدرجة الأساس على القدرة على المطاولة سواء للمهاجم أو المدافع.

المدافع بعد مرحلة الطوفان(فصائل المقاومة الفلسطينية)

يمكن إجمال المتغيرات الحاصلة في عمليات القتال في المناطق المبنية والمأهولة ضمن عمليات طوفان الأقصى بما يأتي:

إدارة الدفاع

أ. لم يكن العدو قد وضع في حساباته بأن طبيعة إدارة المعركة الدفاعية من قِبَل فصائل المقاومة اختلفت عن السابق؛ بحكم تراكم الخبرة وبناء القدرات والنتائج التي تمخضت عنها المواجهة السابقة(سيف القدس) والدروس المستنبطة منها بحيث لم تعد المركزية في إدارة المعركة قائمة, بل جرى الاعتماد على إبداع القادة الميدانيين, وهذا الأمر أتاح لهم قدرة أكبر على تبني أساليب غير مألوفة تتناسب والموقف القتالي القائم, وهذا المتغير أربك, وإلى حد كبير, قدرات العدو الاستخبارية والقتالية لا سيما في المراحل الأولى من العملية.

ب. أدرك القائمون على التخطيط للعملية, ومنذ نهاية مواجهة سيف القدس في شعبانمن عام 2022, أهمية التنوع في التسليح, لذلك نجد منظومة التسليح لدى فصائل المقاومة اختلفت كليًّا عن ما كانت عليه في السابق, إذ امتلكت الفصائل قدرات تصنيعية خلاقة بالاستفادة من التجربة الإيرانية وحزب الله وفصائل المقاومة الإسلامية في العراق, وأصبحت لديهم منظومات لمقاومة الدبابات والعجلات المدرعة ذات قدرات تدميرية عالية مشابهة تمامًا للنسخ المحدثة من صاروخ كورنيت الروسي ولكن بمسمى جديد هو (الياسين 105).

ج. رغم كل محاولات التي قام بها العدو في السابق لغرض إضعاف منظومات الأنفاق, إلا أنها شكلت منعطفًا حاسمًا وكبيرًا في طبيعة القتال الدائر, إذ منحت المدافعين إمكانية واسعة بالمناورة. فضلًا عن القدرة العالية على التخفي و مفاجئة العدو في مناطق لم يكن يتوقع مواجهة مقاومين فيها, كما أنها ساهمت, وإلى حد كبير, في تأمين قدر معقول من الحماية الذاتية للمقاتلين.

د. منظومات القيادة والسيطرة المستخدمة من قِبَل فصائل المقاومة هي الأخرى, ونتيجة مراجعات

عملية للمواجهات السابقة, باتت أكثر قدرة على الصمود وعدم الكشف, وذلك بابتكار العديد من الوسائل البديلة, واعتماد مقرات القيادة والسيطرة المتحركة وفق مبدأ الحركة الدباخية, مستفيدة قدر الإمكان مما وفرته منظومات الأنفاق.

هـ. رافق عمليات الدفاع والتصدي للقوات الصهيونية المهاجمة التي تحاول الاندفاع في عمق غزة قدرة عالية لدى فصائل المقاومة في استمرار توجيه الضربات لمناطق منتخبة وتجمعات أفراد جيش العدو وأماكن انفتاح قدماته الإدارية ومقرات القيادة والسيطرة السوقية والعملياتية وحتى التعبوية. فضلًا عن ضرب مناطق انفتاح أسلحة الإسناد الناري للعدو, وهذا الأمر ولَّد إرباكًا كبيرًا في صفوف القيادة العملياتية للجيش الصهيوني, وكذلك على المستوى السوقي, بحيث بات من غير الممكن إقناع الرأي العام الصهيوني بنجاح العمليات البرية الجارية على الأرض لاقتحام مدينة غزة والمدن الأخرى, كما أن ذلك انعكس سلبًا على الأداء القتالي وإرادة القتال للقطعات المشتركة بعملية الاقتحام.

و. رغم عمليات التبادل المحدودة للأسرى التي جرت أثناء الهدنة المؤقتة, فإن وجود الأسرى الأجانب وأفراد من جيش الكيان الصهيوني وأفراد صهاينة آخرين تحت سيطرة الفصائل المقاومة منح المدافعين قوة مضافة, وأدى ذلك كتحصيل حاصل إلى رفع قدرات المواجهة للمدافعين, باعتبار أن هؤلاء الأسرى أصبحوا جزءًا من مضاعفات القوة التي حددت, وإلى حد كبير, قدرات العدو الهجومية.

ز. رغم ما حصل من دمار شامل داخل مدينة غزة وعلى أطرافها, بحيث وصلت نسبة التدمير إلى ما يزيد عن 50% من إجمالي أبنية المدينة نتيجة الضربات الجوية والقصف الصاروخي والمدفعي الصهيوني, فإن ذلك ولَّد جملة من المعاضل لدى القوة المهاجمة في حين منح المدافع ميزة مضافة هي أن حالة المدينة لم تعد كما في السابق من حيث الطرق السالكة. فضلًا عن أن الأبنية المدمرة تحولت في غالبها إلى نقاط منيعة لمقاومة اندفاعات العدو, إذ جرى استغلال هذا الخراب المتراكم والصورة المشوهة للمدينة في بناء دفاعات مؤثرة. الأمر الثاني, إن مشاهدة مقاتلي الفصائل الفلسطينية للدمار الذي لحق بمدينتهم يزيدهم إصرارًا على مقاومة العدو وتدمير قدراته الهجومية.

ح. الكمائن المحكمة التي نفذتها فصائل المقاومة دلت على أن الأساليب المتبعة في التنفيذ لم تعد هي ذاتها التقليدية التي كان بمقدور العدو مواجهتها, فقد أدت هذه الكمائن, وبعد انقضاء المائة يوم الأولى من الاندفاع البري الصهيوني, إلى تدمير قرابة 300 دبابة وعجلة مدرعة سواء كان تدميرًا كليًّا أو جزئيًّا أو إعطابًا مؤقتًا, ناهيك عن أعداد كبيرة من عجلات الجهد الهندسي وباعتراف العدو ذاته من خلال المتحدث العسكري, وهذا الرقم لم تستطع كل الجيوش العربية, وعلى امتداد حروبها مع جيش الكيان الصهيوني, أن تصل إليه, كما أنه رقم يصعب الوصول إليه في حالة المعارك التقليدية بين طرفين متعادلين من حيث القوة النارية وإمكانية المناورة التعبوية والعملياتية.

الكمائن المحكمة التي نفذتها فصائل المقاومة دلت على أن الأساليب المتبعة في التنفيذ لم تعد هي ذاتها التقليدية التي كان بمقدور العدو مواجهتها.

ط. شكل استخدام فصائل المقاومة الفلسطينية للطائرات المسيرة, سواء تلك التي حصلت عليها فصائل المقاومة الفلسطينية من أطراف أخرى وأولها إيران أو تلك التي جرى تجميعها أو تصنيعها داخل غزة, دافعًا قويًّا لتلك الفصائل في مجال التسليح والتنفيذ ورفع قدرتها القتالية والعملياتية لا سيما في الجوانب المتعلقة بالاستطلاع أو المراقبة لميدان المعركة أو بإفلات القذائف على أهداف نقطوية أو القيام بعمليات التشويش والحرب الإلكترونية.

ي. لم يقتصر تفكير القائمين على التخطيط لعملية طوفان الأقصى على إيجاد أساليب مستحدثة لمرحلة الاقتحام الأولى التي جرت يوم 7 تشرين الأول عام 2023, بل أنها استنبطت أساليب قتالية مبتكرة, ومنها استخدام تعبئة (المسافة صفر) من قِبَل المدافعين من فصائل المقاومة, التي تعني استخدام وسائل الإطلاق تجاه العجلات الآلية والمدرعة عن قرب لا يتجاوز الأمتار المحدودة, مما يحرم العدو من أي رد فعل مقابل. هي تعبئة لم يسبق للعدو أن واجهها من قبل, لذلك فإنها أحدثت مفاجأة في الأسلوب لم يكن يتوقعه العدو, ورغم أن هذه التعبئة تتطلب تدريب عالي المستوى مع جراءة عالية وقابلية بدنية متميزة, فإن تنفيذها ولعدة مرات يكاد أن يكون يوميًّا خلال المواجهات مع العدو, يدل على أنها باتت أحد الوسائل الأكثر خطورة على العدو.

أساليب إدارة الدفاع

استخدمت فصائل المقاومة أساليبًا متعددة؛ لغرض مباغتة العدو لا سيما على الصعيد التعبوي. هذه الأساليب قد تكون مستخدمة من قِبَل مجاميع مسلحة أو جيوش مسبقًا, إلا أنها هنا أثبتت تأثيرها الكبير على سير العمليات سوى في المراحل الأولى من العملية أو في مرحلة توغل جيش الكيان الصهيوني داخل قطاع غزة, ومن هذه الأساليب ما يلي:

1. اللدغة: وهو أسلوب مبتكر تعبويًّا, إذ يجري الظهور المفاجئ لمقاتل واحد أو أكثر من نفق أو حفرة أو أنقاض المباني وسط مجموعة من جنود العدو, ويشتبك بهم فورًا محدثًا حالة من الفزع المصاحب للمفاجئة. قد يستخدم مقاتلين آخرين الصواريخ المضادة للدبابات في حالة عدم ترجل أفراد العدو من عجلاتهم, وفي الغالب يتأخر رد فعل العدو لدقائق؛ نتيجة فعل الصدمة, مما يتيح للمقاتل في بعض الأحيان الاختفاء.
2. المسافة صفر: التي تحدثنا عنها في السابق, وهي نتاج تجارب عسكرية سابقة, منها ما حصل في الحرب العالمية الثانية عندما توغل الجيش الألماني في العمق الروسي, مما دفع المقاتلين الروس لتباع هذه التعبئة, كذاك استُخدِمت على نطاق واسع في حرب فيتنام, ومن قِبَل الفدائيين الفلسطينيين في معركة الكرامة في 21 آذار 1968[16], ويُعَدُّ المجاهد عماد عقل من الأوائل الذين طورا هذا الأسلوب من القتال. استُخدِم هذا الأسلوب على نطاق واسع أثناء عمليات طوفان الأقصى لا سيما بعد التوغل الصهيوني في عمق القطاع وغالبًا ما يستخدم المقذوف الروسي(RKJ3) في مثل هذه العمليات[17], وتعبئة الصفر غالبًا ما تُستخدَم في قتال المدن عندما لا تكون هنالك مساحات واسعة أو فاصلة ما بين الطرفين المتحاربين, وقد ساهمت الأبنية المدمرة في منح المقاومين إمكانية أوسع في استخدام هذه التعبئة.
3. التضليل الاستخباري: من خلال الاستهداف الدقيق والمبرمج والمنسق لمنظومة المراقبة والإرسال للعدو, والتشويش عليها بواسطة الطائرات المسيرة, إذ فشل جهاز(أمان) وهو يمثل الاستخبارات العسكرية للجيش الصهيوني في تحديد نوايا المقاومة والتحركات واسعة النطاق التي حصلت يوم 7 ت1, إذ لم يستطع الجهاز إعطاء أي إنذار مسبق.
4. شل منظومة القبة الحديدية ومقلاع داوود, من خلال التزامن المحسوب لأعداد الصواريخ والقذائف التي تطلقها المقاومة تجاه العمق الصهيوني, إذ يجري إطلاق أعداد كبيرة من الصواريخ باتجاه أهداف متعددة, مما يجعل من الصعوبة بمكان على أجهزة المراقبة والرادار تتبع جميع تلك الصواريخ, وبالتالي شُلَّت المنظومة وباتت غير قادرة على اعتراض كل الصواريخ, بل أعداد محدودة منها.

شكلت عمليات طوفان الأقصى, منذ يومها الأول وما تلته من عمليات في الأيام اللاحقة, منعطفًا جذريًّا في أساليب القتال وفق آليات ومحددات حروب الجيل الرابع التي غالبًا ما تجمع بين قوتين غير متناظرتين أو أكثر. الانعطافة الأكبر كانت في الأساليب لا سيما تلك التي طبقتها فصائل المقاومة الفلسطينية في المناطق المأهولة مبتعدة قدر الإمكان عن الأساليب التقليدية التي يمكن إجمالها بما يأتي:

1. الاختراق المتعدد المحاور.

4شل منظومة القبة الحديدية ومقلاع داوود من خلال التزامن المحسوب لأعداد الصواريخ والقذائف التي تطلقها المقاومة تجاه العمق الصهيوني.

أحدث أنصار الله في اليمن ما يمكن أن نسميه المفاجأة الأكبر من خلال توظيف إمكانياتهم باتجاهين مختلفين كِليهما ذوي بعد سوقي(استراتيجي).

2. الاندفاع بوسائط غير مألوفة.
3. إدامة الزخم والاستمرارية والمطاولة.
4. ابتكار وسائل لا تثير الشك.
5. العمل في عمق العدو.
6. الاستحضارات المبنية على تحليل مسبق.
7. الإعداد والتدريب المتقن للعناصر المنفذة.
8. الخرق الاستخباري.
9. الأهداف المتوخاة.
10. ضرب مراكز الثقل التعبوية والعملياتية.
11. الاعتماد على الذات.
12. الجمع بين التقنيات الحديثة والأساليب التقليدية.

استمرار التعرض

مما تجدر الإشارة إليه هنا, أن فصائل المقاومة الفلسطينية, ورغم التوغل الصهيوني وبعدة محاور, ومع استمرار القصف الجوي والصاروخي المدفعي, واشتغال منظمة الاستطلاع والاستخبارات الصهيونية بطاقتها القصوى, وزجّ أعداد كبيرة من الفلسطينيين ممن باعوا ضمائرهم للمحتل كعيون لمراقبة نشاطات فصائل المقاومة, فإن الواقع على الأرض يشير إلى تمكن تلك الفصائل من تجاوز كل العقبات, والإبقاء على الفعل التعرضي قائمًا, لا بل ويشتد بين الحين والأخر مستهدفًا أهدافًا يجري اختيارها بدقة, وهذا الفعل التعرضي يتمثل بما يأتي:

1. هجمات صاروخية تجاه العمق الصهيوني لا سيما تل أبيب وكريات شمونا وأريحا وغيرها من المدن ذات الأهمية العسكرية.
2. الهجمات المبرمجة لفصائل المقاومة العراقية تارة والفلسطينية تارة أخرى بواسطة الطائرات المسيرة التي قلبت المعادلة, إذ باتت جميع الأهداف الحيوية الصهيونية تحت مرمى تلك الطائرات.
3. التنسيق عالي المستوى بين حزب الله وفصائل المقاومة الفلسطينية من خلال الهجمات الصاروخية التي تُنفَّذ على أهداف في الجليل الأعلى ومدن المنطقة الشمالية, والتي أدت إلى اضطرار العدو على إبقاء العديد من الألوية المقاتلة قبالة الحدود مع حزب الله خشية تطور الموقف.
4. أنصار الله في اليمن أحدثوا ما يمكن أن نسميه المفاجأة الأكبر من خلال توظيف إمكانياتهم باتجاهين مختلفين كِليهما ذوي بعد سوقي(استراتيجي), وهما ضرب السفن والبواخر التي تقدم الدعم للكيان الصهيوني, وإطلاق المئات من الصواريخ تجاه العمق الصهيوني ولا سيما تل أبيب.

المهاجم

إدارة عمليات التوغل

أثار التوغل الصهيوني في قطاع غزة الذي ابتدأ مع بداية شهر ت2, بعد أن تأخر لأكثر من عشرين يومًا كانت بمثابة الصحوة مما فعلته الصدمة الأولى للعملية, وهذه هي المرة الأولى في تاريخ جيش الكيان الصهيوني من أنه احتاج لكل هذه المدة من أجل حسم أمره والقرار على التوغل والاندفاع

في عمق غزة, فالحروب السابقة كانت ردة فعل لا تتجاوز الأيام المعدودة وحتى الساعات لا سيما عندما يتلقى هو الضربة الأولى كما حصل في حرب تشرين 1973, وعمليات سيف القدس في شعبانمن عام2022, وبالعودة لأساليب جيش الكيان الصهيوني في إدارة الهجوم على قطاع غزة نجده قد اختلف قليلًا عما كان الأمر عليه في التوغلات السابقة, وكما بينا أعلاه, إلا أن الثوابت المعتمدة في العقيدة القتالية للجيش الصهيوني في إدارة صفحة الهجوم في المناطق المبنية لم تتغير كثيرًا, بل أُضيف لها ما استوجبته الحالة القائمة والمستجدات التي أفرزتها هذه المواجهة. إن خلاصة عقيدة القتال في المناطق المبنية للجيش الصهيوني لا تأخذ بنظر الاعتبار أن هذه المنطقة المنوي مهاجمتها أو التوغل فيها مأهولة أم لا, إذ لا يراعي على الإطلاق الجوانب الإنسانية التي حددتها قواعد الاشتباك الكلي المقررة وفق لائحة القانون الدولي الإنساني.

المهاجم (العدو الصهيوني).

أ. استخدم العدو الصهيوني تعبئة مغايرة لما كانت عليه الاندفاعات السابقة, فهو لم يحدد محور بذاته للاندفاع, بل اندفع بمحاور متعددة؛ بغية تشتيت جهد المقاومين, لذلك نجده قد اندفع بقواته الآلية والمدرعة مصحوبة بوحدات عمليات خاصة على محاور بيت حانون من الشمال, في حين كان هنالك اندفاع آخر من الخاصرة الرغوة لغزة المتمثلة بخان يونس محاولًا قدر الإمكان توسيع مناطق الاختراق, ثم تعزيز النجاح في أي محور يتمكن فيه من توسيع نطاق هجماته وكأنه هنا يحاول إعادة سيناريو ثغرة الدفر سوار. القاطع الشمالي لايزال يعاني من الفشل بعد أن فشل العدو في الاندفاع نحو تل الهوى, لذلك نجده وهو في اليوم السادس والثلاثين يحاول جاهدًا من عمل كماشة مزدوجة باتجاه تل الهوى ومخيم الشاطئ, وإذا ما نجح في ذلك فإن هذا يعني أنه قد

> **استخدم العدو الصهيوني تعبئة مغايرة لما كانت عليه الاندفاعات السابقة فهو لم يحدد محور بذاته للاندفاع بل اندفع بمحاور متعددة؛ بغية تشتيت جهد المقاومين.**

اقتطع الجزء الشمالي من غزة منتظرًا ما تسفر عنه اندفاعاته التي وصلت إلى مسافة 6 كم في قاطع خان يونس, إذ يأمل العدو الوصول إلى البحر, وهكذا يكون قد قسم غزة على قسمين.

ب. استخدم العدو الصهيوني, وعلى نطاق واسع في اندفاعاته المتعددة, الطائرات المسيرة كوسيلة رصد واستطلاع مرافقة للقطعات المدرعة, وهو أسلوب تمكن به العدو من معالجة العديد من الأهداف قبل أن تشتبك معه, إلا أنه في ذات الوقت خسر الكثير من الطائرات المسيرة التي تم إسقاطها من قِبَل نيران المدافعين.

ج. كما هو كمعروف فإن دبابة القتال الصهيونية هي الدبابة مريكافا بعلاماتها الأربع 1و2و3و4, إذ كانت النسختان الثانية والثالثة عبارة عن التزاوج بين ناقلة الأشخاص المدرعة والدبابة, أي إن هذه الدبابة هي عبارة عن دبابة مهجنة تحمل كل إمكانيات الدبابة في حين أن لها القدرة على حمل حضيرة مشاة الي بكامل أسلحتهم, إلا أن هذه التجربة تعرضت للفشل الميداني في حرب عام 2006 مع حزب الله وعملية عناقيد الغضب, إذ أدت الخسائر الكبيرة في الأفراد بإلغاء الفكرة, مما استدعى أن تكون النسخة الرابعة

مغايرة لسابقاتها, وتم الاستعاضة عن هذه التعبئة بأن تكون هنالك ناقلة أشخاص مدرعة مرافقة للدبابة عند التجحفل بين الصنف الدرع والمشاة الآلي وهي الناقلة NAMER. وهكذا تم فك الارتباط بين الدبابة وناقلة الأشخاص المدرعة, وهذا الأمر استدعى أن تكون أعداد العجلات المشاركة في عمليات اقتحام غزة أضعاف العدد المطلوب, وهذا الأمر بالتأكيد ورغم ما تقدمه تلك الأعداد من قوة نارية وفعل صدمة, فإن كثرتها تمنح المدافع فرصة أكبر في اصطيادها وتدميرها. فضلًا عن ذلك فإن الدفاعات الفلسطينية, ونتيجة التشوه الحاصل في المدينة؛ بسبب القصف الصهيوني أدى إلى أن يجبر المشاة الآلي على الترجل لتأمين الحماية اللازمة للدبابات, وهذا ما جعل جنود المشاة الصهاينة أهدافًا سهلة لقناصة المقاومة.

د. العدو يحاول تطبق تعبئة قريبة إلى رقعة الشطرنج, إذ يحاول أن يفرض سيطرته على مقاطع مدن المدينة, ثم ينتقل إلى مقاطع أخرى بأسلوب القضم من خلال الاندفاع من الجزء الشمالي مع محاولات محدودة في القاطع الجنوبي باتجاه خان يونس كما بينا مسبقًا بشكل خطوط مستقيميه وصولًا إلى الساحل ليتقطع الجزء الشمالي بالكامل؛ كونه يتصور أنه الأخطر والأقرب إلى المدن الصهيونية, وأن أغلب منصات الصواريخ يجري انفتاحها لأغراض الرمي هناك, ورغم أن هذه التعبئة القتالية بطيئة للغاية رغم أنها مدعومة بقصف جوي وصاروخي ومدفعي مدمر, وهنا نجد أن عامل الوقت ليس في صالح العدو على الإطلاق لأسباب كثيرة, منها وجود الرهان وضغوطات الرأي العام الصهيوني والضغوطات الدولية, في المقابل فإن هذه التعبئة تقابلها تعبئة من نمط آخر يمارسها المدافع. تتمثل في الظهور خلف خطوط العدو واتباع طريقة الكر والفر مع وجود عناصر تعويق أمام القطعات الصهيونية

المندفعة, في حين هنالك مجاميع أخرى تقاتل حتى الاستماتة, وهذا ما يقلق العدو.

هـ. الجهد الهندسي ودبابات سينتورون, إذ جرى الاعتماد على جسم هذه الدبابة ومحركها لتكون بمثابة جرار لعجلة مدرعة أخرى غرضها القيام بالأعمال الهندسية في ميدان المعركة أثناء عمليات التوغل, إذ يتطلب الأمر في أحيان كثيرة إزالة متفجرات أو معالجة قناطر أو جسور مدمرة أو تخريب أنفاق أو تدمير منعات وغيرها. غالبًا ما يكون الطاقم الهندسي مؤلفًا من 4 عناصر فأكثر, حسب طبيعة المهمة. هذا التحوير لم يحقق أي نجاح حتى الآن, وقد دمرت العديد من العجلات؛ لسهولة اصطيادها نتيجة ارتفاع مرسمها وطولها المبالغ فيه.

و. القصف المبالغ فيه وغير المبرر لأهداف هي ليست ضمن قائمة الأهداف العسكرية, بل إن غالبية ما يجري استهدافه من قِبَل الطائرات الصهيونية والمدفعية والصواريخ الساندة للقوات المتوغلة هي أهداف مدنية صرفة, وقسم منها عبارة عن مستشفيات وأماكن للمعالجة ومدارس ورياض أطفال وأبنية الجامعة والأسواق العامة والمساجد والجوامع, أُريد من هذا القصف إحداث نوع من الهلع والصدمة, وبالتالي تأجيج المدنيين ضد المقاومين, ومع ذلك فشل العدو في تحقيق ذلك.

الأساليب التي يتبعها المهاجم (جيش الكيان الصهيوني)

بقدر تعلق الأمر بالأساليب القتالية لجيش الكيان الصهيوني أثناء توغله في غزة نجده قد اتبع ما يلي:

1. اختيار المحور المؤدي إلى مركز الثقل العمليا تي .

2. الاعتماد على التوغل من أكثر من محور ثانوي؛ بغية تشتيت الجهد الأعظم للمقاومين ومحاولة استغلال النجاح في أي محور وتعزيزه.

3. الأسبقية ليست في التوغل بالمفهوم الحركي, بل بمقدار الدمار والتفتيت للأهداف المنوي التوغل فيها.

4. الضرورة القتالية تبيح كل ما يمكن أن يكون متاحًا, وذلك بالاستخدام المفرط للقوة حتى في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية.

5. اعتماد الاستطلاع الآني المرافق للقطعات القائمة بالتوغل كوسيلة لإعطاء الصورة القائمة لما هو على الأرض من خلال الاستخدام المكثف للطائرات المسيرة المتخصصة بالاستطلاع.

6. التعامل الحذر مع الأنفاق؛ كونها قد تكون فخاخ أو مناطق للقتل أو أماكن لتطبيق تعبئة المسافة صفر أو اللدغة.

7. عدم الانجرار إلى قتال الشوارع؛ كونه ليس في صالح الجيش الصهيوني؛ كونه يحتاج إلى جراءة عالية لا تمتلكها القوات الصهيونية في الوقت الحاضر, ومحاولة إلحاق أكبر ما يمكن من التدمير بمراكز المقاومة.

8. البقاء على مبدأ العمل السائد في جيش الكيان الصهيوني خلال الحروب والمواجهات السابقة, المتمثل بلامركزية القرار التعبوي و إعطاء الآمرين الأحداث حرية أكبر في العمل الميداني.

9. القسوة المفرطة, والتعامل مع كل متحرك على أنه عدو, وبالتالي يجب أن يُعالَج دون أدنى التزام بالضوابط المنصوص عليها في قانون الحرب الأساسي أو في قواعد الاشتباك.

10. الدبابة وناقلة الأشخاص باتت أهدافًا واهنة, وعليه يتوجب أن تكون كل حركة تعبوية إلى الأمام أو إلى الجوانب محسوبة أمنيًّا بدقة.

11. لا ثقة مطلقة بالوكلاء أو عيون الصهاينة من الفلسطينيين المتعاونين, بل إن كل معلومة واردة منهم قد يُراد منها زج القوة في كمين أو منطقة قتل.

12. رغم أن الإسناد الجوي عنصر حاسم إلا أن تداخل المسافات وتعبئة المسافة صفر قد أدت إلى ضعف قدرة القوة الجوية الصهيونية والطائرات السمتية في تأمين إسناد أرضي متكامل كما في السابق, وعليه فإن البحث عن بدائل يجب أن يأخذ الأسبقية العليا.

13. الجهد السمتي أضعف حلقة في منظومة القتال الصهيوني, وعليه فإن المجازفة به قد لا تكون في صالح القطعات المهاجمة؛ كون الفلسطينيين يمتلكون قدرات خلاقة في مجال معالجة الجهد السمتي.

14. القطعات البحرية يمكن أن تؤمّن الأسناد الناري, لكن وقبل كل شي قد تكون هي الأخرى مستهدفة, مما يتوجب حمايتها.

15. التركيز على الخواصر الرخوة والاندفاع بها؛ كونها في الغالب أرض مستوية ذات كثافة سكانية أقل وأبنيتها أقل ارتفاعًا وأضعف من أن تقاوم أسلحة الرمي المباشر.

البقاء على مبدأ العمل السائد في جيش الكيان الصهيوني خلال الحروب والمواجهات السابقة المتمثل بلامركزية القرار التعبوي وإعطاء الآمرين الأحداث حرية أكبر في العمل الميداني.

16. اعتماد أسلوب البسط الناري, ولمسافات ليست بالقصيرة يجري تغطيتها بالنيران المتحركة إلى الأمام مع سرعة التقدم.

17. هنالك مناطق ساقطة عسكريًّا؛ كونها غير صالحة للدفاع. يحاول العدو فرض السيطرة عليها بالكامل؛ لتكون بمثابة نقاط وثوب وانطلاق نحو أهداف أكثر أهمية لا سيما في القاطع الأوسط دير البلح والقاطع الجنوبي في خان يونس.

18. الابتعاد قدر الإمكان عن تصعيد الموقف في منطقة رفح من قِبَل الجيش الصهيوني؛ كي لا تتسع مساحة المواجهة مما يتطلب أعدادًا أكبر من القوات التي باتت مرهقة؛ بسبب استمرار المعارك لفترة أطول بكثير من قدرتها على التحمل.

19. تجنب احتلال المناطق ذات الكثافة السكانية العالية جدًّا في المراحل الأولى من التوغل، مثل: حي الزيتون والشجاعية في مدينة غزة، ومخيم جباليا في شمال قطاع غزة، ومدينة خان يونس في جنوب القطاع, ومحاولة إخلائها من خلال التركيز بالقصف الجوي والصاروخي.

الفشل العملياتي

المتتبع لمجريات الأحداث في ساحات القتال, لا سيما في محاور توغل جيش الكيان الصهيوني, يجد أن هذا الجيش, ورغم كل الدعم المقدم له من قِبَل الإدارة الأمريكية والكثير من الدول الأوربية ومواقف بعض الدول العربية المساندة للكيان الصهيوني لا سيما البحرين بإعلانها الدخول في تحالف عسكري للحد من نشاط أنصار الله اليمانيين أو الأمارات التي جعلت من مطاراتها معبرًا ميسرًا لنقل المساعدات إلى جانب الكيان الصهيوني, كل ذلك ودلائل الفشل واضحة في الأداء العملياتي والتعبوي لجيش الكيان الصهيوني, ويمكن قراءة ذلك من خلال:

1. الانسحابات المتحررة لألوية النخبة المشتركة في القتال, واستبدالها بقوات أخرى أقل قدرة قتالية, وهذا ما حصل مع لواء غولاني ومن ثم لواء المضللين.

2. التخبط في اتخاذ القرارات على الصعيدين العملياتي والتعبوي, إذ جرى إصدار العشرات من أوامر العمليات ثم إلغائها؛ نتيجة الفشل في تحقيق ما هو مطلوب.

3. اعتماد القصف المكثف, وبأسلوب أقرب ما يكون إلى الأرض المحروقة في محاولة للتأثير على قدرات المقاومة, إلا أن النتائج جاءت عكسية, إذ ازدادت ضراوة المعارك, وتصاعدت نسب الخسائر إلى أرقام لم يألفها جيش الكيان الصهيوني في حروبه السابقة.

4. الفشل في إيقاف قدرة المقاومة على القيام بالأعمال التعرضية, إذ استمرت المجاميع المتخصصة بالأعمال التعرضية, ومنها(وحدة الرضوان) التي ما انفكت ترسل العشرات من الصواريخ والطائرات المسيرة إلى العمق الصهيوني, رغم أن الجيش الصهيوني يغطي كل سماء غزة بمئات الوسائل الخاصة بالكشف والاستطلاع.

5. عدم تمكنها من تحييد ولو جزء بسيط من منظومة الأنفاق, إذ لاتزال هذه الأنفاق تشكل الخطر

اعتماد القصف المكثف وبأسلوب أقرب ما يكون إلى الأرض المحروقة في محاولة للتأثير على قدرات المقاومة إلا أن النتائج جاءت عكسية.

الأكبر حتى أن الحال وصل في بعض الوحدات الصهيونية إلى أنها تمتنع من القيام بأي عمل تعرضي تجاه تلك الأنفاق بعد أن استطاع رجال المقاومة تحويل تلك الأنفاق إلى مصائد للمغفلين, فبمجرد الدخول إليها يتم تفجيرها من الجانبين, وإغلاق كل المنافذ والانقضاض على القوة التي جازفت بالدخول.

6. محاولات الإخلاء الكلي للمناطق, أي تهجير كل سكان الأحياء التي يتم الاندفاع أو التوغل فيها, في محاولة للتعامل مع تلك المناطق على أنها مناطق مبنية غير مأهولة, وبالتالي يسهل تدميرها بالكامل عند ظهور أي مقاومة.

7. في محاولة منه لتقليل الآثار المترتبة على الفشل العملياتي, اعتمد جيش الكيان الصهيوني وبعد مرور أكثر من مائة يوم على بدء توغله في مدن قطاع غزة الشمالية والوسطى إلى أسلوب المناورة العملياتية مصحوبة باندفاعات تعبوية محدودة من خلال اعتماد تغيير الاتجاهات عند ما تتسبب مجاميع المقاومين بمنعه من الاستمرار بالاندفاع على ذات المحور, رغم كل التحضيرات المسبقة, ورغم ذلك نجده وحتى الآن غير قادر على إحكام السيطرة الكاملة على أي جزء من أجزاء أو أحياء تلك المدن.

8. عمد الجيش الصهيوني إلى اعتماد تعبئة القواطع المؤمَّنة, وهو أسلوب مُتعارَف عليه في قتال المدن, ويعني أن عملية التوغل أو التطهير وصلت إلى مراحلها النهائية, إذ يتم عزل كل حي أو منطقة عن كل ما يجاورها, وتتم عمليات تحكم بالمداخل والمخارج. فضلًا عن القيام بعمليات مداهمة وتفتيش مستمرة مع تسيير دوريات ونصب كمائن, ورغم كل تلك الإجراءات التي عمد الكيان الصهيوني إلى تطبيقها لا سيما في المحافظة الشمالية ومحافظة غزة, وكذلك في أجزاء من خان يونس فإن النتائج جاءت مخيبة للآمال, إذ تظهر بين الحين والآخر جزر مقاومة تؤدي إلى خسائر غير متوقعة في القطعات المكلفة بواجب المسك والتأمين.

السيناريوهات المحتملة للصراع عسكريًّا

يصعب التكهن بالسيناريوهات المحتملة للصراع من وجهة النظر العسكرية الصرفة فإن هنالك دلائل تشير إلى احتمالية حصول واحد أو أكثر من السيناريوهات الآتية:

1. فشل وتوقف ومن ثم الانسحاب لجيش الكيان الصهيوني, وعقد هدنة لن تستمر طويلًا يعاود بعدها المقاومون إلى التجهيز لعمل أكبر من حيث التأثير مما حصل أثناء عملية طوفان الأقصى. 2. استمرار العمليات, ولكن بمستوى من الشدة أقل مما هو

> **أحدثت عملية طوفان الأقصى شرخًا لا يمكن إصلاحه في بنية المؤسسة العسكرية الصهيونية سواء في هيئات الركن العاملة في الأسلحة أو قيادات المناطق على المستوى العملياتي.**

عليه الأمر الآن لحين حصول متغير سياسي في الإدارة الصهيونية قد يؤدي إلى التصعيد الحاد مجددًا أو البحث عن حلول من خلال هدنة طويلة المدى.

3. تصاعد حاد في وتيرة العمليات يصل إلى الحد الذي ينذر بحرب إقليمية معلنة, مما يستدعي تدخل القوى الكبرى لا سيما أمريكا لإدراكها بأن الكيان الصهيوني الذي ترعاه بات في دائرة الخطر المحدق.

الخاتمة

أحدثت عملية طوفان الأقصى شرخًا لا يمكن إصلاحه في بنية المؤسسة العسكرية الصهيونية, سواء في هيئات الركن العاملة في الأسلحة أو قيادات المناطق على المستوى العملياتي أو في كل وكالات الاستخبارات التي يتبجح الكيان الصهيوني بقدراتها في الكشف والمنع. كذلك أدت هذه الواجهة إلى كشف حقيقة قوات النخبة التي يعول عليها الكيان الصهيوني, سواء تلك الوحدات المتخصصة أو الألوية التي زج بها في معترك التوغل في عمق غزة بمحافظاتها الخمسة, تلك الألوية التي بدأت بالترنح والمغادرة والانسحاب بعد الخسائر الكبيرة التي مُنيت بها وأولها لواء

غولاني ثم تبعها لواء المضللين وقوة المدرعات الساندة له. من هنا فإن المقارنة العملياتية في غزة, وأثناء احتدام الصراع ووصوله إلى المستوى الأعلى من حيث الشدة أثبتت بأن الحرب لم تعد كما كانت عليه في السابق, وأن عامل الإرادة والدافعية القتالية قد دخلت, وبقوة, في تحديد من هو القادر على الحسم.

ما ميز هذه المواجهة أنها جرت في أغلب فصولها في مناطق مبنية ومأهولة, أي وسط الناس, لذلك فإن استمرارها على ذات الشدة سيزيد بلا شك من معاناة المدنيين, فإنها, ومن جانب آخر, أثبتت وبما لا يقبل الشك أن حسابات العدو في التعويل على الرفض الشعبي المحتمل لحماس من قِبَل سكان غزة قد ذهب أدراج الرياح, وأن عامل السكان بات عامل من عوامل مضاعفات القوة للمدافع بدلًا من أن يكون سببًا في خسارة أو انكسار القوات المدافعة, وفي كل الأحوال فإن السيناريوهات المحتملة هي الأخرى مفتوحة لكل الاحتمالات.

المصادر

1. تشاوليانج, الحرب المفتوحة, مركز نورس للدراسات, ط1, 2021.

2. ف ر حسن سلمان خليفة البيضاني, طوفان الأقصى قراءة عسكرية وتقنية في المستجدات التعبوية والعملياتية, بحث مقدم إلى ندوة أقامتها مؤسسة مقاليد الثقافية في بغداد الكاظمية المقدسة

3. ف ر حسن البيضاني, طوفان الأقصى والنجاح العملياتي والسوقي لفصائل المقاومة والفشل الصهيوني المقابل, مركز حمورابي للدراسات والبحوث الاستراتيجية بغداد, تشرين الأول 2023.

4. الفريق الركن حسن البيضاني. الحرب المفتوحة والحرب الهجينة طوفان الأقصى وتطبيقات مبادى الحرب, مركز حمورابي للدراسات الاستراتيجية, بغداد, كانون الأول 2023.

5. قاصد محمود, استراتيجية الجيش الإسرائيلي 2015 – 2020, مركز الشرق الأوسط, ط1.

6. أحمد عواد الفاعوري, التحولات الإقليمية والعربية وأثرها على نظرية الأمن الإسرائيلي, رسالة ماجستير, جامعة الشرق الأوسط, 2011.
7. ف ر حسن البيضاني, تطهير المدن وأمنها, دار الحكمة للطباعة والنشر, لندن, ط1, 2021.
8. القتال في المناطق المبنية, كراسة رسمية الرقم 221 ط1, 2016, دائرة التدريب, بغداد, .9 9 9, ليندا بيتلر, غزة معطيات جغرافية وديمغرافية وتاريخية, مجلة الدراسات الفلسطينية, المجلد 20, العدد 80 و81, خريف وشتاء, 2018, مؤسسة الدراسات الفلسطينية, بيروت.
10 . طوفان الأقصى, الوقائع والمستجدات, عرض مقدم من قِبَل مجاهدي دورة الأركان التأهيلية, مدرسة القيادة والأركان, المديرية العامة للتدرب, هيئة الحشد الشعبي.

Endnotes

1. ف ر حسن سلمان خليفة البيضاني, طوفان الأقصى قراءة عسكرية وتقنية في المستجدات التعبوية والعملياتية, بحث مقدم إلى ندوة أقامتها مؤسسة مقاليد الثقافية في بغداد الكاظمية المقدسة يوم 9 ك1 2023.
2. ف ر حسن البيضاني, طوفان الأقصى والنجاح العملياتي والسوقي لفصائل المقاومة والفشل الصهيوني المقابل, مركز حمورابي للدراسات والبحوث الاستراتيجية بغداد, تشرين الأول 2023, ص4.
3. تشاوليانج, الحرب المفتوحة, مركز نورس للدراسات, ط1, 2021, ص44.
4. الفريق الركن حسن البيضاني, الحرب المفتوحة والحرب الهجينة طوفان الأقصى وتطبيقات مبادئ الحرب, مركز حمورابي للدراسات الاستراتيجية, بغداد, كانون الأول 2023, ص8.
5. قاصد محمود, استراتيجية الجيش الإسرائيلي 2015 – 2020, مركز الشرق الأوسط الدولي, ط1, 2016, ص 22.
6. أحمد عواد الفاعوري, التحولات الإقليمية والعربية وأثرها على نظرية الأمن الإسرائيلي, رسالة ماجستير, جامعة الشرق الأوسط, 2011, ص63.
7. الضربة الاستباقية: هي الضربة المبنية على معلومات مؤكدة عن نوايا العدو في القيام بعمل تعرضي. أما الضربة الوقائية فهي الأخرى لإجهاض نوايا العدو إلا أنها غالبًا ما تستهدف أهداف قد تمنح العدو قوة مضافة, في حين أن الضربة الإجهاضية وهي الضربة التي تُستخدَم أثناء قيام العدو بالتعرض, إذ غالبًا ما تستهدف هذه الضربة الكتلة الحرجة للعدو التي يعتمد عليها في عمله التعرضي.
8. مقلاع داوود: هو أحد الوسائل التي أُريد بها الحد من قدرات المقاومة الفلسطينية اللبنانية في استهداف العمق الصهيوني, ليمثل جزءًا من قوات الدفاع الجوي الصهيوني, وهو عبارة عن منظومة دفاع جوي صاروخي تنتجها شركة أنظمة رافائيل الدفاعية المتقدمة. دخلت الخدمة تجريبيًّا سنة 2015 بغرض إحلالها محل منظومة إم آي إم104- باتريوت ومنظومة إم آي إم23- هوك. المنظومة مصممة لاعتراض الصواريخ البالستيقية. يحتوي النظام على صاروخ اعتراضي سريع المناورة على مرحلتين، وفي مقدمته تم تركيب نظامين لتحديد الموقع والاستهداف - رادار وجهاز استشعار كهروضوئي. في عام 2006، فازت أنظمة رافائيل الدفاعية المتقدمة بمناقصة لتطوير نظام دفاع ضد الصواريخ للمدى المتوسط والطويل (40-300 كم). وهو حصيلة تعاون أمريكي صهيوني في مجال تطوير الصواريخ المتصدية, إذ جرى تمويله من قِبَل صندوق المساعدات الأمريكي – الصهيوني. أما القبة الحديدية نظام دفاعي جوي صهيوني متحرك طُوِّر من قِبَل شركة "رافائيل" لأنظمة الدفاع المتقدمة بدعم من الولايات المتحدة لصد الصواريخ قصيرة المدى والقذائف المدفعية. بدأ تشغيلها في عام 2011. إذ بدأ تطوير هذا النظام بعد حرب يوليو/تموز 2006 مع حزب الله اللبناني، لإبعاد خطر الصواريخ قصيرة المدى. صُمِّمت لصد الصواريخ قصيرة المدى والقذائف المدفعية من عيار 155 مليمترا، التي يصل مداها إلى 70 كيلومترا. وتشمل المنظومة جهاز رادار ونظام تعقب وقاذفة مكونة من 20 صاروخًا اعتراضيًّا يُدعَى "تأمير". تحوم صواريخ القبة الحديدية حول القذائف الصاروخية حتى تصطدم بها. وكلما طال مدى الصاروخ استغرق الأمر وقتًا أطول لحساب مساره، وأي انحراف يمكن أن يؤدي إلى تغيير كبير جدًّا في نقطة الاصطدام.

يتطلب اعتراض الذخائر طويلة المدى رادارات أخرى، ويبلغ مدى القبة الحديدية 4.5 كيلومترات كحد أدنى. القبة الحديدية خضعت لعدة تحديثات, ورغم ذلك فشلت في اعتراض الغالبية العظمى من صواريخ المقاومة. تعتمد منظومة القبة الحديدية على صاروخ اعتراضي مجهز برأس حربية قادرة على اعتراض وتفجير أي هدف في الجو. بعد قيام الرادار بالكشف والتعرف على الصاروخ أو القذيفة المدفعية وملاحقة مسار المقذوف، يتم نقل الإحداثيات والمعلومات إلى وحدة إدارة المعركة والسيطرة والمراقبة لتحليل مسار الهدف وتحديد موعد ومكان سقوطه المفترض. وفي حال تبين أن الصاروخ أو القذيفة المدفعية تشكل خطرًا داهمًا يُعطى الأمر خلال ثوانٍ للصاروخ بالاعتراض وتفجير الرأس الحربية لتدمير الهدف في الجو من دون الارتطام به مباشرة. أما بالنسبة للصواريخ التي لا تشكل تهديدًا فتسمح لها القبة بالهبوط في مناطق غير مأهولة. الرأس الحربي للصاروخ يحتوي على 11 كيلوغرامًا من المواد شديدة الانفجار، فيما يتراوح مداه ما بين 4 كيلومترات، و70 كيلومترًا. تقدر تكلفة كل بطارية واحدة للقبة الحديدية حوالي 50 مليون دولار, بينما تتراوح تكلفة صواريخ "تأمير" الاعتراضية بين 40 ألف دولار و50 ألف دولار، لكل صاروخ. قدمت الولايات المتحدة الأميركية بين عامي(2011-2021) 1.6 مليار دولار لتمويل إنتاج القبة الحديدي,. وفي عام 2022 وافق الكونغرس الأميركي على تخصيص مليار دولار إضافي لإعادة تزويد صواريخ القبة الحديدية وزيادة إنتاج البطاريات الخاصة بها. تم تطوير المنظومة عام 2017 إلى قدرة اعتراض دقيقة ضد قذائف الهاون التي يزيد طولها عن نصف متر بقليل، في حين تخضع المنظومة حاليًا لسلسلة من التجارب؛ لتمكينها من القدرة على تحديد أماكن بنادق القنص والطائرات بدون طيار في نطاق يصل إلى 10 كيلومترات. في مارس/آذار 2021 جرى تحديث نظام القبة الحديدية حتى يتمكن من اعتراض الصواريخ والعديد من الطائرات بدون طيار. وتعمل الشركة المنتجة أيضًا على تطوير نظام قائم على الليزر لتحييد الصواريخ والطائرات بدون طيار.

9. ف ر حسن البيضاني, تطهير المدن وأمنها, دار الحكمة للطباعة والنشر, لندن, ط1, 2021, ص144.

10. القتال في المناطق المبنية, كراسة رسمية الرقم 221 ط1, 2016, دائرة التدريب, بغداد, ص109.

11. ليندا بيتلر, غزة معطيات جغرافية وديمغرافية وتاريخية, مجلة الدراسات الفلسطينية, المجلد 20, العدد 80 و81, خريف وشتاء 2018, مؤسسة الدراسات الفلسطينية, بيروت, ص75.

12. ليندا بليتر, مصدر سبق ذكره, ص77.

13. . طوفان الأقصى, الوقائع والمستجدات, عرض مقدم من قِبَل مجاهدي دورة الأركان التأهيلية, مدرسة القيادة والأركان, المديرية العامة للتدرب, هيئة الحشد الشعبي, يوم 19 ت2, 2023.

14. طوفان الأقصى, الوقائع والمستجدات, عرض مقدم من قِبَل مجاهدي دورة الأركان التأهيلية, مصدر سبق ذكره.

15. قاصد محمود, استراتيجية الجيش الإسرائيلي, مصدر سبق ذكره, 2015 –2022, ص34.

16. معركة دارت رحاها في بلدة الكرامة الأردنية يوم 21 آذار 1968, حينما حاولت قوة إسرائيلية من عبور نهر الأردن؛ لاحتلال منابعه, وجُوبِهت من قِبَل قوات فلسطينية مع قوة من الجيش الأردني, واستمرت المعركة لمدة 16 ساعة. خسر فيها الصهاينة العشرات من القتلى والمئات من الجرحى, واضطروا مرغمين للانسحاب إلى عمق الأراضي الفلسطينية المحتلة, وهي أول معركة تتمكن فيها قوة عربية فلسطينية من هزيمة القوات الصهيونية منذ حرب عام 1948, إذ ترك العدو جثث قتلاه وعجلاته ودباباته المعطوبة والمدمرة في أرض المعركة دون أن يتمكن من سحبها.

17. المقذوف (RKJ3) روسي الصنع. يزن 2ونصف كغم, ويتكون من قطعتين ملتصقتين مع بعضهما في الأعلى جسم دائري يشبه العلبة الدائرية والجزء الثاني هو المقبض الذي يساعد على رمي المقذوف لمسافة أطول. وتُستخدَم ثلاثة أساليب للرمي الأول من خلف الجسم, والثاني من أمام الجسم, والثالث أو الالتصاق, إذ يمتلك المقذوف جزءًا ممغنطًا لهذا الغرض يمكن للرامي المتدرب أن يقذفه لمسافة تصل إلى 15 مترًا.

دول وقضايا

أ.د.عبد الحميد الموساوي

كلية الإمام الكاظم (ع) الجامعة/
قسم العلوم السياسية

بعد عملية طوفان الأقصى..

القضية الفلسطينية إلى أين؟

دخلت القضية الفلسطينية في العام الجديد -2024- في ظروف استثنائية وغير مسبوقة منذ عقود، إذ تخيّم الحرب على غزة منذ عملية طوفان الأقصى التي نفذتها كتائب القسام, الذراع العسكرية لحركة المقاومة الإسلامية «حماس» في السابع من أكتوبر/تشرين الأول، على المشهد، وتُعَدُّ المواجهة الحالية الأعنف من بين المواجهات التي خاضتها المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة منذ أن سيطرت حركة حماس على القطاع في صيف العام 2007م.

وفضلًا عن كونها الحرب الأوسع والأشمل، فإن تداعياتها ستشكل واقعًا جديدًا على صعيد القضية الفلسطينية بشكل عام, وعلى قطاع غزة بشكل خاص، وستؤثر في المشهد السياسي الداخلي الفلسطيني وكذلك المشهد السياسي الداخلي (الإسرائيلي)، فضلًا عن تداعياتها الإقليمية والدولية.

القضية الفلسطينية منذ اتفاق أوسلو:

هنالك سؤال مشروع ووجيه/ هل من المعقول أن القضية الفلسطينية, وخلال (75) عامًا, لم يتم حلها ولم يجد لها حل؟ وما هي القوى المحلية والإقليمية والدولية التي تقف وراء العرقلة لحل القضية الفلسطينية؟ لمن ولمصلحة من تم ويتم ذلك؟ وهل يمكن أن تستمر القضية من دون حل؟

لقد مرت عقود ثلاثة من الزمن منذ ولادة اتفاقية أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية و(إسرائيل) التي عُرفت باتفاقية إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي.

الاتفاقية التى كان يُفترَض أن تطلق مسارًا تفاوضيًّا يوفر مقاربة تدريجية للتوصل إلى التسوية بين الطرفين، والتى من المنظور الفلسطيني تعني قيام الدولة الفلسطينية المستقلة على ٢٢ بالمائة من أراضي فلسطين التاريخية، وعاصمتها القدس الشرقية.

تمثل اتفاقيات أوسلو، التي تم التوقيع عليها في سبتمبر/أيلول 1993 في حديقة البيت الأبيض، المحاولة الأكثر طموحًا وأهمية لحل الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني. ومع ذلك، فإن العاطفة والإثارة التي أعقبت هذا الاختراق الأول سرعان ما أفسحت المجال لتطوّر شاق وشاق ومثير للجدل.

وقد أثارت تلك الاتفاقيات – أوسلو- الموقعة في العام 1993م، آمالًا كبيرة في تحقيق السلام في الشرق الأوسط.

لقد مرت عقود ثلاثة من الزمن منذ ولادة اتفاقية أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية و(إسرائيل) التي عُرفت باتفاقية إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي.

وجاء اتفاق أوسلو ٢ فى سبتمبر من العام ١٩٩٥م، ليؤكد مجددًا على تنظيم ترتيبات الحكم الذاتي وإحالة قضايا الحدود والمياه والمستوطنات واللاجئين إلى مفاوضات الاتفاق الدائم التي بالطبع لم تأتِ، وكان مقرر لها أن تكون في العام 2000م. وللتذكير فشلت القمة الثلاثية التي استضافها الرئيس الأمريكي بيل كلينتون فى كامب ديفيد فى يوليو ٢٠٠٠ بمشاركة الرئيس عرفات ورئيس وزراء الكيان باراك، لإحياء الاتفاق الذي بدأ بالاحتضار، وتبعتها مفاوضات فلسطينية-إسرائيلية فى ديسمبر ٢٠٠٠ لم تقلع أساسًا غداة انطلاق الانتفاضة الفلسطينية الثانية، انتفاضة الأقصى فى سبتمبر ٢٠٠٠.

في الحقيقة فإن الكيان الصهيوني ومقابل إنجاز اتفاقية أوسلو التى كان يُفترَض أن تهيئ تدريجيًّا لإزالة الاحتلال، لم توقف -سلطات الاحتلال- من سياسة إقامة الطرق الالتفافية التي تحاصر القرى الفلسطينية وتربط بين المستوطنات. واستمرت فى سياسة تعزيز الاستيطان، ولو بسرعات مختلفة فى البداية ولكن دون توقف. كما عززت سيطرتها على الأرض والمياه والفضاء، كما قامت بتقطيع أوصال ما يفترض أن تكون الأراضي التي ستقوم عليها الدولة

الفلسطينية. فجرى فصل القدس الشرقية عن الضفة الغربية, وكذلك فصل قطاع غزة عن الضفة الغربية أيضًا.

وقد صعدت (إسرائيل) منذ بداية الانتفاضة الفلسطينية الثانية في العام 2000م من سياسة الاغتيالات المستهدفة في سبيل حرمان المقاومة الفلسطينية من القيادات السياسية- العسكرية، وعملت على دفع الأراضي المحتلة إلى الغرق في الفوضى.

وفي هذا السياق، اغتيل (أبو علي مصطفى) في شهر آب 2001م، وهو زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، و(صلاح شحاتة) في شهر تموز 2002م، وهو مؤسس كتائب عز الدين القسام، و(إسماعيل أبو شنب) في شهر آب 2003م، وهو أحد قادة حركة حماس، والشيخ (أحمد ياسين) في شهر آذار 2004م، (مؤسس حركة حماس)، و(محمود الرنتيسي) في شهر نيسان 2004م، وهو الرجل رقم واحد في حركة حماس، والراحل (ياسر عرفات) في شهر تشرين الثاني 2005م، (وهو مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية، والزعيم التاريخي للحركة الوطنية الفلسطينية)، والعديد من الشهداء الآخرين.

وتُعَدُّ هذه الاستراتيجية التي اعتمدتها إسرائيل, أي سياسة الاغتيالات، أي (الاغتيالات) أو ما سُمِّيَ بـ((الفوضى المنظمة))، التي غُذيت في الحقيقة من طريق الدعم الذي قدمته حركة (فتح) عندما تخلت عن الكفاح المسلح, وبدأت مرحلة التخوين بين فتح وحماس.

لكن وبعد مرور ثلاثين عامًا، فإن النتائج مريرة, فقد أدى رفض تقديم بعض التنازلات، واستمرار

الإرهـاب الصهيونـي، إلـى وصـول هـذه العمليـة إلـى طريـق مسـدود.

واليـوم أصبـح أولئـك الذيـن يؤيـدون ضـم الضفـة الغربيـة جـزءًا مـن الحكومـة الصهيونيـة منـذ نهايـة العام 2022، بينمـا تعانـي السـلطة الفلسـطينية مـن تصلـب؛ بسـبب شـيخوخة قادتهـا, ويبـدو الوضـع مسـدودًا ومليئًـا بعـدم اليقيـن.

في البـدء لقـد تـم التفكيـر في اتفاقيـات أوسـلو وتصميمهـا علـى أنهـا مؤقتـة لمـدة خمـس سـنوات، وفي نهايتهـا تبـدأ المفاوضـات حـول الوضـع الدائـم (اللاجئيـن الفلسـطينيين، والقـدس، وإعلان الدولـة والحـدود), وكانـت هـذه الفتـرة الانتقاليـة لمسـاعدة الأطـراف لوضـع عقـود مـن العـداء والصـراع النشـط والشـيطنة المتبادلـة وراءهـم، للسـماح بالتنـازلات المتبادلـة اللازمـة لأي اتفـاق علـى الوضـع النهائـي. وكان مـن الأمـور الأساسـية في الاتفـاق الاعتـراف المتبـادل بالكيـان ومنظمـة التحريـر الفلسـطينية، وإنشـاء سـلطة فلسـطينية تتمتـع بالحكـم الذاتـي في غـزة _وفي الأصـل_ جـزء صغيـر مـن الضفـة الغربيـة. فـضلًا عـن الاعتـراف بالزعيـم ياسـر عرفـات، رئيسًـا للـبلاد, وهكـذا اضطـر عرفـات إلـى الانتقـال مـن تونـس إلـى غـزة مـع قواتـه وأجهزتـه الأمنيـة, مـاذا يعنـي هـذا؟

يعنـي الاتفـاق ضمنًـا أن منظمـة التحريـر الفلسـطينية وافقـت علـى عـدم ارتـكاب المزيـد مـن الأعمـال الفدائيـة, ومنـع أي نشـاط فدائـي مناهـض للكيـان في الأراضـي الخاضعـة لسـيطرتها، والتخلـي عـن الكفـاح المسـلح، وقـد تـم تجسـيد الاتفاقيـات الأوليـة في العـام 1994 مـن خلال اتفاقيـات التنفيـذ، وفي سـبتمبر/أيلول 1995 مـن خلال اتفاقيـات أوسـلو الثانيـة، التـي وسـعت سـيطرة السـلطة الفلسـطينية علـى جـزء أوسـع مـن الضفـة الغربيـة, بمـا في ذلـك غالبيـة المناطـق الحضريـة فعليًّـا.

لقـد مثـل توقيـع اتفاقـات أوسـلو حدثًـا كبيـرًا علـى المسـتويين العالمـي والإقليمـي، وولَّـد حماسًـا كبيـرًا عنـد البعـض, ومعارضـة قويـة عنـد البعـض الآخـر, وولَّـد كثيـرًا مـن الانتقـادات.

وقـد اجتمـع المجتمـع الدولـي، بقيـادة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، لدعـم عمليـة أوسـلو مـن خلال تقديـم الدعـم المالـي للسـلطة الفلسـطينية الفتيـة وتدريـب قواتهـا الأمنيـة، في أجـزاء مـن العالـم العربـي، وقـد مهـد اعتـراف منظمـة التحريـر الفلسـطينية بالكيـان الطريـق لتطبيـع العلاقـات معـه، مـا بيـن الفلسـطينيين بعـض الـدول العربيـة كذلـك، عـدا العـراق وإيـران، التـي عـدَّت الاتفاقـات بمثابـة اسـتسلام وترتيـب سـيئ.

واجـه عرفـات معارضـة مـن داخـل منظمـة التحريـر الفلسـطينية نفسـها، لكـن غالبيـة المعارضـة الفلسـطينية جـاءت مـن حركتيـن إسـلاميتين: حمـاس, والجهـاد الإسـلامـي الفلسـطيني.

وفي الكيـان كذلـك جـاءت المعارضـة الأقـوى مـن حركـة الاسـتيطان والأحـزاب اليمينيـة، التـي ركـزت انتقاداتهـا علـى جوانـب متعـددة مـن الاتفاقيـات، ولا سـيما مـن حركـة الاسـتيطان ومؤيديهـا الأرثوذكـس وعنـد العلمانييـن، كان الارتبـاط بـالأرض قيمـة عليـا تتعلـق بالحـق الدينـي.

وقـادت المعارضـة اتفاقًـا بيـن الليكـود مـع رئيسـها بنياميـن نتنياهـو، والمسـتوطنين وحاخاماتهـم، الذيـن

> واجه ياسر عرفات معارضة من داخل منظمة التحرير الفلسطينية نفسها، لكن غالبية المعارضة الفلسطينية جاءت من حركتين إسلاميتين: حماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني.

ركـزوا إدانتهـم لاتفاقـات أوسـلو علـى شـخص إسـحاق رابيـن، بعـد أن فهمـوا أن الأخيـر هـو الزعيـم الوحيـد الـذي يملـك الإرادة والسـلطة لمواصلـة العمليـة.

وأدى التحريـض علـى الكراهيـة ضـد رابيـن إلـى اغتيالـه في 4 تشـرين الثانـي (نوفمبـر) 1995، وتترافـق هـذه التطـورات الإسـرائيلية مـع تطـورات سـلبية علـى الجانـب الفلسـطيني.

> بعد أن سيطرت حركة حماس في قطاع غزة، الكيان استراتيجية تطويق قطاع غزة وخنقه وتقديم الدعم للضفة الغربية التي تسيطر عليها السلطة الفلسطينية وحركة فتح.

فقـد سـيطرت حمـاس علـى قطـاع غـزة منـذ العـام 2007، وتملـك سـلطة سـيادية فعليـة في هـذا الجـزء مـن فلسـطين، مـن غـزة وأماكـن أخـرى - تركيـا وسـوريا وإيـران. وبدعـم مـن إيـران, تحـاول الإطاحـة بالسـلطة الفلسـطينية والسـيطرة علـى السـلطة الضفـة الغربيـة، وعلـى إثـر ذلـك تعرضـت إلـى الحصـار مـن قِبَـل الكيـان الصهيونـي.

بعـد أن سـيطرت حركـة حمـاس في قطـاع غـزة، اختـارت (إسـرائيل) اسـتراتيجية تطويـق قطـاع غـزة وخنقـه، وتقديـم الدعـم للضفـة الغربيـة التـي تسـيطر عليهـا السـلطة الفلسـطينية وحركـة فتـح، وهـي بذلـك تبحـث عـن وأد الحركـة الإسلاميـة في غـزة، وقتلهـا، وبموافقـة الـدول العربيـة، وعلـى رأسـها مصـر.

وقـد شـنت (إسـرائيل) كذلـك الحـرب علـى غـزة في العـام 2014م التـي اسـتمرت لمـدة 21 يومًـا، وفي العام2021م، كانـت آخـر حـرب علـى غـزة، التـي سُـمِّيت بمعركـة سـيف القـدس مـن/10 مايـو مـن 2021 - 21 مايـو مـن 2021، بعـد أن تفجـرت الأحـداث مسـاء يـوم جمعـة الـوداع في 7 مايـو/ شـعبان2021 الموافـق 25 شـعبان1442، بعدمـا اقتحـم آلاف مـن جنـود الشـرطة

الصهيونية -في عمليةٍ استفزازيةٍ- باحات المسجد الأقصى واعتدوا على المصلين, ما أسفر عن إصابة أكثر من 205 مدني فلسطيني في المسجد الأقصى وباب العامود والشيخ جراح.

أما في الضفة الغربية – رام الله- حيث يوجد الرئيس أبو مازن الذي يقترب من التسعين من عمره (1935 في صفد)، ومن الواضح أن سلطته وشرعيته في تراجع، بعد التذمر ولا سيما من جيل الشباب.

وينظر غالبية سكان الضفة الغربية إلى السلطة الفلسطينية، وخاصة جيل الشباب، على أنها فاسدة وغير كفؤة وخاضعة للغاية للكيان الغاصب. وإن المزاج العام في الضفة الغربية قاتم، خاصة بين الشباب.

لقد تضاءل تأييد حل الدولتين، وإذا استمر الوضع الراهن، فمن المتوقع أن يترسخ واقع الدولة الواحدة غرب نهر الأردن، ومن هذا المنظور، فشلت مبادرة أوسلو, فقد فشلت في إيجاد حل للصراع، لكن الفشل ليس كاملًا. هناك سلطة فلسطينية وكيان مستقل في غزة، وإن مستقبل هذه الحكومة والسياسة الصهيونية بشكل عام غير مؤكد، تمامًا مثل السياسة الفلسطينية عندما يكون من الضروري اختيار خليفة أبو مازن.

بالإضافة إلى ذلك، لا يمكن للمنطقة أن تتوقع دعمًا حقيقيًّا في الوقت الحالي من المجتمع الدولي،

ينظر غالبية سكان الضفة الغربية إلى السلطة الفلسطينية وخاصة جيل الشباب على أنها فاسدة وغير كفؤة وخاضعة للغاية للكيان الغاصب.

مـع انشـغال كبـار القـادة، مثـل الرئيـس جـو بايـدن، بقضايا أخـرى، وروسـيا الاتحادية بحربها مع أوكرانيا.... إلـخ. مـع القليـل مـن الثقـة في نجـاح جهـد جديـد لحـل الصـراع الصهيونـي- الفلسـطيني.

المرحلة الجديدة

لقـد شـكّل السـابع مـن أكتوبر/تشـرين الأول تطـورًا نوعيًّـا في سـلوك المقاومـة الفلسـطينية في قطـاع غـزة مـن حيـث مبادرتهـا بهجـوم منظـم وواسـع شـمل منطقـة مسـتوطنات «غلاف غـزة»، سُـمّيَ بعمليـة طوفـان الأقصـى، واسـتطاعت المقاومـة أسـر عشـرات مـن جنـود وضبـاط جيـش الاحـتلال ومدنييـه. إن عمليـة طوفـان الأقصـى تعيـد القضيـة الفلسـطينية مـن جديـد علـى المسـرح الدولـي:

- إذ نجحـت المقاومـة في تحطيـم هيبـة الـردع الصهيونـي, وفرضـت معادلـة جديـدة للـردع وهـي سلاح الصواريـخ قبالـة الطيـران الإسـرائيلي، وأنهـت أكذوبـة الـردع الصهيونـي.

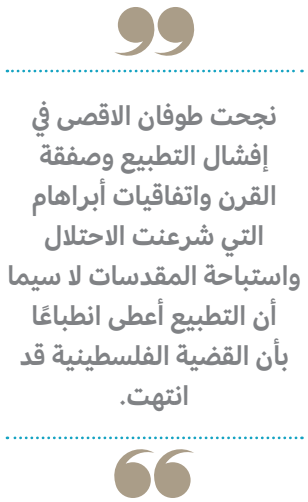

نجحت طوفان الاقصى في إفشال التطبيع وصفقة القرن واتفاقيات أبراهام التي شرعنت الاحتلال واستباحة المقدسات لا سيما أن التطبيع أعطى انطباعًا بأن القضية الفلسطينية قد انتهت.

- نسـفت نظريـة الأمـن للكيـان الصهيونـي، إذ سيعيشـون منـذ الآن في رعب، وسنشـهد هجرة معاكسـة للإسـرائيليين نحـو أوروبـا والولايـات المتحـدة الأمريكيـة.

-نجحـت في ضـرب هيبـة الجيش(الإسـرائيلي) الـذي لا يُقهَـر أمـام العـرب، ونجحـت قـي بوصلـة الأمـة العربيـة نحـو عدوهـا الأكبر(إسـرائيل)، بعـد أن حاولـت تحريفهـا.

- إحيـاء قضيـة فلسـطين والقـدس في وجـدان العـرب المسـلمين، وجعلـت القضيـة تتصـدر مـن جديـد المشـهد العربـي والإسلامـي والعالمـي والإنسـاني بعـد عقـود مـن التآمـر والتهميـش والتضليـل.

- نجحـت في إفشـال التطبيـع، وصفقـة القـرن، واتفاقيـات أبراهـام التـي شـرعنت الاحـتلال واسـتباحة المقدسـات، لا سـيما أن التطبيـع أعطـى انطباعًـا بـأن القضيـة الفلسـطينية قـد انتهـت.

- نجحـت في إفشـال مسـاعي العـرب المتصهينـة بتشـويه صـورة الشـعب الفلسـطيني، وتخوينـه وتجريـح كرامتـه وإظهـاره بائعًـا للقضيـة.

-نجحـت في تكريـس معادلـة جديـدة تربـط القـدس بغـزة، بعدمـا كانـت القـدس خـارج نطـاق المقاومـة.

- حققـت نصـرًا اسـتراتيجيًّا جديـدًا، فلسـطين هـي القضيـة والكيـان الصهيونـي هـو العـدو، والأقصـى هـو الهـدف والشـعار.

إن الأوضـاع قـد تتغيـر إذا مـا تغير قرار قيادة السـلطة الفلسـطينية في الضفـة الغربيـة بإدخـال الضفـة بالكامـل في هـذه المواجهـة، وبذلـك قـد تنفلـت الأوضـاع وتصـل إلـى مرحلـة المواجهـة الشـاملة في الأراضـي الفلسـطينية بالكامـل.

الآن كل شـيء سـيعتمد علـى التطـورات السياسـية في الضفـة الغربيـة، إذ إن الأوضـاع قـد تتغيـر رأسًـا علـى عقـب إذا مـا اسـتطاعت الحركـة الإسلاميـة السـيطرة عليهـا، ومـع كل هـذا، فـإن مـا هـو أكيـد اليـوم، أن هنـاك فـصلًا مـن القضيـة الفلسـطينية قـد انتهـى، وبـدأ فصـل جديـد ليحـل محلـه.

دول وقلعي :

علي صادق

تأثير اللوبي الصهيوني

على سياسات واشنطن تجاه الحرب في غزة

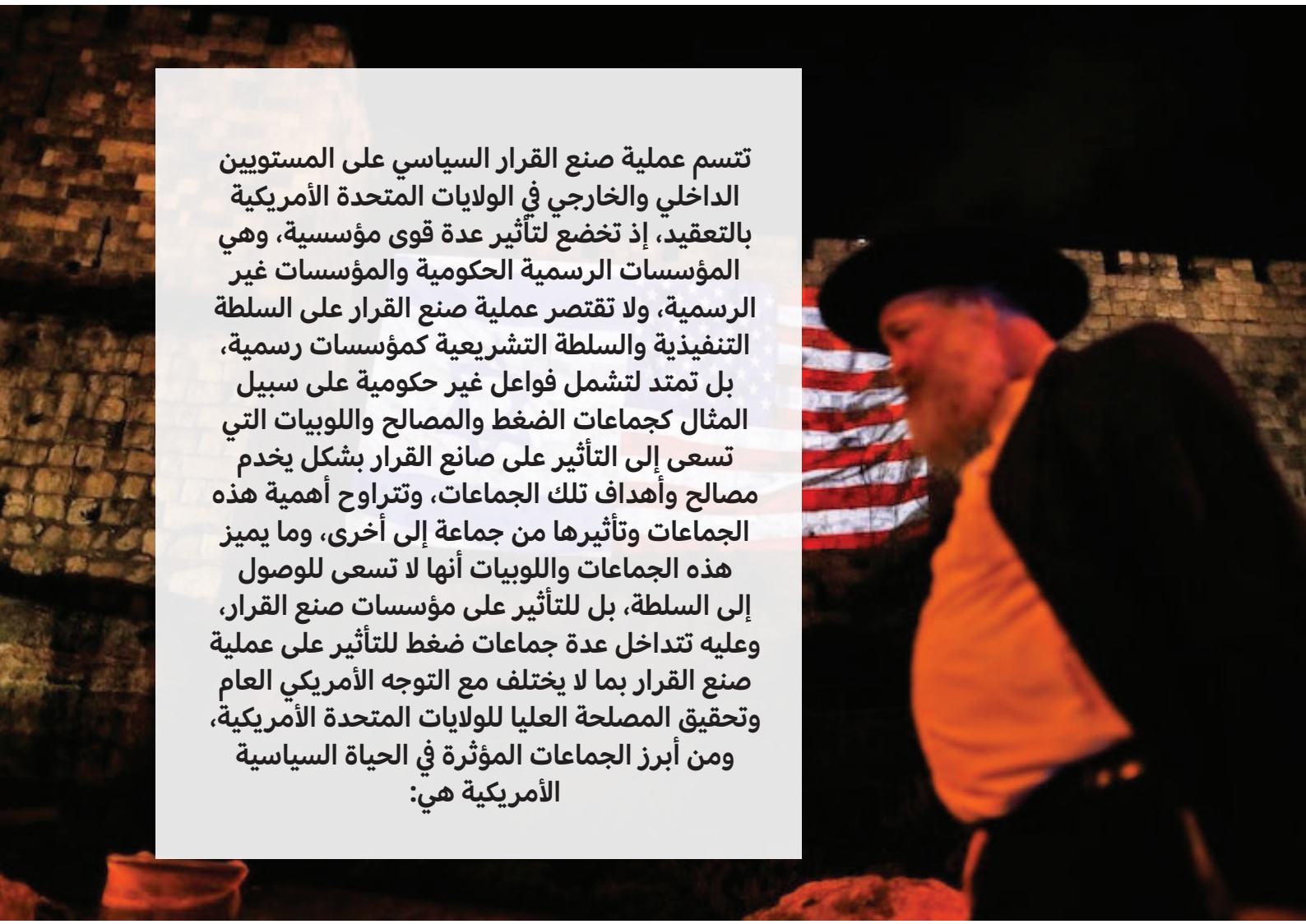

تتسم عملية صنع القرار السياسي على المستويين الداخلي والخارجي في الولايات المتحدة الأمريكية بالتعقيد، إذ تخضع لتأثير عدة قوى مؤسسية، وهي المؤسسات الرسمية الحكومية والمؤسسات غير الرسمية، ولا تقتصر عملية صنع القرار على السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية كمؤسسات رسمية، بل تمتد لتشمل فواعل غير حكومية على سبيل المثال كجماعات الضغط والمصالح واللوبيات التي تسعى إلى التأثير على صانع القرار بشكل يخدم مصالح وأهداف تلك الجماعات، وتتراوح أهمية هذه الجماعات وتأثيرها من جماعة إلى أخرى، وما يميز هذه الجماعات واللوبيات أنها لا تسعى للوصول إلى السلطة، بل للتأثير على مؤسسات صنع القرار، وعليه تتداخل عدة جماعات ضغط للتأثير على عملية صنع القرار بما لا يختلف مع التوجه الأمريكي العام وتحقيق المصلحة العليا للولايات المتحدة الأمريكية، ومن أبرز الجماعات المؤثرة في الحياة السياسية الأمريكية هي:

«جماعات الضغط التابعة للكيان الإسرائيلي» إذ تُعَدُّ من أبرز الجماعات المؤثرة في رسم السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط, خاصة عندما يتعلق الأمر بالأمن القومي الصهيوني والصراع العربي معه، إذ تسارع الإدارة الأمريكية إلى اتخاذ قرارات بما يحفظ أمن ومصالح الحليف الأقرب, بغض النظر عن النتائج, وتُعَدُّ تل أبيب حليفًا استراتيجيًّا لواشنطن لأسباب كثيرة، وقد كشفت عملية السابع من أكتوبر 2023، وما تلاها من إعلان دولة الاحتلال الحرب على قطاع غزة عمق العلاقات الاستراتيجية الصهيونية-الأمريكية، ومنذُ اليوم الأول للحرب، ألقت إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن بثقلها خلف الكيان معلنة التضامن والدعم المطلق، إذ سارع الرئيس بايدن ووزيرا الدفاع والخارجية إلى زيارة تل أبيب, واجتمع بايدن مع أعضاء مجلس الحرب في حكومة الطوارئ الصهيونية مُقدِّمًا نفسه كحليف لا يتزعزع للكيان, وعلى استعداد لتزويده بكل ما يحتاجه لحربه على حركة حماس وقطاع غزة.

كما أشار بايدن إلى أن العلاقة العميقة بين الولايات المتحدة والكيان تعود جذورها إلى أكثر من «75» عامًا, وأشار إلى التزام الإدارة الأمريكية تجاه الكيان, متعهدًا بتقديم المزيد من الدعم العسكري والاقتصادي والدبلوماسي، وسعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى عرقلة أي جهود لوقف الحرب في غزة مستخدمة حق النقض"الفيتو" في مجلس الأمن، ورغم المظاهرات التي خرجت في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ودول أوروبية والضغوط الشعبية والإعلامية تُطالب الرئيس بايدن بسحب دعمه في الحرب على قطاع غزة، لا تزال واشنطن تقدم الدعم على كافة المستويات العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية، وإزاء هذا تُطرَح عدة تساؤلات حول أسباب هذا القدر من الدعم الأمريكي اللامحدود الذي قدمته واشنطن منذُ بدء الحرب على غزة، إذ ينظر بعض المراقبين إلى أن سبب هذا الدعم يعود إلى القيمة الاستراتيجية للكيان في منطقة معقدة ومتشابكة يجعل من الكيان قاعدة عسكرية متقدمة من وجهة نظر صانع القرار الأمريكي.

خلال حقبة الحرب الباردة كانت الولايات المتحدة الأمريكية تنظر إلى الكيان باعتباره حصنًا قويًّا في مواجهة التوسع السوفييتي في العالم العربي، وبعد نهاية الحرب الباردة عندما بدأت الولايات المتحدة الأمريكية في الانخراط بشكل متزايد في غرب آسيا، واصلت النظر إلى الكيان بكونه حليفًا موثوقًا به, وقوة استقرار تخدم الأهداف والمصالح الأمريكية في المنطقة، وهناك من يرى أن عمق هذه العلاقة يعود إلى قوة تأثير اللوبي الصهيوني الذي يمارس الضغط على صانع القرار السياسي الخارجي الأميركي لدعم الكيان حتى لو كان على حساب مجمل الأهداف الأمنية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.

خلال حقبة الحرب الباردة كانت الولايات المتحدة الأمريكية تنظر إلى الكيان باعتباره حصنًا قويًّا في مواجهة التوسع السوفييتي في العالم العربي.

أولًا: جماعات الضغط الصهيونية:

تُعَدُّ جماعات الضغط الصهيونية، أو لجنة الشؤون العامة (إيباك)، من أهم جماعات الضغط وأكثرها تأثيرًا وتنظيمًا وتمويلًا وتغلغلًا داخل المجتمع السياسي الأمريكي، ويتمتع اللوبي بنفوذ قوي داخل مراكز صنع القرار في السياسة الخارجية الأمريكية من خلال التأثير الذي تمارسه اللجنة الأمريكية(الإسرائيلية) (إيباك) على صناع القرار الأمريكيين من خلال الاتصال بالمؤسسات الحكومية الرسمية أو من خلال توجيه الرأي العام الأمريكي والدعاية للكيان عبر وسائل الإعلام والشخصيات العامة المؤثرة. فضلًا عن ذلك يتمتع اللوبي بعلاقات مؤثرة مع كِلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي، إذ يوفر اللوبي حملات تمويل أثناء الانتخابات, ويعمل على إيصال أعضاء إلى الكونغرس من المؤيدين للكيان, إذ تمكن اللوبي في العديد من الانتخابات من استقطاب ودعم شخصيات حزبية للترشح للكونغرس وإلى مناصب عليا في الدولة ومن الموالين لتل أبيب، وتتميز هذه المجموعات بالقدرة على توجيه

السياسة الخارجية الأميركية بشكل يفوق المجموعات الأخرى، ونتيجة لقوة اللوبي ونفوذه وسيطرته على العديد من المناصب المهمة في السلطتين التشريعية والتنفيذية، إذ يشير موقع إيباك على شبكة الإنترنيت إلى أن 98% من المرشحين الذين دعمتهم فازوا في الانتخابات، وأن ذلك ساعد في هزيمة «13» مرشح كان من الممكن أن يقوضوا العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني في الدورة الانتخابية الأخيرة.

ويعود جذور اللوبي الصهيوني إلى العائلات اليهودية الأكثر ثراء في البلاد، وظهرت جماعات الضغط الصهيونية في السياسة الأميركية أثناء الحرب العالمية الثانية، وتحديدًا بعد ما قام به النازيون, وعلى رأسهم هتلر تجاه اليهود، مما دفع مئات الآلاف منهم إلى الانتماء إلى "الحركة الصهيونية العالمية"، ومؤيديهم، وأصبح العدد يقارب المليون بحلول عام 1948، وبمجرد إنشاء الكيان الصهيوني في العام نفسه، طلبت الحركة من اليهود الأمريكيين جمع التبرعات للدولة الناشئة واستغلال نفوذهم السياسي لدعمها، وعمل اللوبي طوال الحقب السابقة على توطيد العلاقات الأمريكية (الإسرائيلية)، والحفاظ على أمن ومصالح الكيان، والعمل على ضمان وصول الموالين له إلى المناصب العليا في السلطتين التشريعية والتنفيذية في الولايات المتحدة الأمريكية، ورغم أن

نسبة اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية قليلة، إلا أنهم يمثلون نسبة مهمة بين النخب، إذ يتوزعون على مختلف القطاعات التي تشمل مكاتب المحاماة والمنظمات والصحافة والإعلام والسينما والجامعات، ونجح اللوبي في التغلغل داخل أروقة البيت الأبيض، والتأثير على صناع القرار، خاصة عندما يتعلق الأمر بمنطقة الشرق الأوسط وأمن ومصالح الكيان، فضلًا عن ذلك تمكن اللوبي من إقصاء معارضي الكيان في الولايات المتحدة الأمريكية والداعمين لفلسطين من أعضاء الكونغرس، مستخدمًا أسلوب الاتهام بمعاداة السامية، وتستمد جماعات الضغط (الإسرائيلية) مصادر القوة من طبيعة النظام السياسي الأمريكي ومن حيوية شبكة العلاقات التي صاغتها مجموعة المنظمات التي تمثل اللوبي اليهودي في واشنطن، فاللوبي يعمل على كافة مستويات القرار السياسي من الرئاسة إلى الكونغرس مرورًا بالمحكمة العليا. ويعتمد اللوبي في سياساته داخل الكونغرس على الثواب والعقاب, إذ يدعم ويكافئ من يدعمه بإغداق الأموال عليه, ويعاقب من يعادي الكيان الصهيوني داخل الكونغرس، فضلًا عن نفوذه الواسع فغالبًا ما توصف سيطرته بأنها سيطرة شبه تامة على الفرع التنفيذي لقوة تأثير الناخبين اليهود في الانتخابات الرئاسية, وهذا ما يمنح اللوبي الصهيوني مختلف وسائل التأثير على السياسيين وتوجيه المساهمات المالية والإعلامية في الحملات الانتخابية بما يشجع على فوز المرشحين الذين يدعمهم اللوبي، وفي هذا الصدد يقول جون ميرشايمر أستاذ العلوم السياسية في جامعة شيكاغو: إن (اللوبي (الإسرائيلي) يتمتع بميزة التنافس على النفوذ؛ لأن أبناء الجالية اليهودية في أمريكا يحتلون مراكز ومناصب متقدمة في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والإعلام الصحافة والجامعات, وإنهم مثقفون للغاية، وبحسب ميرشايمر وستيفن والت(إن اللوبي يمتلك المال السياسي للمنافسة في الانتخابات الرئاسية والتشريعية الأمريكية).

> يقول وزير الخارجية الراحل هنري كيسنجر: إن الولايات المتحدة لديها مبدأ أساسي تنطلق منه، وهو أننا لن نفعل أي شيء يعتقد (الإسرائيليون) أنه سيؤثر على مصالحهم وأمنهم.

ثانيًا: من ترومان إلى بايدن (دعم أميركي غير محدود):

يقول وزير الخارجية الأسبق الراحل هنري كيسنجر في كتاب(تأملات في الدبلوماسية والاستراتيجية الكبرى): إن الولايات المتحدة لديها مبدأ أساسي تنطلق منه، وهو أننا لن نفعل أي شيء يعتقد (الإسرائيليون) أنه سيؤثر على مصالحهم وأمنهم، ومنذُ تولي الرئيس هاري ترومان الرئاسة، تغيرت السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية تجاه(إسرائيل) عام 1948، إذ عُدَّ هاري ترومان أول رئيس في العالم يعترف بالكيان كدولة، وبعد لحظات من قيامه، لتبدأ سلسلة المساعدات الأمريكية لتثبيت أقدام الكيان الصهيوني في المنطقة، كما يُوضح الكاتب الأميركي جون ميرشايمر، أن الدعم الأميركي خلال العقود الماضية انقسم إلى دعم اقتصادي وسياسي ودبلوماسي وتكنولوجي وعسكري، كما جمع الكاتبان ميرشايمر وستيفن والت عشرات الأدلة، التي تثبت أن أموال دافعي الضرائب الأميركيين دعمت لتطوير الاقتصاد الصهيوني، وعلى المستوى الاقتصادي

يحصل الكيان على ثلاث مليارات سنويًّا، وهو مبلغ يشكل نحو سدس ميزانية المساعدات المباشرة التي تقدمها الولايات المتحدة الأمريكية لحلفائها في العالم، فضلًا عن ذلك فإن الكيان هو الطرف الوحيد الذي لا يتوجب عليه أن يوضح كيفية إنفاقها للمساعدات الأمريكية. وعلى المستوى العسكري تحرص الولايات المتحدة على ضمان التفوق العسكري الإسرائيلي على دول المنطقة، إذ عمل الدعم العسكري الأمريكي على تحويل الجيش الصهيوني إلى أحد أكثر الجيوش تقدمًا تكنولوجيًّا في العالم، وقد كشفت عملية السابع من أكتوبر وما تلاها من إعلان رئيس وزراء الاحتلال بنيامين نتنياهو الحرب على غزة، عن عمق العلاقات الاستراتيجية الأمريكية الصهيونية, وعلى الرغم من مرور مئة يوم على الحرب، لا تزال الولايات المتحدة الأمريكية تقدم الدعم للكيان، ومنذ اليوم الأول للحرب قدم الرئيس الأمريكي بايدن نفسه كحليف للكيان وعلى استعداد لتزويده بكل ما يحتاجه لحربه على الأراضي الفلسطينية, وسارع إلى تقديم مساعدات عسكرية أمريكية ودفع الكونغرس إلى تمرير حزمة مساعدات كبيرة للكيان، على الرغم من خروج المظاهرات في لندن والولايات المتحدة الأمريكية نفسها ودول أوروبية والضغوط الشعبية والإعلامية التي طالبت الرئيس بايدن بسحب الدعم الأمريكي في الحرب على قطاع غزة, إلا أنه مارس حق الفيتو في مجلس الأمن ومنع إيقاف الحرب على قطاع غزة، فعلى النقيض من الرؤوسا السابقين للولايات المتحدة الأمريكية الذين كانوا ينظرون إلى الصراع العربي- الصهيوني من خلال إجراء حسابات حول الجغرافيا السياسية والسياسة الأمريكية، فإنهم غالبًا ما أعطوا الأولوية لتقليل تأثير هذه الحروب على الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية, كما شكل الموقف السياسي الداخلي لكل رئيس

تصرفاته، وعلى النقيض من ذلك كان دعم بايدن للكيان مطلقًا وبلا حدود بغض النظر عن تداعيات الدعم على الداخل والخارج الأمريكي، ولم يتوقف بايدن عند حدود الحماية السياسية التي قدمها للكيان، بل قام بحماية عسكرية، وهو ما لم يحدث تاريخيًا حتى في حرب أكتوبر 1973 عندما كان الكيان على وشك الانهيار، إذ أرسل بايدن حاملات طائرات لحماية الكيان وزوده بقنابل بوزن 2000 باوند التي لم تستخدمها الولايات المتحدة الأمريكية أثناء مشاركتها في عمليات الحرب على داعش في سوريا والعراق، ورغم أن الكونغرس كان سيوافق على تمرير حزمة مساعدات عسكرية للكيان إلا أنه تجاوز الموافقة وأرسل المساعدات للكيان باستخدام قانون الطوارئ. ولم تتردد إدارة الرئيس جو بايدن في تقديم الدعم المالي والعسكري لإسرائيل، إذ خصصت 14.3 مليار دولار كمساعدات، وأرسلت أكثر من 200 طائرة محملة بالمعدات والأسلحة، فضلًا عن استخدام صلاحيات الطوارئ للسماح ببيع نحو 14 ألف قذيفة دبابة للكيان دون مراجعة الكونغرس، إذ تلعب المساعدات العسكرية الأمريكية دورًا كبيرًا في القتل والدمار الذي يتعرض له قطاع غزة، وتمحورت المواقف الأمريكية تجاه الحرب في غزة حول ركائز استراتيجية:

الأولى: رفض وقف إطلاق النار حتى يحقق الكيان أهدافه, وقد قدمت واشنطن دعمًا غير مشروط لتحقيق تلك الأهداف.

ثانيًا: حرص بايدن على منع توسع جغرافيا الحرب وامتدادها إلى لبنان وسوريا والعراق ومنع انزلاق المنطقة نحو صراع إقليمي.

ثالثًا: الولايات المتحدة بين الالتزام الراسخ والمعضلات القائمة لدعم الكيان الصهيوني.

وإزاء هذا الدعم الأمريكي اللامحدود والتزام الإدارة الأمريكية تجاه الكيان، برزت مجموعة تحديات ومعضلات تواجه الرئيس الأمريكي بايدن مع اقتراب الانتخابات الأمريكية القادمة لعام 2024, التي يأمل بايدن أن يحصل على ولاية ثانية في منصبه، إذ برزت مجموعة تداعيات على المستويين الداخلي والخارجي وكما يلي:

> ألقت عملية طوفان الأقصى تداعياتها على المشهد السياسي الداخلي الأمريكي محدثةً انقسام في المجتمع بين أطراف مؤيدة للحرب وأطراف أخرى معارضة لدعم الولايات المتحدة للحرب في غزة.

-1 التداعيات الداخلية: ألقت عملية طوفان الأقصى تداعياتها على المشهد السياسي الداخلي الأمريكي محدثةً انقسام في المجتمع بين أطراف مؤيدة للحرب، وأطراف أخرى معارضة لدعم الولايات المتحدة للحرب في غزة، ومع اقتراب الانتخابات الأمريكية يواجه الرئيس الأمريكي جملة تحديات تحدد مصير فوزه بولاية ثانية, وأبرز تلك التحديات هي:

أ- انقسام الرأي العام الأمريكي: منذُ اليوم الأول للحرب انقسم الرأي العام الأمريكي بين طرف مؤيد وطرف رافض للحرب، وقد شهدت الولايات المتحدة خروج احتجاجات وضغوط شعبية وإعلامية مطالبة الرئيس بايدن بسحب دعمه في الحرب على غزة، والدعوة للضغط على رئيس حكومة الاحتلال نتنياهو لإيقاف الحرب، وعلى الرغم من ذلك التزم بايدن بتقديم الدعم مما أدى إلى تنامي المعارضة الداخلية، فبعد أيام قليلة على الحرب أعلن المسؤول في وزارة الخارجية الأمريكية, جون بول, استقالته من منصبه، كما وقع أكثر من 500 مسؤول أمريكي يشغلون 40 وكالة حكومية خطابًا يحتجون فيه على سياسة بايدن في التعاطي مع الحرب في غزة. على الجانب الآخر خصص اللوبي الإسرائيلي في واشنطن حوالي 100مليون دولار كميزانية للحملات الانتخابية, وتستهدف الحملة بالمقام الأول الديمقراطيين التقدميين مثل جمال بومان، وكوري بوش، وإلهان عمر، ورشيدة طليب، ويهدف اللوبي إلى استهداف المشرعين التقدميين الذين هم معارضون وينتقدون السياسات الصهيونية.

ب- تعمق الانقسامات داخل الحزب الديمقراطي: على مدى السنوات القريبة الماضية، انقسم الحزب الديمقراطي الأمريكي بشأن القضية الفلسطينية ومعاملة الكيان، وأصبح الجناح اليساري للحزب ينتقد بشكل متزايد معاملة الكيان للفلسطينيين، وبشكل أكثر متزايد، حكومة نتنياهو اليمينية المتطرفة في هذا السياق، وقد نجحت عملية طوفان الأقصى، ليس فقط في تعميق الانقسامات داخل الحزب لاسيما بين فئة الشباب التي تقف ضد الحرب وبين قادة الحزب، بل في التحول لصالح الفلسطينيين بين الديمقراطيين والمستقلين، الأمر الذي يهدد حماية مستقبل بايدن في الانتخابات القادمة، فقد أشار عضو الحزب الديمقراطي "نعمان أبو عيسى" إلى أن هناك نحو 70% من أعضاء الحزب يعارضون استمرار الحرب.

ج- تراجع الدعم الشعبي وتصاعد أسهم ترامب الانتخابية: أثرت سياسات الرئيس جو بايدن تجاه الكيان والحرب في غزة إلى تراجع وانخفاض شعبيته الداخلية التي وصلت إلى أدنى مستوى لها منذ توليه رئاسة البلاد, وذلك بسبب السياسات الخاطئة في التعامل مع حرب غزة، إذ أظهرت استطلاعات أجرتها صحيفة «نيويورك تايمز» أن بايدن متخلف عن منافسة ترامب في خمسة ولايات رئيسة، كما أدى دعم بايدن إلى فقدان دعم كتلة انتخابية مهمة من ذوي الأصول العربية المسلمة، إذ تعهد زعماء مسلمون أمريكيون من ست ولايات تُعَدُّ حاسمة في الانتخابات الرئاسية بتحشيد مجتمعاتهم ضد إعادة انتخاب بايدن؛ بسبب دعمه للحرب الصهيونية على غزة, وتُعَدُّ الولايات الست من بين الولايات القليلة التي أتاحت لبايدن الفوز في انتخابات نوفمبر, 2020

وقد تؤدي معارضة مجتمعاتها إلى تعقيد طريق بايدن نحو الفوز بأصوات المجمع الانتخابي، فضلًا عن نجاح الحزب الجمهوري في توظيف الحرب في غزة لانتقاد سياسات الرئيس بايدن لغرض تعزيز فوزهم في الانتخابات الرئاسية في نوفمبر 2024، وقد ألقى الحزب الجمهوري اللوم على بايدن فيما يتعلق بتصاعد الصراعات حول العالم خلال حقبة رئاسته, وهو ما يساهم في تدعيم حظوظ منافسة دونالد ترامب لاسيما مع ارتفاع نسبة المعارضة الداخلية والانقسامات الأمريكية تجاه سياسات بايدن الخاطئة من وجهة نظرهم.

2- التداعيات الخارجية: استمرار العملية العسكرية (الإسرائيلية) على قطاع غزة أدت إلى ردود فعل عكسية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية كرد فعل على الدعم الذي قدمته إدارة الرئيس بايدن لدعم الحرب في غزة, وقد أدى ذلك إلى تداعيات على المستوى الخارجي للمصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط, وتتمثل أبرز تلك التداعيات بما يلي:

أ- استهداف الوجود والمصالح الأمريكية في المنطقة: تدرك إدارة الرئيس بايدن أن الحرب في غزة هي حجر الزاوية والسبب الرئيس في حالة التصعيد في منطقة الشرق الأوسط وهي الساحة الأكثر تعقيدًا، إذ أدى ارتفاع التكلفة الإنسانية للحرب الصهيونية في قطاع غزة إلى تصاعد الهجمات ضد القواعد والقوات الأمريكية في العراق وسوريا والأردن، فقد ذكرت وزارة الدفاع الأمريكية(البنتاغون) أنه منذ اليوم الأول للحرب تعرضت القواعد والقوات الأمريكية في العراق وسوريا إلى عشرات الهجمات، وهناك تخوّف لدى الإدارة الأمريكية، ولدى العديد من المحللين الأمريكيين، من أن ارتفاع التكلفة الإنسانية للعمليات العسكرية للكيان في غزة، وارتفاع نسب المعارضة العربية للولايات المتحدة الأمريكية لدعمها اللامتناهي للكيان قد يُحدِث تحولًا في نهج استهداف القواعد العسكرية الأمريكية إلى أخذ جنود أمريكيين كرهائن.

تدرك إدارة الرئيس بايدن أن الحرب في غزة هي حجر الزاوية والسبب الرئيس في حالة التصعيد في منطقة الشرق الأوسط وهي الساحة الأكثر تعقيدًا.

ب- أزمة الأمن في البحر الأحمر: برزت الأزمة في البحر الأحمر منذُ ما يقارب ثلاثة أشهر, إذ هاجمت حركة أنصار الله الحوثيين في اليمن السفن التجارية بالقرب من مضيق باب المندب كرد فعل على العدوان الصهيوني على قطاع غزة، مما تسبب بنقطة اختناق رئيسة للشحن في الطرف الجنوبي للبحر الأحمر، وأجبرت الهجمات شركات الشحن على إعادة توجيه رحلاتها حول أفريقيا، مما تسبب في أضرار اقتصادية كبيرة، وبالنسبة للحوثيين تُعَدُّ الهجمات وسيلة للضغط على الكيان وحليفته الولايات المتحدة الأمريكية لوقف الحرب في غزة، ويُعَدُّ البحر الأحمر أحد أهم الممرات المائية في العالم, ويحمل حوالي 15% من الشحن العالمي, و30% من تجارة الحاويات، وهو أيضًا ممر مهم لنفط وغاز الخليج المتجه إلى أوروبا، وفي 18 كانون الأول، أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية «تحالف حارس الازدهار»، وهو تحالف مخصص انبثق من جهد أمني بحري قائم بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية, ومقره في البحرين، وشنَّ التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضربات ليلة 11-12 كانون الثاني بقصف أهداف يمنية، ومن جهة أخرى مثَّل إعلان هذا التحالف من قِبَل البنتاغون

صدمة للمراقبين الأمريكيين, نظرًا للتبعات المحتملة لهكذا إعلان من الناحية المالية والعسكرية, وما ستتكبده الخزانة الأمريكية من دفع مبالغ طائلة في سبيل صد هجمات أنصار الله الحوثيين ومسيراتهم، وفي الوقت نفسه إن وجود هكذا قوة بحرية في البحر الأحمر له تداعيات سلبية كبيرة, ومن الممكن أن تؤدي إلى زيادة التوترات خاصة مع وجود رفض من قِبَل بعض الأطراف, وعلى رأسهم إيران وحلفاؤها, مما قد يتسبب في تعميق الأزمة الاقتصادية, وعسكرة شريان مائي مهم للتجارة العالمية. وفي الحقيقة إن التحالف هو نتاج تنسيق أمريكي وبريطاني, وإن مشاركات بقية الدول بشكل رمزي.

ج- فقدان الثقة بالولايات المتحدة: زاد الدعم الأمريكي للكيان الصهيوني الذي يقوم بهجمات عسكرية تستهدف «المواطنين العُزَّل» في غزة مما أدى إلى ارتفاع نسب المعارضة الشعبية داخل عديد من دول المنطقة للولايات المتحدة، إذ تراجعت الثقة بالولايات المتحدة كطرف نزيه وثقة. في مقابل ذلك أدى إلى ارتفاع نسبة الثقة في خصوم ومنافسي الولايات المتحدة (روسيا والصين), خاصة في وقت يتزايد فيه دور الصين وروسيا في الشرق الأوسط، فقد أظهر استطلاع أجرته مؤسسة غالوب قبل الحرب(الإسرائيلية) في الضفة الغربية وقطاع غزة من يوليو إلى سبتمبر 2023، أنه لم يكن لدى الفلسطينيين ثقة بالرئيس الأمريكي كوسيط عادل في الصراع الفلسطيني-الصهيوني، إذ قال 84% من الفلسطينيين إنهم ليس لديهم ثقة كبيرة بالرئيس الأمريكي بايدن للتفاوض.

الخاتمة

لقد كشفت عملية السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، وما تلاها من إعلان رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو الحرب على قطاع غزة، عن عمق العلاقات الاستراتيجية الصهيونية الأمريكية، إذ ألقت إدارة الرئيس الأمريكي بايدن ثقلها خلف الكيان معلنة التضامن والدعم المطلق في إعلان حربها على الأراضي الفلسطينية، وسارع الرئيس الأمريكي بايدن ووزيرا الخارجية والدفاع إلى زيارة تل أبيب، وقد تعهد بايدن خلال اجتماعه مع مجلس الحرب المصغر بتقديم الدعم إلى الكيان, ولم يكتفِ بايدن بتقديم مساعدات عسكرية أمريكية ودفع الكونغرس إلى تمرير حزمة مساعدات كبيرة للكيان، فقد أتبع ذلك بمواقف لم تكن فقط مُستفزة للعرب وحدهم ولكن للعالم أجمع، فالولايات المتحدة كانت الدولة الوحيدة في مجلس الأمن التي عارضت وقف إطلاق النار في غزة, رغم جرائم الحرب التي يرتكبها الكيان، ثم قامت في المرة الثانية بتفريغ قرار مجلس الأمن من مضمونه قبل أن تسمح له بالمرور بالامتناع عن التصويت، والحق أن خدمات بايدن للكيان لم تتوقف عند حدود الحماية السياسية، بل قام بإتباعها بحماية عسكرية، وهو ما لم يحدث تاريخيًّا أيضًا حتى في حرب أكتوبر/تشرين الأول عام 1973, عندما أوشك الكيان على الانهيار في بداية الحرب، إذ قام الرئيس بايدن بإرسال حاملات طائرات لحماية الكيان، وإزاء هذا تُطرَح عدة تساؤلات حول أسباب هذا القدر من الدعم الأمريكي اللامحدود الذي قدمته واشنطن للكيان منذُ بدء الحرب على قطاع غزة، إذ انقسم التفسير بين المراقبين, فهناك من يرى أن سبب هذا الدعم يعود إلى القيمة الاستراتيجية للكيان في منطقة معقدة ومتشابكة تجعل الكيان الصهيوني قاعدة عسكرية متقدمة من وجهة نظر صانع القرار الأمريكي، وخلال حقبة الحرب الباردة كانت الولايات

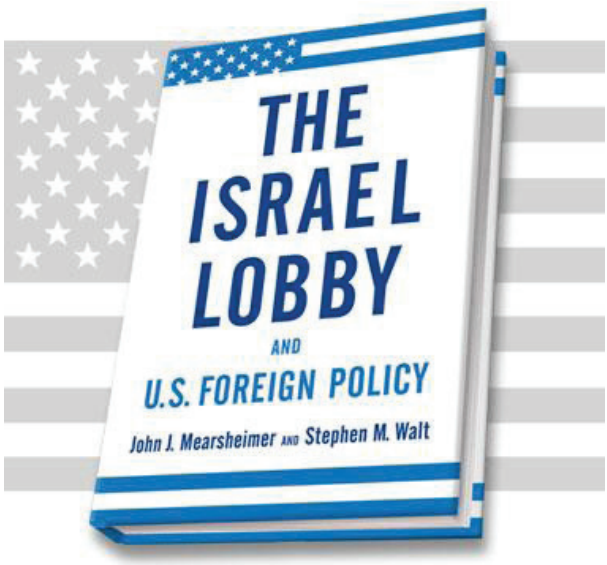

المتحدة الأمريكية تنظر إلى الكيان باعتباره حصنًا قويًّا في مواجهة التوسع السوفييتي في العالم العربي، وبعد نهاية الحرب الباردة عندما بدأت الولايات المتحدة الأمريكية في الانخراط بشكل متزايد في غرب آسيا، واصلت النظر إلى الكيان باعتباره حليفًا موثوقًا به, وقوة استقرار تخدم الأهداف والمصالح الأمريكية في المنطقة، وهناك من يرى أن عمق هذه العلاقة يعود إلى قوة تأثير اللوبي الصهيوني الذي يمارس الضغط على صانع القرار السياسي الخارجي الأميركي لدعم الكيان, حتى لو كان على حساب مجمل الأهداف الأمنية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، وبعد مرور ثلاثة أشهر على الحرب يواجه الرئيس الأمريكي بايدن عدة معضلات وتحديات على المستويين الداخلي والخارجي؛ نتيجة الدعم المفرط للكيان, خاصة مع قرب الانتخابات الرئاسية الأمريكية في مطلع نوفمبر2024, التي من الممكن أن تقوض فرص بايدن في الفوز بولاية ثانية، ولا نستبعد تحول الأمن الصهيوني ثقلًا وعبئًا على المصالح الأمريكية.

الهوامش

1- د.عبـاس راضـي العامـري، حـرب النوايـا، دار الحكمـة، لنـدن، الطبعـة الثانيـة، ص94.

2- د. هيثـم مزاحـم، تأثيـر اللوبـي الإسـرائيلي وطوفـان الأقصـى، للمزيـد يُنظَـر للرابـط https://www.elnashra.com/news/show/1644873/%D8%AA%D8%A3%D8%AB%D9%8A%D8%B1-%D8% 9.

3-عمـر فاتـح شـكالي، تأثيـر اللوبـي الصهيونـي في السياسـة الخارجيـة الأمريكيـة، دراسـة حالـة الصـراع العربـي الإسـرائيلي، للمزيـد يُنظَـر للرابـط https://www.asjp.cerist.dz/en/article/123051

4- هشـام الغنـام، عـن العلاقـات الأميركيـة- الإسـرائيلية المتغيـرة، للمزيـد يُنظَـر للرابـط https://www.majalla.com/taxonomy/term/246616

5- سـتانلي جونـي، فهـم العلاقـات الأمريكيـة الإسـرائيلية، للمزيـد يُنظَـر للرابـط https://www.thehindu.com/news/international/understanding-the-us-israel-relations-explained/article67480221.ece

6- د أحمـد سـيد أحمـد، حـرب غـزة والانتخابـات الأمريكيـة، للمزيـد يُنظَـر للرابـط https://ecss.com.eg/38411/

7- الولايـات المتحـدة بيـن مسـاعي التهدئـة واحتمـالات التصعيـد في الشـرق الأوسـط، للمزيـد يُنظَـر للرابـط https://strategiecs.com/ar/analyses/%D8%A7%D984%D9%88%D9%84%D8%A7%%

8- هديـر أبـو زيـد، كيـف انعكسـت حـرب غـزة علـى الحسـابات الانتخابيـة الأمريكيـة، للمزيـد يُنظَـر للرابـط .https://ecss.com/eg/42591

9- حرب غزة تهدد انتخاب الرئيس بايدن، للمزيد يُنظَر للرابط https://www.alarabiya.net/arab-and-world/american-elections-

10-هـل يؤثـر الشـرق الأوسـط علـى الانتخابـات الأمريكيـة المقبلـة، للمزيـد يُنظَـر https://www.gmfus.org/news/could-middle-east-affect-us-election

11- تسـتعد لجـان العمـل السياسـي المؤيـدة لإسـرائيل لإنفـاق مبالـغ كبيـرة لإقالـة أعضـاء الكونغـرس التقدمييـن في الـدورة الانتخابيـة لعـام 2024، للمزيـد يُنظَـر للرابـط https://www.opensecrets.org/news/2023/12/pro-israel-pacs-poised-to-spend-big-to-unseat-progressive-members-of-congress-in-2024-election-cycle/

12- تحالـف حـارس الازدهـار: تحالـف عسـكري بحـري متعـدد الجنسـيات، تأسـس يـوم 18 ديسـمبر/كانون الأول 2023، بمبـادرة أطلقتهـا الولايـات المتحـدة، بهـدف التصـدي للهجمـات الحوثيـة التـي تسـتهدف السـفن التجاريـة مـن إسـرائيل وإليهـا عبـر البحـر الأحمـر، للمزيـد يُنظَـر https://www.aljazeera.net/amp/encyclopedia

دول وقضايا

وسام شاكر السراي

الممر الاقتصادي الهندي-الشرق أوسطي - الأوروبي (IMEC)

«مشروع سياسي بغطاء اقتصادي»

المقدمة

وقّعت الولايات المتحدة الأميركية والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والهند وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والاتحاد الأوروبي، على هامش قمة العشرين التي عُقِدت في نيودلهي في 9 - 10 أيلول 2023، مذكرة تفاهم لإنشاء ممر اقتصادي يربط الهند بالشرق الأوسط وأوروبا، ويشمل الممر بناء خطوط للسكك الحديدية وأنابيب نقل الطاقة، وكابلات لنقل البيانات.

تتمحور فكرة المشروع الذي تدعمه الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي حول ربط الهند بأوروبا عبر الشرق الأوسط، بما يخفض التكاليف اللوجستية للنقل، ويعزز فرص التنمية في المنطقة التي يشملها. ويتكون المشروع من ممرين: هما الممر الشرقي ويربط الهند بدول الخليج العربي، والممر الشمالي الذي يربط دول الخليج بأوروبا عبر الأردن والكيان الصهيوني[1].

وكانت حكومتا السعودية والولايات المتحدة أعلنت، في 8 أيلول/ سبتمبر 2023، عن توقيع مذكرة تفاهم بين البلدين لوضع بروتوكولٍ يسهم في تأسيس ممرات خضراء عابرة للقارات، وذلك بهدف تيسير عملية نقل الطاقة المتجددة والهيدروجين النظيف عبر خطوط أنابيب، وكذلك إنشاء خطوط للسكك الحديدية، وتعزيز أمن الطاقة، ودعم جهود تطوير الطاقة النظيفة، فضلًا عن تنمية الاقتصاد الرقمي، عبر الربط والنقل الرقمي للبيانات من خلال كابلات الألياف البصرية، وتعزيز التبادل التجاري وزيادة مرور البضائع من خلال ربط السكك الحديدية والموانئ.

ويُعَدُّ هذا المشروع امتدادًا لمبادرة (إسرائيلية) طرحت عقب توقيعها على «الاتفاقيات الإبراهيمية»

مـع الإمـارات والبحريـن، في 15 أيلـول 2020، وأحـد مخرجاتهـا، أُطلِـق عليـه في حينـه «محـور دبي-حيفـا»، أو «قطـار الـسلام»، وهـو مشـروع بـري سـككي يربـط الإمـارات بالكيـان الصهيونـي مـن طريـق السـعودية والأردن، كمـا يلُاحَـظ أن إماطـة اللثـام عـن الممـر الاقتصـادي تزامنـت مـع قـرب الاحتفـال بمرور 3 سـنوات علـى توقيـع الاتفاقيـات الإبراهيميـة، إلا أن الفـارق في الإعلان الجديـد هـو أنـه أضـاف الهنـد إلـى المشـروع كمحطـة أساسـية، ليضفـي عليـه طابعًـا يتجـاوز العلاقـات الإقليميـة، كما أن هـذا المشـروع يُعَـدُّ حصيلـة للاتفاقـات الرباعيـة التـي جـرى التوصـل إليهـا عـام 2022 في إطار صيغـة مجموعـة I2U2 التـي ضمـت، إلـى جانـب الولايـات المتحـدة، الهنـد والكيـان الإسـرائيلي والإمـارات[2].

التفاصيل الفنية للممر الاقتصادي

كان مـن المقـرر أن تقـوم الـدول الأعضـاء في الممـر الاقتصـادي بالاجتمـاع بعـد 60 يـوم مـن تاريـخ التوقيـع علـى مذكـرة التفاهـم في الهنـد خلال قمـة العشـرين، وذلـك لبحـث التفاصيـل الفنيـة للمشـروع التـي تقـدر تكلفتـه الماليـة مـا يقـارب 47 تريليـون دولار، وهـو أمـر لـم يحصـل؛ بسـبب تفجـر الصـراع العسـكري بيـن حركـة المقاومـة حمـاس والكيـان الصهيونـي عقـب انـدلاع عمليـة طوفـان الأقصـى بتاريـخ 7 أكتوبـر من عـام 2023.

وبحسـب مذكـرة التفاهـم التـي تـم توقيعهـا بيـن الـدول الأعضـاء في الممـر الاقتصـادي فـإن المشـروع يُقسَـم علـى قسـمين، الأول هـو مـا يُعـرَف بالطريـق التجـاري الـذي يربـط الهنـد بأوروبـا عبـر الشـرق الأوسـط، ويبـدو أن الـدول المنخرطـة في المشـروع لـن تبـدأ مـن الصفـر بمـا يخـص الربـط السـككي، إذ إن هنـاك سـكة حديـد قيـد الإنشـاء بطـول (605) كـم تمتـد مـن مدينـة الفجيـرة الإماراتيـة وصـولًا إلـى منطقـة الغويفـات علـى الحـدود مـع السـعودية، في حيـن هنـاك حلقـة مفقـودة بيـن منطقـة الغويفـات الحدوديـة، ومنطقـة حـرض علـى

> **تتمحور فكرة المشروع الذي تدعمه الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي حول ربط الهند بأوروبا عبر الشرق الأوسط بما يخفض التكاليف اللوجستية للنقل، ويعزز فرص التنمية في المنطقة التي يشملها.**

الحـدود السـعودية الإماراتيـة، وترتبـط منطقـة حـرض السـعودية مـع ميناء الريـاض الجـاف عبـر السـكك الحديديـة، ويوجـد خـط سـكة حديـد بطـول 1242 كيلـو متـر تربـط مدينـة الريـاض بمنطقـة قريـات علـى الحـدود السـعودية الأردنيـة، وبالتالـي فـإن الطريـق بحاجـة إلـى ربـط مدينـة قريـات السـعودية مـع مدينـة (بيـت شـيعان) في الكيـان الإسـرائيلي عبـر الأردن، وهـي الحلقـة المفقـودة الأطـول في الطريـق المقـرر بنـاؤه.

وبهـذا فـإن إجمالـي طـول خطـة سـكة الحديـد الـذي يبلـغ 2915 كـم، التـي تمتـد مـن ميناء الفجيـرة الإماراتـي إلـى ميناء حيفـا في الكيـان الإسـرائيلي، هنـاك مسـافة طولهـا 1095 كـم لـم تكتمـل بعـد، 536 كـم منهـا قيـد العمـل، وبالتالـي يتعيـن بنـاء 559 كـم فقـط، وبالمثـل تمتـد خطـوط السـكك الحديديـة المقترحـة بيـن ميناء جبـل علـي الإماراتـي إلـى حيفـا علـى مسـافة 2565 كـم، منهـا 745 كـم غيـر متصلـة، 186 كـم منهـا قيـد الإنشـاء، وهنـاك طريـق آخـر مقتـرح وهـو ربـط ميناء الدمـام السـعودي بميناء حيفـا عبـر منطقـة حـرض الـذي يبلـغ طولـه 2149 كـم، 289 كـم منـه لـم يتـم ربطـه، أمـا مسـار السـكك الحديديـة الـذي يربـط ميناء رأس الخيـر السـعودي بمدينـة حيفـا يحتـاج إلـى

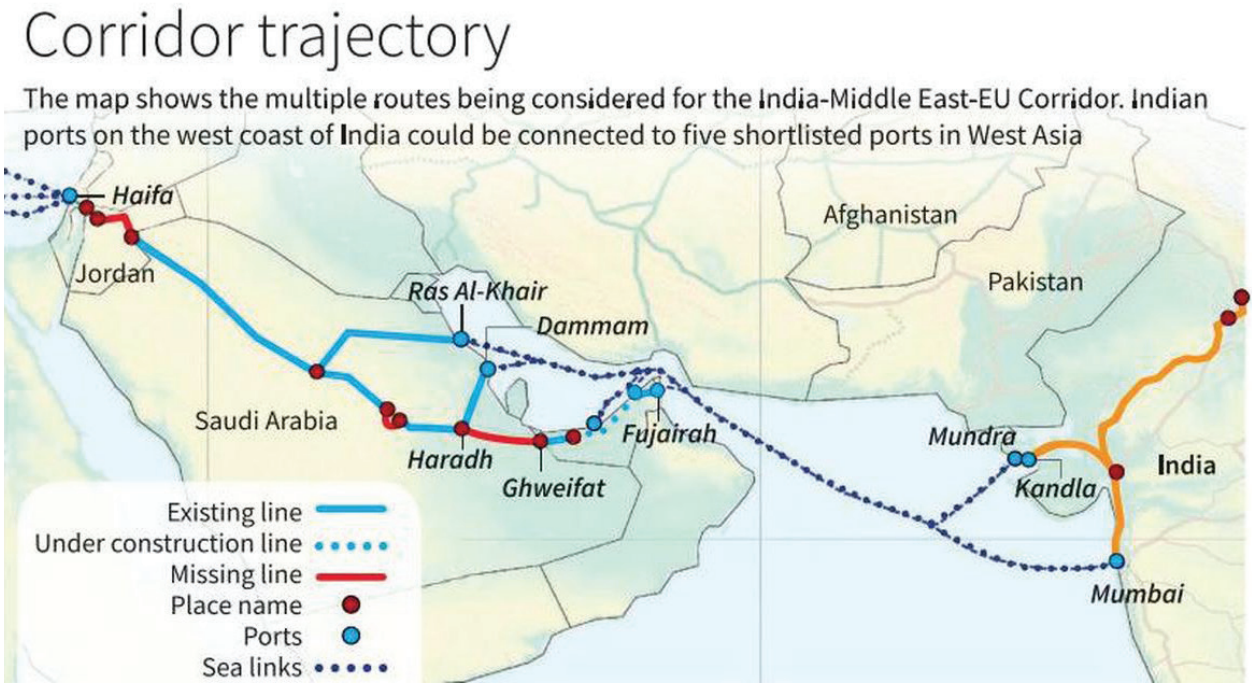

- How far are INDIA- MIDDLE EAST- EUROPE ECONOMIC CORRIDOR(IMEC) Competent??, https://medium.com.

مد سكة حديد بطول 269 كم، من أصل 1809 كم، وبهذا فإن ما يقارب 60% من البنى التحتية للطريق الخاصة بالربط السككي متوفرة أو قيد الإنشاء، وهذا دافع كبير باتجاه إنجاز المشروع.

كما يتضمن المشروع تشغيل 12 ميناء، ثلاث منها في الهند وهي (ميناء مندوة، وكانديلا في مدينة كوجرات، وميناء جواهر نهرو في مومباي)، أما الشرق الأوسط فهناك ما يقارب ستة موانئ يشملها المشروع, وهي ميناء الفجيرة، وجبل علي، وأبو ظبي في دولة الإمارات، وميناء الدمام ورأس الخير في السعودية، وميناء حيفا في الكيان الإسرائيلي) أما الموانئ الأوربية, فهي ميناء بيرايوس في اليونان، وميناء مسينا في جنوب إيطاليا، وميناء مرسيليا في فرنسا.

أما القسم الثاني من المشروع الذي يتضمن الربط الكهربائي والرقمي، وأنابيب نقل الهيدروجين الأخضر، فهو بحاجة إلى بنى تحتية كبيرة، وإلى فترة زمنية طويلة من أجل إتمامه، وستكون هناك عقبات عديدة أبرزها الاتفاق على التمويل المالي بين الدول الأعضاء، خاصة في ضوء صعوبة جذب القطاع الخاص للاستثمار في مثل هكذا مشاريع كبيرة في ظل الانتكاسات التي يتعرض لها قطاع الهيدروجين الأخضر مؤخرًا في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

الأهداف الجيوسياسية للممر الاقتصادي:

يُعَدُّ مشروع الممر الاقتصادي مشروعًا سياسيًّا أكثر منه اقتصادي، ولهذا فإن الأهداف الجيوسياسية للمشروع أخذت اهتمامًا أكبر من الأهداف الجيواقتصادية، ولكن هذا لا يعني أن المشروع في حال تنفيذه لن يكون له آثار اقتصادية على للدول المشاركة فيه، فقد أشاد الرئيس الأمريكي -جو بايدن- بقدرة المشروع «على رفع مستوى النمو في الجنوب العالمي »، عبر إنشاء خطوط جديدة للسكك

الحديدية من الهند على طول الطريق إلى البحر الأبيض المتوسط، مع ممرات للشحن وخطوط أنابيب لنقل الكهرباء والهيدروجين لتحقيق النمو الاقتصادي، وسيشمل هذا المشروع أيضًا كابلًا بحريًّا جديدًا لنقل البيانات وربط موانئ المنطقة.

إذ من المتوقع أن يؤدي المشروع إلى إرساء دعائم مرحلة جديدة في تعزيز حركة التجارة الدولية، إذ من المفترض أن يُسهم الممر في نقل البضائع بشكل أسرع بنسبة 40% ، مقارنة بالوضع الحالي، وينبغي أن يؤدي المشروع إلى تعظيم المكاسب والفرص الاقتصادية، وتنامي اقتصاديات الأطراف كافة من خلال تحقيق أقصى استفادة من قدرات دول الخليج في استغلال موارد واحتياطات الطاقة التقليدية من نفط وغاز، عبر ربطها بشبكات أنابيب تلبي احتياجات الأسواق المجاورة المستهلكة للطاقة، مثل الهند وأوروبا، مما يعني نمو وسرعة تصدير موارد الطاقة التقليدية إلى تلك الأسواق بأقل تكلفة ممكنة وتحقيق أعلى ربح ممكن، وضمان أسواق دائمة لهذه السلعة، ناهيك عن تعزيز أمن الطاقة لتلك الأسواق من خلال تنويع خيارات الإمداد بالطاقة[3].

ومن المكاسب الاقتصادية المتوقعة للمشروع هو زيادة ارتباط موانئ الهند بدول الخليج العربي وأوروبا، وبالتالي زيادة حركة التجارة الدولية في ما بين الجانبين، وسرعة النقل من الموانئ إلى الأسواق الاستهلاكية عبر سكك الحديد السريعة، فضلًا عن زيادة تصدير الكهرباء من دول الخليج إلى أوروبا عبر مد الكابلات الكهربائية وخلق فرص عمل، وفتح أسواق استهلاكية جديدة، مع إمكانية دعم خطط التحول العالمي نحو الطاقة المتجددة والنظيفة، علاوة على جذب الاستثمارات الأجنبية في هذه المجالات وتنويع صادرات دول المنطقة، بجانب دعم الأهداف الاستراتيجية لأوروبا في هذا الشأن، وتحديدًا بعد أزمة الطاقة التي تعرضت لها إثر الحرب الروسية على أوكرانيا، كما أن من شأن تنفيذ الممر تعزيز الروابط الثقافية بين دول الممر وإمكانية تحقيق مكاسب

إن أحد أبرز الأهداف الجيوسياسية للمر الاقتصادي هو تثبيت النفوذ الأميركي في المنطقة، وقطع الطريق على مساعي الصين لاستقطاب دول المنطقة عبر تقديم بديل اقتصادي ينافس مشروع الحزام والطريق.

سياحية، مع زيادة الرحلات السياحية بين الموانئ الرابطة للممر وبين خطوط السكك الحديدية المارة بالمدن والعواصم الكبرى على طول الممر الاقتصادي داخل الجزيرة العربية، مثل أبو ظبي والرياض، مع إمكانية الربط مع مشروع قطار الخليج العربي السريع، وتقليل حدَّة التنافس السائدة، والاتجاه إلى تبادل المنافع[4].

ولكن كل هذه الأهداف الاقتصادية وغيرها التي تحدث عنها المختصون تبقى ثانوية مقارنة بالتداعيات الجيوسياسية للممر الاقتصادي، التي يمكن تقسيمها على قسمين: الأول يتعلق بالتداعيات المحتملة للممر على النظام الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط، أما القسم الثاني فيتعلق بالصراع الدولي بين القوى الكبرى.

التداعيات المحتملة للممر الاقتصادي على النظام الإقليمي في الشرق الأوسط:

إن أحد أبرز الأهداف الجيوسياسية للمر الاقتصادي هو تثبيت النفوذ الأميركي في المنطقة، وقطع الطريق على مساعي الصين لاستقطاب دول المنطقة،

عبر تقديم بديل اقتصادي ينافس مشروع الحزام والطريق، وقد سبب التنامي المطرد في العلاقات بين الصين ودول المنطقة قلقًا كبيرًا في واشنطن، خاصة بعد أن أخذ التعاون بين بعض الدول الإقليمية الحليفة لواشنطن, مثل السعودية والإمارات، يتجاوز حدود العلاقات التجارية إلى التعاون في مجالات الدفاع والأمن؛ بسبب التعقيدات التشريعية والإجرائية الأميركية في هذا المجال، وعدم وجود شروط صينية مرتبطة بمبيعات الأسلحة، فضلًا عن توجه دول الخليج العربية نحو تنويع شراكاتها الدولية؛ بسبب اتساع فجوة الثقة بالتزام الولايات المتحدة بأمن المنطقة، وعلى رغم من تأكيد الرئيس الأمريكي جو بايدن على أن المشروع لا يهدف إلى منافسة الصين، وأن أهدافه تنموية بالدرجة الأولى، فإنه لا يمكن إغفال الجوانب السياسية المتصلة به[5].

لذا فإن الممر الاقتصادي يُعَدُّ بمثابة تأكيد أمريكي بالتزام واشنطن بالشراكة الاستراتيجية مع حلفائها، ومحاولة ردم فجوة الثقة التي تصاعدت في المنطقة تجاهها، وبرعايتها لمشروع الممر أرادت إدارة بايدن القول إن الولايات المتحدة لن تنسحب وتترك فراغًا تملؤه الصين أو روسيا أو إيران، وإنها لن تترك منطقة الشرق الأوسط؛ لأهميتها الكبيرة فيما يخص ممراتها المائية الضرورية للتجارة العالمية وموارد الطاقة[6].

إذًا تثبيت النفوذ الأمريكي واحتواء الصين في المنطقة هو من الأهداف الاستراتيجية للمشروع، ولكن ما هي التحديات التي تواجه تثبيت النفوذ الأمريكي والتي سببت تمدد الصين في المنطقة؟

والجواب دون شك هو التباين في المصالح والأهداف بين حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية الإقليميين، وبالتالي فإن الممر الاقتصادي يُعَدُّ محاولة أمريكية لربط أهداف ومصالح الحلفاء. لقد كان الهدف الرئيس للإدارات الأمريكية خلال العقد الأخير بناء جبهة موحدة من حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة تضم بعض الدول العربية والكيان الغاصب، وكانت دائمًا تفترض أن ما تسميه «الخطر الإيراني» كفيل بأن يوحد الحلفاء في جبهة موحدة، وكان من المخطط تشكيل تحالف عسكري شرق أوسطي أو ما

يُسمَّى بـ «الناتو العربي» لمواجهة الخطر الإيراني في المنطقة، ولكن فرضية أن «الخطر المشترك يولد جبهة مشتركة» قد باءت بالفشل، ولهذا فإن الناتو العربي قد وُلِد ميتًا، وقد أصبح من الماضي خاصة بعد تطبيع العلاقات الإيرانية- السعودية بوساطة صينية في شهر آذار 2023، ولهذا كان بديل فكرة الناتو العربي هو تشكيل جبهة موحدة من حلفاء واشنطن في المنطقة من خلال إيجاد مشروع اقتصادي يربط مصالحهم بعضهم ببعض، وبالتالي وجود نظام إقليمي يضمن مصالح الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى البعيد في المنطقة، ولهذا تزامن الإعلان عن مشروع الممر الاقتصادي مع تصريحات وتقارير تتحدث عن قرب تطبيع العلاقات السعودية-الإسرائيلية.

إن تشكيل جبهة موحدة لحلفاء الولايات المتحدة الأمريكية يعني دمج الكيان الصهيوني في المنطقة، وهو أمر تسعى إدارة بايدن إلى تحقيقه, فبعد توقيع اتفاقات أبراهام، بين الكيان وكل من الإمارات والبحرين والمغرب والسودان، انصرف التركيز الأميركي خلال عام 2023 إلى محاولة تطبيع العلاقات بين السعودية (الإسرائيلية)، ويُعَدُّ الممر الاقتصادي خطوة كبيرة في هذا الاتجاه، إذ وصف رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو إطلاق الممر بأنه من أهم التحولات بالنسبة(للإسرائيليين) مشيرًا إلى أنه أكبر مشروع تعاون في تاريخ الكيان من شأنه أن يؤثر في الشرق الأوسط والعالم كله، ورأى نتنياهو أن الكيان سيكون هو مركز هذا المشروع العالمي الرائد الذي يربط البنية التحتية من آسيا إلى أوروبا [7].

ولهذا يُعَدُّ الكيان الصهيوني «أكبر الرابحين» من المشروع؛ كونه المستفيد (سياسيًّا واقتصاديًّا)، فعلى الجانب السياسي سيسهم المشروع في تسريع وتيرة تطبيع العلاقات الإسرائيلية- السعودية تمهيدًا لاندماج الكيان الصهيوني كليًّا في الشرق الأوسط، واقتصاديًّا يعني المشروع تحول «الكيان» إلى نقطة اتصال بين آسيا وأوروبا، ويمكن أن تستثمره في تعزيز تجارتها الإقليمية مع الأردن والسعودية والإمارات والهند، وبالتالي سيعزز مكانتها الاقتصادية والجيوسياسية على حساب منافسيها في المنطقة.

إن دمج الكيان في المنطقة من جانب، وربط مصالح حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية في جبهة موحدة، من جانب آخر، سيؤدي بالتأكيد إلى عزل الأطراف غير القانعة بالنظام الإقليمي الجديد الذي تسعى واشنطن إلى تثبيت أركانه في المنطقة من خلال الممر الاقتصادي، وفي مقدمة الدول الإقليمية غير القانعة هي إيران التي ترى أن تشكيل أي جبهة موحدة برعاية أمريكية- إسرائيلية تؤدي إلى اختلال توازن القوى في المنطقة بطريقة يمكن أن تجعلها معزولة، ولهذا يُعَدُّ عزل إيران من تداعيات المشروع الجيوسياسية من خلال تعزيز الشراكة بين الهند ودول الخليج والكيان الإسرائيلي بواسطة إنشاء تحالف اقتصادي بين هذه الأطراف.

لقد تعمد المشاركون في المشروع تجنب ما يُعرَف (أمريكا) بالنقاط الساخنة أو مناطق النفوذ الإيراني في المنطقة مثل (سوريا، ولبنان، واليمن، والعراق)، وهذا يعزز من صحة السردية التي تفترض «عزل إيران من خلال الممر الاقتصادي»، كما أن واشنطن بهذا المشروع قد قطعت الطريق على أية محاولات إيرانية للتقارب مع الهند، بما في ذلك إبعاد الأخيرة عن الاستثمار في ميناء تشابهار الإيراني على بحر العرب، الذي يمثل محورًا رئيسًا في مشروع إيران الطموح إلى إنشاء ممر جنوب-شمال بين الهند وأوروبا. والواقع أن الممر الاقتصادي يعني عمليًّا القضاء على فكرة المشروع الإيراني الذي كانت تطمح من خلاله طهران إلى التحول إلى نقطة عبور رئيسة على خط التجارة العالمية بين آسيا وأوروبا[8].

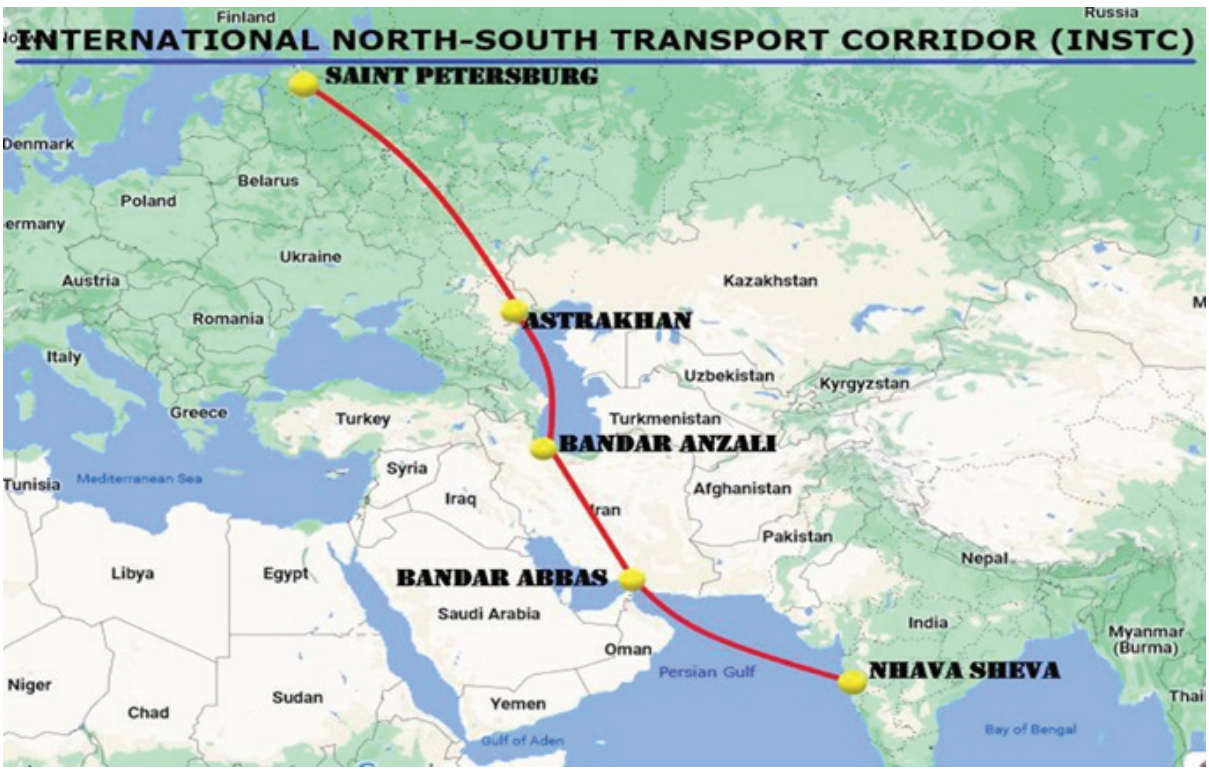

- (خارطة توضح ممر شمال جنوب الإيراني)

المصدر: ممر الشمال-الجنوب: روسيا وإيران نحو مزيد من التعاون الاستراتيجي: https://www.asbab.com/

على الجانب الآخر، تشير مشاركة السعودية والإمارات في الممر المقترح، إلى محاولة السعودية والإمارات في التموضع باعتبارهما لاعبَينِ أساسيينِ في التفاعلات الإقليمية والدولية الجارية، بحيث لا يمكن تجاوزهما، ولكن يبقى السؤال المهم بما يخص المشاركة السعودية الإماراتية، هو هل هذه المشاركة جاءت في إطار تنويع الشراكات، أم في إطار الاصطفاف والاستقطاب الإقليمي؟

على الرغم من أن سلوك الرياض وأبو ظبي اتسم في الفترة الأخيرة بتولي التوازن والتهدئة مع إيران، خاصة بعد تطبيع العلاقات السعودية- الإيرانية، وقرب التوصل إلى اتفاق سلام دائم بين حركة أنصار الله «الحوثيين» والرياض، وتعزيز العلاقات الصينية-السعودية، والسماح لسوريا بالعودة إلى الجامعة العربية، فالاعتماد على هذه المقدمات التي سبقت الإعلان عن الممر الاقتصادي يعني أن دوافع المملكة العربية السعودية والإمارات دوافع اقتصادية أكثر منها سياسية، وهي دوافع مرتبطة برؤية السعودية 2030 ورؤية أبو ظبي 2030، فالفصل بين ما هو سياسي وما هو اقتصادي أمر ممكن في إدراك صانع القرار الخليجي، لذلك نجد على سبيل المثال تنامي العلاقات الصينية مع السعودية والإمارات على الرغم من التحالف الأمني والسياسي لهذه الدول مع الولايات المتحدة الأمريكية، كما أن السياسة الخارجية الإماراتية عُرِفت بالجمع بين الأضداد, إذ نجحت في بناء علاقات ودية مع كل من إيران والكيان الصهيوني وأمريكا والصين، والهند وباكستان، وروسيا وأوكرانيا، أثيوبيا وأرتيريا، وبالتالي قد يكون الدخول الإماراتي

والسعودي جاء في إطار تنويع الشراكات، أكثر منه بسبب خلق توازن قوى جديد في المنطقة، أي أن الأهداف الجيواقتصادية تحظى بأولوية لدى السعودية والإمارات، على عكس (إسرائيل) والولايات المتحدة الأمريكية التي تعطي الأهداف الجيوسياسية للممر الاقتصادي أولوية كبيرة.

ولهذا يرى التقرير الذي أعدَّه مركز الأبحاث الدولية بأنه بالنسبة إلى بلدان مجلس التعاون الخليجي لا يتعارض هذا الممر مع مبادرة الحزام والطريق، إذ إن كليهما يعطيان منطقة الخليج ميزة رئيسة لدفع الأعمال قدمًا، ومن شأن الممر الهندي - الشرق الأوسطي - الأوروبي أن يعزز الدور الجيوقتصادي والجيوستراتيجي للسعودية والإمارات في طرق التجارة العالمية والأمن العالمي، ويوفر لهما فرصًا جديدة للتنويع في مرحلة ما بعد النفط[9].

ولكن فصل العامل الجيوسياسي عن العامل الاقتصادي أمر ليس من السهل تحقيقه، حتى لوكانت دول الخليج ترغب في ذلك؛ لأن الولايات المتحدة الأمريكية, الدولة الراعية للمشروع، ترى أن كِلا العاملين هما جزء من النظام الإقليمي ولذلك ليس من المنطقي فصلهم، ولهذا فإن للولايات المتحدة الأمريكية أهدافها الجيوسياسية من المشروع وهي أولوية بالنسبة لها، فإشراك السعودية والإمارات في الممر الاقتصادي من وجهة نظر واشنطن يهدف إلى إبطاء انجذاب منطقة الخليج نحو التكامل الأوراسي ومجموعة البريكس، وجعل ميناء حيفا قابلًا للحياة من خلال توليد الأعمال وجعله مركزًا للنقل بين غرب آسيا وأوروبا، وتعزيز المحور الإسرائيلي- اليوناني في شرق البحر الأبيض المتوسط وربطه بأمن الطاقة في أوروبا. وهذا يدلل على رغبة الولايات المتحدة في تهميش الأدوار الاقتصادية وبالتالي الجيوسياسية لاعدائها، لذلك فإن العمود الفقري للممر الاقتصادي ليس الخط التجاري بين الدول الأعضاء فيه، بل هو تأسيس منظومة إقليمية تقوم بدور محوري في قيادة المنظومة الشرق الأوسطية التابعة للولايات المتحدة، وذلك بالتعاون مع « إسرائيل » والأردن والسعودية والإمارات. أما ربطه بأوروبا فهو لضمان تبعية هذا النظام الشرق الأوسطي إلى الغرب، وفي ما يتعلق بالعلاقة بالهند فهو لربطه بطرف آسيوي منافس للصين لإبعاده من التقارب مع القوى الأوراسية البرية التي تُعَدُّ امتدادًا للنفوذ الصيني[10].

ولكن هذه المنظمة الإقليمية التي تسعى واشنطن وتل أبيب إلى تأسيسها من خلال الممر الاقتصادي, تؤدي إلى تهميش العديد من القوى الإقليمية في المنطقة، إذ اتسعت دائرة المتضررين من هذا المشروع لتشمل حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية أنفسهم، إذ همش المشروع مكانة تركيا الجيواقتصادية في منطقة الشرق الأوسط، إذ تجنب الممر الاقتصادي المرور بتركيا التي تُعرَف تاريخيًّا بالدولة الرابطة بين آسيا وأوروبا، كما عزز من مكانة دول منافسة لها وهي اليونان، ولهذا علق الرئيس التركي- رجب طيب أردوغان- على المشروع قائلًا: إن بلاده هي الخط الأكثر ملاءمة لحركة المرور من الشرق إلى الغرب في مشروع الممر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا، مضيفًا: «لن يكون هناك ممر بدون تركيا». وأشار إلى أنه يدرك محاولة عديد من الدول توسيع مناطق نفوذها من خلال إنشاء ممرات تجارية, ولفت إلى أن بلاده تدعم مشروع طريق التنمية العراقي، هذا الأخير الذي يُعَدُّ مشروع القرن العراقي، والذي قد يتأثر سلبًا؛ لأن الإعلان عن مشروع الممر الاقتصادي يقلل من أهمية المشروع العراقي في التجارة الدولية؛ كون مشروع الممر الهندي قد خلق مسارًا موازيًا للتجارة الدولية يربط قارة آسيا بأوربا. من جانب آخر قد تتراجع الدول الموقعة أو المستفيدة من الممر الاقتصادي من الاستثمار في مشروع التنمية العراقي طالما ترى أنه منافس لها.

- طريق التنمية فرصة استثمارية واعدة للعراق وتركيا على الرابط: https://www.aa.com.tr/

وإلى جانب العراق وتركيا، تأتي مصر في مقدمة المتضررين من مشروع الممر الاقتصادي، فعلى الرغم من أن الإدارة الأمريكية قد طمنت الجانب المصري من خلال تصريح ماثيو ميلر، المتحدث باسم الخارجية الأميركية، بقوله: «لا يوجد بديل لقناة السويس، ولا نعتقد أن هذا الممر الاقتصادي يستبدل قناة السويس أو يحل محلها، إلا أنه لا يمكن إغفال أثر هذا المشروع السلبي على كمية البضائع التي تمر على قناة السويس، خاصة أن مصر تمر بظروف اقتصادية صعبة بعد استحقاق تسديد القروض التي استدانتها من بعض الدول والمؤسسات الدولية، ومشاكل العملة؛ بسبب تراجع إيرادات السياحة وتحويلات المصريين من الخارج، فضلًا عن الأزمة الأمنية في مضيق باب المندب؛ بسبب عمليات حركة أنصار الله اليمنية «الحوثيين» العسكرية التي أدت إلى تراجع إيرادات قناة السويس إلى 40% خلال عام 2023، فضلًا عن اشتراط دول مجلس التعاون الخليجي قيام الجانب المصري ببعض الإصلاحات الاقتصادية مقابل حصولها على أية مساعدات مالية في المستقبل.

التداعيات الجيوسياسية الدولية المحتملة للممر الاقتصادي

لقد أشرنا في المحور الأول إلى أن تعزيز النفوذ الأمريكي في المنطقة واحتواء الصين في الشرق الأوسط، تُعَدُّ أهدافًا رئيسة لمشروع الممر الاقتصادي، فمواجهة الصين في المنطقة يُعَدُّ هدفًا محوريًّا للمشروع، فهناك مخاوف أمريكية أخذت بالتزايد من أن يتحول النفوذ الصيني الاقتصادي في المنطقة إلى

نفـوذ دبلوماسـي كمـا حصـل بعـد الوسـاطة الصينيـة لتطبيـع العلاقـات السـعودية- الإيرانيـة، وهنـاك مخـاوف مـن أن يتطـور النفـوذ الدبلوماسـي الصينـي إلـى نفـوذ عسكري، خاصة بعد التسريبات التي تحدثت عن نية الصين في بناء قاعدة عسكرية لها في الإمارات وسلطنة عُمـان، ولهـذا فـإن الهـدف الجوهـري للمشـروع هـو احتـواء النفـوذ الصينـي الـذي أخـذ بالتزايـد.

إذ تشـير بيئـة وتوقيـت إعلان إنشـاء الممـر إلـى أن المشـروع يرتبـط بصـورة أساسـية بتصاعـد التنافـس الجيوسياسـي المحتـدم بيـن الولايـات المتحـدة والصيـن علـى القيـادة الدوليـة وطبيعـة النظـام الدولـي، فممـر الهند-أوروبـا عبـر الشـرق الأوسـط يعـزز سياسـات واشـنطن الراميـة إلـى تطويـق الصيـن، سـواء في محيطها الجغـرافي أو علـى الصعيـد الدولـي، وطـرح الهنـد بعدِّهـا بـديلًا موثوقًـا عـن الصيـن في مجـال التجـارة الدوليـة، وتقديمها إلـى دول الشـرق الأوسـط وأوروبـا بـديلًا تجاريًّـا للصيـن، وهـذه الخطـوة لا شـك قـد تُسـهم في حسـم الهنـد موقفهـا مـن التنافـس الأمريكـي- الصينـي، وذلـك في ظـل تطلُّعـات نيودلهـي إلـى لعـب دور عالمـي أوسـع، ومحاولتها الاستفادة من الواقع الدولي الراهن في نقل الاستثمارات الغربية إلى أراضيها والاعتماد عليها بعدِّ شـريكًا أوثـق في التجـارة الدوليـة بـدلًا مـن الصيـن[11].

فالممـر الاقتصـادي بالنسـبة للهنـد يعـزز مـن التواصـل الجغـرافي الاقتصـادي للهنـد تجـاه الغـرب، فهـو يوفـر زخمًـا قويًّـا للاقتصـاد الهنـدي، ويجعـل مـن الهنـد مركـزًا لوجسـتيًّا لبلـدان المنطقـة للتواصـل مـع بلـدان دول غـرب المحيـط الهنـدي وخارجهـا، وهـو يدعـم الادعـاء الهنـدي بأنهـا قـوة عالميـة في مجـال الابتـكار وأنهـا شـريك أكثـر موثوقيـة مـن الصيـن[12].

وبهـذا نسـتنتج بـأن تعزيـز الـدور الهنـدي في مواجهـة الصيـن، هـو الوسـيلة المثلـى مـن وجهـة النظـر الأمريكيـة لاحتـواء الصيـن علـى الصعيـد الدولـي، فمنـذ عـام 2020 تدهـورت العلاقـات الصينيـة الهنديـة علـى إثـر الاشـتباكات الحدوديـة بيـن البلديـن في وداي غالـون الحـدودي، إذ فرضـت الحكومـة الهنديـة بعـض القيـود

> **تعزيز الدور الهندي في مواجهة الصين هو الوسيلة المثلى من وجهة النظر الأمريكية لاحتواء الصين على الصعيد الدولي فمنذ عام 2020 تدهورت العلاقات الصينية الهندية على إثر الاشتباكات الحدودية بين البلدين.**

علـى الشـركات الصينيـة، كمـا عملـت علـى وضـع العديـد مـن الحوافـز في جـذب الشـركات الأجنبيـة العاملـة في الصيـن، التـي تتخـوف مـن تصعيـد الصـراع الجيوسياسـي بيـن الصيـن والولايـات المتحـدة الأمريكيـة، ويهـدف هـذا المشـروع إلـى الارتقـاء بالاقتصـاد الهنـدي مـن خلال تعزيـز الصـادرات الهنديـة إلـى الشـرق الأوسـط وأوربـا؛ كـون وجـود بنيـة تحتيـة للنقـل بهـذا الحجـم سـيعزز قـدرة الهنـد التنافسـية علـى المسـتوى العالمـي، فالممر المقتـرح سـيجعل سلسـلة التوريـد العالميـة أكثـر مرونـة أمـام السـلع والبضائـع الهنديـة وقدرتهـا علـى المنافسـة، ويسـهم بذلـك في صعـود الهنـد الاقتصـادي العالمـي لتشـكل قـوة موازيـة للصيـن، ويعـزز المشـروع كذلـك العلاقـات التجاريـة بيـن شـركاء الولايـات المتحـدة في الخليـج مـع الهنـد، بـدلًا مـن الصيـن، في ظـل تنامـي العلاقـات التجاريـة الصينيـة مـع دول الخليـج العربيـة.

ولأن أوربـا هـي جـزء أسـاس مـن الممـر الاقتصـادي، فـإن المشـروع جـاء ليخفـف مـن المـأزق الأوربـي، إذ فرضـت الحـرب الروسـية-الأوكرانية، وقبلهـا تداعيـات أزمـة كوفيـد- 19، تحديـات هائلـة علـى القـارة الأوروبيـة، جعلتهـا تعيـش مأزقًـا غيـر مسـبوق منـذ بدايـة القـرن الحـادي والعشـرين، وذلـك علـى خلفيـة الامتنـاع الروسـي

عن تصدير الغاز إلى أوروبا، كورقة ضغط ضد صُنَّاع القرار الأوروبيين لتقديمهم الدعم العسكري لأوكرانيا ضد روسيا، إذ كشفت التقارير الدولية أن الاتحاد الأوروبي يواجه نقصًا بالمليارات من الأمتار المكعَّبة من الغاز الطبيعي خلال عام 2023 م، ويُتوقع أن يُسهم الممر -حال تنفيذه- في التخفيف من وطأة المأزق الأوروبي جراء الحرب في أوكرانيا، إذ وصفته المفوضية الأوروبية بـ «المشروع الاستراتيجي الضخم الرابط بين منطقة المحيطين الهندي والهادي والمتوسط، ويتناغم مع الأهداف الأوروبية في خلق بدائل تجارية عالمية» من أجل سحب أوراق الضغط الاقتصادية الروسية، بجانب توفير بديل تجاري مع الهند والسعودية والإمارات دون الحاجة إلى التجارة مع موسكو، لا سيما في ظل تعزيز التقارب الخليجي-الأوروبي خلال المرحلة الراهنة، وإمكانية تحقيق أوروبا مكاسب اقتصادية وتجارية تخفف حدة أزماتها، إذ يتيح لها الممر تعظيم صادراتها وتسهيل حركة سلاسل الإمداد بشكل أسرع وبطرق أقصر في الشرق الأوسط والقارة الآسيوية[13].

التحديات التي تواجه الممر الاقتصادي

إن مثل هذه المشروعات، هي من قبيل الطموحات، أي إنها قصص ترويها الحكومات تشير إلى طموح جيوسياسي واقتصادي أكثر من كونها خارطة طريق فعلية للتنفيذ الملموس[14]، ولهذا فإن مشروع مثل الممر الاقتصادي الذي يُرَاد من ورائه تحقيق أهداف دولية وإقليمية على الصعيد الجيوسياسي، وأهداف اقتصادية استراتيجية من الطبيعي أن تكون أمامه تحديات كبيرة، وتنقسم هذه التحديات على قسمين: تحديات سياسية، وتحديات فنية واقتصادية.

أولًا: التحديات السياسية للمر الاقتصادي:

يواجه الممر الاقتصادي تحديًا سياسيًّا كبيرًا في ضوء هجمات حماس في 7 تشرين الأول/أكتوبر والهجوم الصهيوني المستمر على غزة، إذ توقفت محادثات التطبيع بين تل أبيب والرياض في المستقبل المنظور، إذ أوضحت وزارة الخارجية السعودية في بيان لها بأنه لن يكون هناك علاقات دبلوماسية مع الكيان ما لم يتم الاعتراف بالدولة الفلسطينية على حدود 1967 وعاصمتها القدس الشرقية، وإيقاف العدوان الإسرائيلي على غزة، وانسحاب كافة أفراد قوات الاحتلال منها[15]، وهذه الاشتراطات السعودية من الصعب أن تقبل بها الإدارة الصهيونية المتطرفة بقيادة بنيامين نتنياهو، كما أنه من شأن أي مشروع يربط الأردن بالكيان أن يواجه معارضة شديدة من الرأي العام الأردني، ولا سيما من الفلسطينيين، ولهذا اتخذت الحكومة الأردنية موقفًا رافضًا للعدوان الإسرائيلي لقطاع غزة، ويمكن الاستنتاج بأن عملية طوفان الأقصى جعلت من تحقيق أحد الأهداف الأساسية للمشروع, وهو هدف دمج الكيان في المنطقة, هدفًا باهظ التكاليف على الدول العربية خاصة السعودية، ولهذا قد يلقى الممر الاقتصادي في نهاية المطاف مصير مشاريع أخرى للبنية التحتية، والتي أُجهِضت في مهدها.

على الرغم من الآفاق الواعدة للمشروع بالنسبة إلى الأطراف المنخرطة فيه، فإن هنالك عقبات متعددة تعترض تنفيذه، أولى هذه العقبات المعارضة التي ستنشأ من جانب الدول التي ينوي المشروع تهميشها، ومن ضمنها إيران والعراق وتركيا وسوريا وباكستان. لذا من المتوقع أن يواجه المشروع عرقلة من قِبَل هذه الأطراف التي ستقاوم محاولات تهميشها[16].

يمكن أن يؤدي الممر الاقتصادي إلى تكريس الانقسام الجيوسياسي بين عدد من الدول مثل باكستان والهند، بعد أن تم تجاهل باكستان كليًّا لصالح الهند، وتركيا واليونان بعد أن استبعدت تركيا

> يواجه الممر الاقتصادي تحديًا سياسيًّا كبيرًا في ضوء احداث 7 أكتوبر والهجوم الصهيوني المستمر على غزة إذ توقفت محادثات التطبيع بين تل أبيب والرياض في المستقبل المنظور.

على الرغم من موقعها الاستراتيجي لصالح اليونان، وإيران والسعودية، بعد استبعاد إيران رغم أهميتها في منطقة الخليج، واستبعاد عُمان لصالح الإمارات، خاصة أن سلطنة عُمان عُرِفت تاريخيًّا بأنها بوابة الهند للخليج العربي، وبالتالي يمكن أن يزيد هذا المشروع من التوترات السياسية الإقليمية بدلًا من تعزيز التنمية والاستقرار في المنطقة.

يُعَدُّ ملف أمن الملاحة في الخليج تحديًّا كبيرًا أمام المشروع، فاستبعاد إيران لصالح السعودية والإمارات والكيان، قد يزيد المخاوف من تهديد إيران لأمن الملاحة في الخليج، إذ يدعم مشروع الممر الاقتصادي موقع مضيق هرمز الاستراتيجي، وهذا يعني أن مضيق هرمز وأمن خليج عُمان سيقفان أكثر على رأس المخاوف الأمنية العالمية، وإذا كان من أهداف مشروع الممر الهندي - الشرق الأوسطي - الأوروبي تهميش إيران، فإن مجرد مروره غرب مضيق هرمز يجعله تحت رحمة طهران[17]، كما أن استبعاد تركيا من الطريق لصالح منافستها اليونان يمكن أن يعرض هو الآخر أمن الملاحة في البحر المتوسط إلى مخاطر كبيرة.

التنافس الجيوسياسي بين الإمارات والسعودية ومحاولة كل طرف الاستفادة على حساب الآخر، فمن غير المرجح أن تقبل السعودية بأن تكون مجرد دولة مرور لنقل البضائع من الموانئ الإماراتية، ولهذا ستعمل جاهدة لتشغيل ميناء الدمام ورأس الخير؛ لتأتي البضائع بصورة مباشرة من الهند إلى الموانئ السعودية دون الحاجة إلى المرور إلى الموانئ الإماراتية، وسيكون هذا الأمر منطقيًّا من حيث اختصار الكلفة والتوقيت.

على الرغم من أن الصين رحبت بإعلان الممر الاقتصادي إلا أنها أوضحت أنه يجب أن لا يكون أداة جيوسياسية، كما أن وسائل الإعلام الصينية عدَّت أن الهدف من المشروع هو تهميش دور الصين في الاقتصاد العالمي، وعلى الرغم من أن الصين مستهدفة من هذا المشروع إلا أن مراقبين اقتصاديين شككوا في إمكانية تحقيق ذلك الهدف، بل أشاروا إلى إمكانية استفادة الصين ذاتها من المشروع، إذ تمارس الصين الدولة التي يتم استهدافها بهذا المشروع تأثيرًا ملحوظًا على طول الطريق المقترح للممر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا، إذ إن ميناء بيرايوس اليوناني، وهو أكبر ميناء في شرق أوروبا، وإحدى حلقات الربط المهمة في الممر، بين أوروبا وميناء حيفا (الإسرائيلي) كما هو مخطط في مشروع الممر الاقتصادي، تسيطر عليه شركة الشحن الصينية "كوسكو"، وهي صاحبة الحصة الأكبر في الميناء منذ عام 2016، إذ تتمتع هذه الشركة الصينية بجميع الصلاحيات اللازمة لاتخاذ القرار بشأن مستقبل الميناء والسيطرة على الأرصفة والمحطات، وليس واضحًا حتى الآن فيما إذا كانت الهند والولايات المتحدة تتغاضيان عن هذا المعطى الاستراتيجي المهم، أم إذا كانتا تحاولان شراء حصص في ميناء بيرايوس وجعل ميزان القوى يميل لصالحهما على حساب شركة «كوسكو»، كما أن الشركات الصينية تسيطر على مشروع مد سكك الحديد الرابطة ميناء الفجيرة بالحدود الإماراتية السعودية.

لن تقف الصين مكتوفة الأيدي أمام هكذا مشروع يستهدف طموحها العالمي، إذ إنها قد تُلقي بثقل أكبر خلف مشروعها(الحزام والطريق), وتزيد التمويل الذي من شأنه أن يحدَّ من تأثيرات الممر المقترح، وربما إحباطه، فضلًا عن مواصلة مساعيها لتعزيز تحالفاتها وتكتلاتها، مثل تكتُّلَي شنغهاي وبريكس[18]، ولهذا يرى بعض المراقبين بأن مشروع الممر الاقتصادي لا يمكن أن يكون بديلًا عن مشروع الحزام والطريق؛ كونه أقرب إلى «طريق تجاري» وليس « ممرًّا تنمويًّا» كما هو الحال مع المبادرة الصينية.

> يمكن أن يؤدي الممر الاقتصادي إلى تكريس الانقسام الجيوسياسي بين عدد من الدول مثل باكستان والهند بعد أن تم تجاهل باكستان كليًّا لصالح الهند وتركيا واليونان.

ثانيًا: التحديات الفنية والاقتصادية:

من الناحية الفنية سيختصر المشروع المدة المخصصة لنقل البضائع من الهند إلى أوروبا عبر قناة السويس بنحو 40% ، ولكن هناك شكوك كبيرة حول إمكانية تقليل تكاليف نقل البضائع، إذ يمر الطريق بأكثر من دولة مما يعني فرض رسوم دخول وتعرفة كمركية لـ (4) دول على هذه البضائع، فضلًا عن أن شحن هذه البضائع من الهند ومن ثم تفريغها في الإمارات أو السعودية ومن ثم شحنها إلى الكيان الإسرائيلي، ومن ثم تفريغها وتحميلها مرة

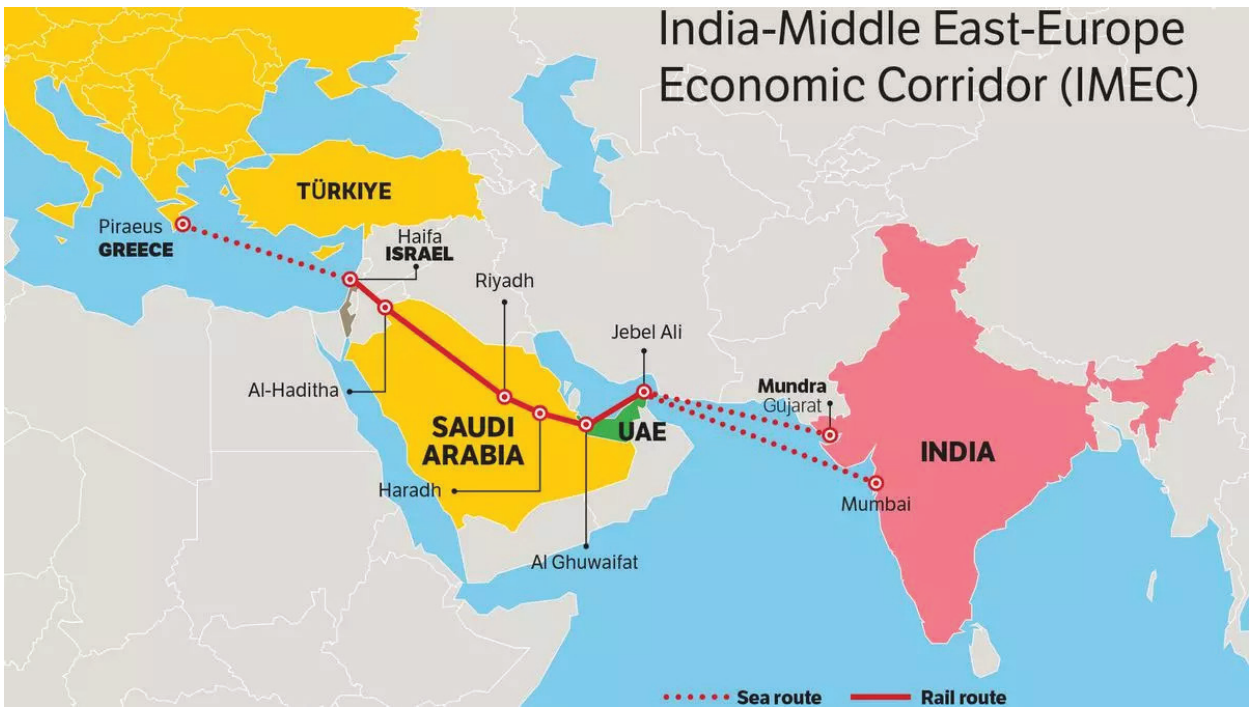

أخرى إلى أوربا سيسبب تكاليفًا مالية كبيرة مقارنة بالنقل البحري.

من الصعوبات الفنية التي تواجه المشروع هو أن القطارات لا تستوعب كميات كبيرة من الشحنات قياسًا بالنقل البحري، ولهذا ستحتفظ قناة السويس والنقل البحري بأهمية خاصة بالنسبة للشحنات الكبيرة، في حين أن من المرجح أن يجذب الممر الاقتصادي الشحنات التجارية ذات القيمة المالية العالية، ويكون حجمها ووزنها بين الصغير والمتوسط.

تحدي التمويل المالي للمشروع، إذ لم تتطرق مذكرة التفاهم إلى صيغة واضحة حول سبل تمويل المشروع، ومن المقرر أن يتم بحث هذا الملف في الاجتماع القادم للدول المشاركة في الممر الاقتصادي الذي كان مقررًا أن يُعقَد بعد (60) يوم من تاريخ التوقيع على مذكرة التفاهم، وهو أمر لم يتحقق؛ نتيجة عملية طوفان الأقصى بين الكيان وحركة حماس الفلسطينية.

لا تُعَدُّ الهند شريكًا اقتصاديًّا للاتحاد الأوروبي، إذ تمثل الهند ما يقارب 2% من تجارة الاتحاد الأوروبي، في حين تمثل الصين 16%، أما الولايات المتحدة الأمريكية فتمثل 14% ، ولكن يمكن أن يتم استثمار مشروع الممر الاقتصادي في تنمية التبادل التجاري بين الهند ودول مجلس التعاون الخليجي الذي بلغ ما يقارب 154 مليار دولار، فضلًا عن زيادة التبادل التجاري بين الهند والكيان الإسرائيلي، الذي يبلغ ما يقارب 8 مليار دولار.

تفتقر الدول الموقعة على اتفاقية الممر الاقتصادي إلى الخبرات المطلوبة لبناء وإدارة مشاريع طرق التجارة الدولية، ولهذا عبَّرت العديد من التقارير عن بعض الشكوك حول مدى جدية الدول في بناء المشروع بعيدًا عن الصين، وعدَّ أن إعلان الإدارة الأمريكية عن المشروع هو لأغراض إعلامية متعلقة بدعم حملة بايدن في الانتخابات الأمريكية المقبلة.

تحد الروابط المالية العميقة بين الصين والخليج العربي من قدرة الممر الاقتصادي أو أي مشروع إنمائي مماثل على تحدي تأثير بكين في المنطقة، إذ بلغت قيمة التجارة بين الصين والسعودية أكثر من 106 مليارات دولار أميركي في عام 2022، ما يمثل

نحـو ضعـف قيمـة التجـارة بيـن الولايـات المتحـدة والسـعودية، واكتسـبت الصيـن أيضًـا حصـة أقليـة بنسـبة 20 في المئة في محطة بوابة البحر الأحمر، وهو أكبـر ميناء في السعودية، وتجاوزت قيمة التجارة غير النفطيـة بيـن الصيـن والإمـارات العربيـة المتحـدة 72 مليار دولار أميركي في عام 2022 فقط، وقد استثمرت الصيـن بالفعـل في العديـد مـن الخطـط الإنمائيـة، ومنهـا مشـروع «الاتحـاد للقطـارات» الـذي يهـدف إلـى ربـط مدينـة الفجيـرة في الشـمال الشـرقي بالمنطقـة الواقعة عند الحدود مع السعودية. سوف يشكل هذا المشـروع الشـريان الأكبـر لسـكك الحديـد في مختلـف أنحـاء الـبلاد، فيربـط بيـن المراكـز الصناعيـة الكبـرى، وقواعـد التصنيـع، والمراكـز اللوجسـتية والمرافـئ الأساسـية في الإمـارات[19].

(الخاتمة)

مـن الواضـح أن مشـروع الممـر الاقتصـادي هـو مشـروع سياسـي بغطـاء اقتصـادي، وذلـك نتيجـة الآثـار الجيوسياسـية الكبيـرة المترتبـة علـى تنفيـذ المشـروع، التـي يمكـن تقسـيمها علـى عامليـن: الأول إقليمـي يتعلـق بدمـج الكيـان الإسـرائيلي في الشـرق الأوسـط، وربـط حلفـاء الولايـات المتحـدة الأمريكيـة اقتصاديًّـا، لتشـكيل جبهـة موحـدة تعـزز النفـوذ الأمريكـي في المنطقـة، والعامـل الثانـي دولـي يتعلـق بمواجهـة مـا تسـميه الإدارة الأمريكيـة تصاعـد النفـوذ الصينـي في الشـرق الأوسـط، الـذي بـدأ يتسـلل إلـى المنطقـة عبـر مبـادرة الحـزام والطريـق الصينيـة.

> تنفيذ الممر سيؤدي إلى خلق ممرات تجارية جديدة، مكمّلة أو منافسة وليست بديلة للممرات التقليدية كقناة السويس، التي يمر من خلالها نحو 22 % من حجم تجارة الحاويات في العالم.

إن الآثـار الجيوسياسـية للممـر الاقتصـادي علـى المسـتوى الإقليمـي والدولـي، سـيرتب عليهـا تعزيـز الانقسـام الجيوسياسـي في المنطقـة بيـن الـدول المشـاركة في الممـر والـدول التـي تـم تهميشـها، وبالتالي هـذا الانقسـام الجيوسياسـي يمكـن أن يـؤدي إلـى مزيـد مـن زعزعـة الأمـن والاسـتقرار في المنطقـة، وبالتالـي غيـاب الاسـتقرار سـيجعل تنفيـذ المشـاريع الاقتصاديـة, التـي تنـوي الـدول الأعضـاء في الممـر تنفيذهـا, أمـرًا مـن الصعـب تحقيقـه.

وعلـى الرغـم مـن أن جـزءًا كبيـرًا مـن البنـى التحتيـة للمشـروع موجـودة علـى الأرض إلا أن التحديـات التـي تواجـه المشـروع علـى المسـتوى السياسـي والاقتصـادي سـتجعل مـن تنفيـذ المشـروع علـى المسـتوى القريـب والمتوسـط أمـرًا مسـتبعد، خاصـة بعـد التغيـرات الكبيـرة التـي طـرأت علـى المنطقـة بعـد عمليـة طوفـان الأقصـى التـي قامـت بهـا حركـة حمـاس، وجرائـم الإبـادة الجماعيـة التـي قامـت بهـا سـلطة الاحـتلال في غـزة، فنتائـج الحـرب السياسـية والعسـكرية الجاريـة حتـى الآن في قطـاع غـزة سـتؤثر بشـكل كبيـر علـى مسـتقبل الممـر الاقتصـادي الـذي تسـعى بعـض الـدول مـن خلالـه إلـى التأسـيس لنظـام إقليمـي جديـد في المنطقـة.

علـى المسـتوى الاقتصـادي والفنـي يمكـن القـول بـأن تنفيـذ الممـر سـيؤدي إلـى خلـق ممـرات تجاريـة جديـدة، مكمّلـة أو منافسـة، وليسـت بديلـة للممـرات التقليديـة، كقنـاة السـويس، التـي يمـر مـن خلالهـا نحـو 22% مـن حجـم تجـارة الحاويـات في العالـم، نتيجـة ضآلـة حجـم شـحنات النقـل البـري والحديـدي، مقارنـة بشـحنات النـاقلات البحريـة العملاقـة التـي يجـري بهـا

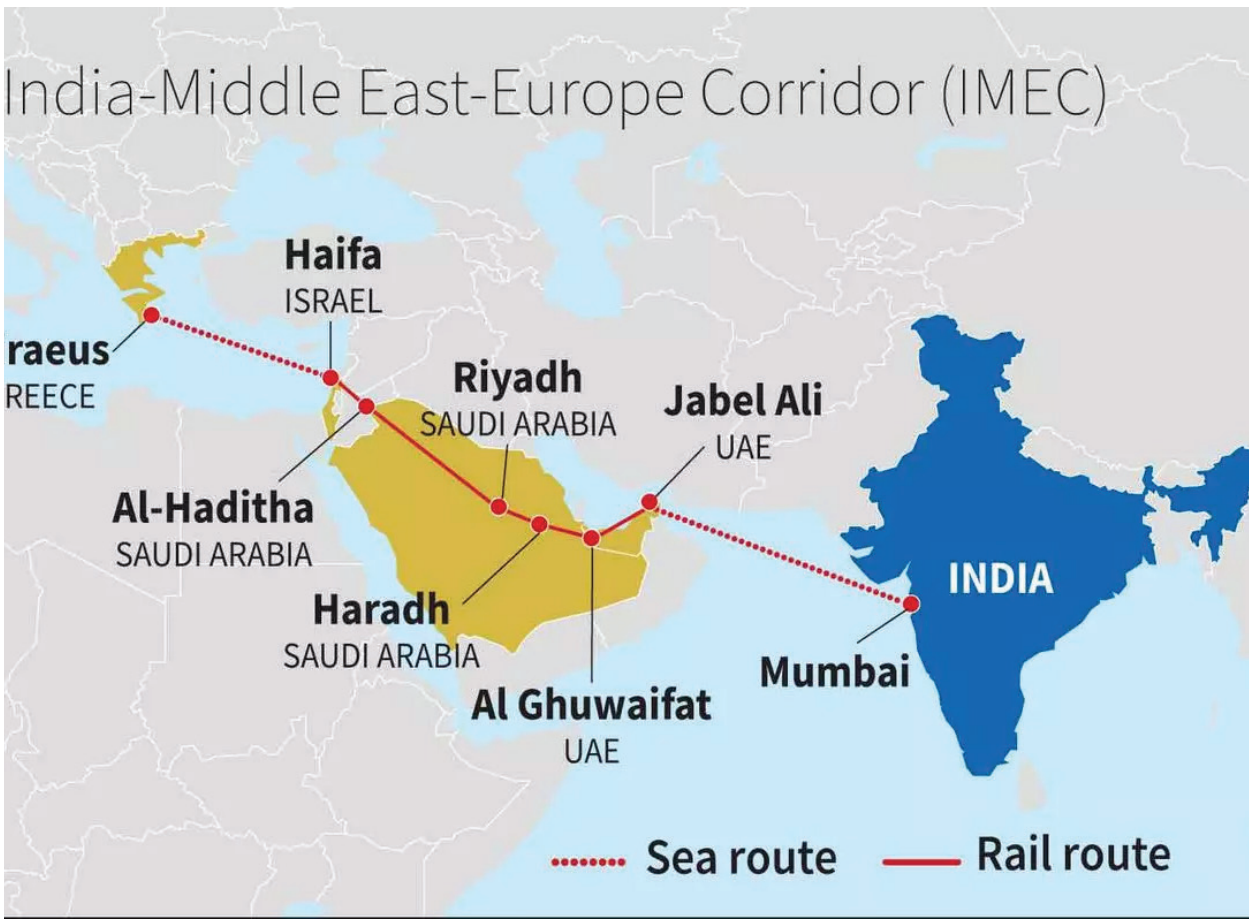

نقـل قرابـة 90% مـن حركـة التجـارة العالميـة، ولكـن يمكـن أن يكـون المشـروع مناسـبًا للبضائـع الصغيـرة والمتوسـطة ذات القيمـة العاليـة.

وسـيوضح الاجتمـاع المقبـل, الـذي من المقـرر عقده بيـن الـدول الموقعـة علـى مذكـرة التفاهم لإنشـاء الممر الاقتصـادي, التفاصيـل الدقيقـة للمشـروع ومسـتقبله، وسـيبين مـدى جديـة الـدول الأعضـاء في تنفيـذ مـا تـم الاتفـاق عليـه في قمـة العشـرين في نيودلهـي2023.

Endnotes

1. مذكـرة تفاهـم الممـر الاقتصـادي الهنـدي الشـرق أوسـطي الاوربـي، 2023.
2. ربيـع محمـد يحيـى، مشـروع الممـر الهنـدي الأوربـي النشـأة والتطـور والـدور الإسـرائيلي، تقديـر موقـف، أبعـاد للدراسـات الاسـتراتيجية، ص4.
3. مجموعـة باحثيـن، الممـر التجـاري العالمـي الهنـدي الشـرق أوسـطي الأوروبـي -الفـرص والتحديـات-، المعهـد الدولـي للدراسـات الإيرانيـة، الريـاض، 2023، ص6.
4. المصدر نفسه، ص6.
5. ممـر الهنـد- الشـرق الأوسـط- أوربـا، مشـروع أمريكـي لمواجهـة الصيـن والتطبيـع بيـن العـرب وإسـرائيل، وحـدة الدراسـات السياسـية، المركـز العربـي للأبحـاث ودراسـة السياسـيات، الدوحـة،2023، ص4.
6. المصدر نفسه، ص4.
7. ممـر الهنـد الشـرق الأوسـط أوربـا مشـروع أمريكـي لمواجهـة الصيـن والتطبيـع بيـن العـرب وإسـرائيل، مصـدر سـبق ذكـره, ص4.
8. ممـر الهنـد الشـرق الأوسـط أوربـا مشـروع أمريكـي لمواجهـة الصيـن والتطبيـع بيـن العـرب وإسـرائيل، مصـدر سـبق ذكـره, ص4.

9. انظر مجموعة باحثين، مصدر سبق ذكره.
10. جمـال واكيـم، الممـر الهنـدي ودوره في تعزيـز مكانـة إسـرائيل في الشـرق الأوسـط، مجلـة المسـتقبل العربـي، العـدد 537، 2023، ص120-121.
11. مجموعة باحثين، مصدر سبق ذكره، ص16-17.
12. Soumya Chaturvedi, Is the IMEC destined to fail?, Yale Journal of International Affairs, 2024.

13. مجموعة باحثين، مصدر سبق ذكره، ص18-19.
14. مجموعـة العشـرين ومشـروع الممـر الاقتصـادي بيـن الهنـد والشـرق الأوسـط وأوربـا، مسـارات، مركـز الملـك فيصـل للبحـوث والدراسـات الإسلاميـة، 2023، ص9.
15. بيان وزارة الخارجية السعودية، في تاريخ 2024/2/7.
16. جمال واكيم، مصدر سبق ذكره، ص127.
17. جمـال واكيـم، الممـر الهنـدي ودوره في تعزيـز مكانـة إسـرائيل في الشـرق الأوسـط، مجلـة المسـتقبل العربـي، العـدد 537، 2023، ص127.
18. مجموعة باحثين، مصدر سبق ذكره، ص17.
19. عبـد المعـز خان،الممـر الاقتصـادي بيـن الهنـد والشـرق الأوسـط وأوروبـا: خطـوة محـدودة جـدًّا ومتأخّـرة جـدًّا، مؤسسـة كارنيغـي للـسلام الدولـي، 2023، علـى الربـاط:.carnegieendowment.org

دول وافلس

الدكتور فراس عباس هاشم مجيد

جامعة البصرة - كلية القانون

المقاربات الجيوسياسية

للسياسة الخارجية المصرية تجاه فضاءات التخوم الجغرافية

تبحث هذه الدراسة في ملامح ودلالات السياسة الخارجية المصرية التي أُعيد تشكيل صياغة معاييرها على افتراضات واقعية في ظل مستجدات الواقع الإقليمي الذي تواجه مصر في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، حصيلة التطور الموازي الذي أبرزته تحديات جائحة كورونا في انعكاساتها الاستراتيجية. بناءً على ذلك فرضت هذه التطورات, بأبعادها الجيوسياسية, على مصر العمل على توسيع حضورها الجغرافي في المجالات الأرضية الموبوءة، مفعلة بذلك استراتيجية دبلوماسية المساعدات الإنسانية أو الصحية وإدماجها في نطاق مكونات سياستها الخارجية. وتبعًا لذلك واجهت السياسة الخارجية المصرية مجموعة من التحديات في ظل حالة التعارض في الأهداف والأولويات الاستراتيجية من قِبَل الأطراف الإقليمية والدولية في المنطقة.

شكلت السياسة الخارجية المصرية موضوعًا مثيرًا للاهتمام في ظل التحولات والمتغيرات الاستراتيجية التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في مرحلة جائحة كورونا، إذ نشأت في كنفها متغيرات تنطوي على تطورات جيوسياسية واسعة على أرض الواقع, واتخذت اتجاهات معاكسة للمصالح الحيوية لمصر في غالبيتها، ضمن هذا الأفق من ديناميكيات الأحداث والتطورات والتحولات الإقليمية ومسارتها، وسع نزوع القيادة المصرية نحو الاشتغال بالمفاهيم والتصورات الجيوسياسية واعتبارها رهانًا أساسًا في صياغة ورسم معالم سياستها الخارجية في ظل جائحة كورونا، وأصبحت مرشدة للفعل الخارجي المصري تجاه الفضاءات المكانية, ومدخلًا لاستيعاب مجريات التحولات المتنامية في المنطقة، علاوة على ذلك تحقيق أهدافها في تغيير موقع ترتيبها في خريطة القوى الفاعلة في المنطقة.

وعليه دعت هذه التحولات الاهتمامات المصرية إلى العمل على توسيع حضورها الجغرافي في ظل حالة التنافس والصراع من قِبَل الأطراف الإقليمية والدولية في دوائر المصالح الحيوية لمصر, سواء في الجوار المباشر أو البعيد, ومحاولاتها في توسيع أو ترسيخ نفوذها الجيوسياسى فى الإقليم، وبالتالى تمس

> واجهت السياسة الخارجية المصرية مجموعة من التحديات في ظل حالة التعارض في الأهداف والأولويات الاستراتيجية من قِبَل الأطراف الإقليمية والدولية في المنطقة.

تلك التطورات في نتائجها المصالح القومية المصرية وتشكل تهديدًا محتملًا لأمنها القومي، مفعلة بذلك استراتيجية دبلوماسية المساعدات الإنسانية أو المساعدات الصحية بين مكونات سياستها الخارجية تجاه دول جوارها، بحيث أضحت رهانًا جديدًا لتصوراتها الاستراتيجية، من جهة أنها آلية بارزة تتيح لها بدرجات متفاوتة لتكون ثقلًا موازنًا للأطراف الإقليمية والدولية في جغرافية المنطقة, فضلًا عن ذلك تشكل ركيزة استراتيجية في تعظيم قوتها ومكانتها الإقليمية.

وبناء على ذلك تكمن أهمية هذه الدراسة كونها محاولة في فهم تحركات السياسة الخارجية المصرية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، في ظل تداعيات جائحة كورونا وتعقيداتها وما يلحقها من تطورات ومخاطر تجنح بعضها إلى ضرورة إعادة صياغة سياستها الخارجية في أتون المعطيات الجيوسياسية الجديدة، لناحية الاتجاه نحو المجالات الجغرافية الحيوية كمساحة تأثير استراتيجية تتمتع بديناميكية جيواستراتيجية, أما لموقعها وأهميتها الجغرافية أو لموقعها في ساحات الصراع والنفوذ بين القوى الإقليمية والدولية.

وتنطلق إشكالية الدراسة على صيغة تساؤلات حول: «كيف رسمت المعطيات الجيوبوليتيكية إعادة صياغة السياسة الخارجية المصرية؟ ومسارات تحديد موقعها في الإقليم في ظل جائحة كورونا؟. وما هي العوامل التي أطرت بتفعيل دبلوماسية المساعدات الإنسانية. وماهي طبيعة المتغيرات والتحولات التي تشهدها البيئة الاستراتيجية المحيطة بمصر؟. ماهي القوى التي تشكل تحديًّا للوجود المصري في ساحات المجال الجغرافي؟».

وبالتالي يمكن طرح فرضية للدراسة مفادها: «فرضت ديناميكيات التحول الجيوسياسي التي تحيق بمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا جراء جائحة كورونا، وبخاصة تلك المتعلقة بالفضاءات الحيوية في الإقليم، على تطوير معادلة الأهداف الخارجية في

> افرزت التحولات الدولية لدفع مصر إلى العمل على توسيع حضورها الجغرافي في ظل حالة التنافس والصراع من قِبَل الأطراف الإقليمية والدولية في دوائر المصالح الحيوية لها.

سياسة مصر الخارجية، عبر أدوات دبلوماسية مختلفة لتعزيز وسائل حضورها تجاه إقليمها الجغرافي».

أما منهجية الدراسة يفرض علينا تناول هذا الموضوع اتباع أكثر من منهج بحسب اقتضاء الضرورة، فقد استُخدِم المنهج الوصفي خلال دارسة طبيعة التحولات التي تشهدها توجهات السياسة الخارجية المصرية على نحو متسارع أو متعاظم في بعضها الآخر، مما أفرزته جائحة كورونا من امتدادات جيوسياسية طالت فضاءات العمق الاستراتيجي المصري. كما جرى توظيف المنهج الاستقرائي لفهم الرهانات الاستراتيجية للتحرك المصري في بناء مفهوم دورها الأساس تجاه الفضاءات الجغرافية، التي تتيح لها رسم خرائط مساعداتها الإنسانية في ظل عودة هواجس الصراع والتنافس الإقليمي في جوارها الجغرافي.

واتساقًا مع ما تقدم سيتم توزيع هيكلية الدراسة إلى ثلاثة محاور: يركز المحور الأول على الجيوسياسية كدالة موجهة لصياغة السياسة الخارجية تجاه الأوبئة وجغرافيتها. أما المحور الثاني فيتناول

تشكيل نطاقات حدود التأثير الجيوسياسي للسياسة الخارجية المصرية. فيما تناول المحور الثالث اتساع ساحات الاحتكاك الإقليمية ومتغيراتها الضاغطة على السياسة المصرية.

المحور الأول

الجيوسياسية كدالة موجهة لصياغة السياسة الخارجية تجاه الأوبئة وجغرافيتها

من نافلة القول لا جدل في ما تمثله منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من أهمية جيوسياسية (*) (Geopolitical) جعلت هذا المجال الجغرافي يُعَدُّ واحدة من أهم المناطق المؤثرة في توازن القوى في ظل التحولات الجيوسياسية بكل معطياتها التي تخضع لتطورات وتغيرات عميقة شهدتها الساحة الدولية، فموقعها الاستراتيجي الفريد جعلها محكومة بقانون التداخل والتعارض بين الأضداد، ذلك التجلي لموقعها الجيوسياسي ناتج أساسًا من توسطها لقارات العالم قديمًا آسيا وإفريقيا وتحكمها في أهم الممرات الدولية, وإطلالها على بحار ومحيطات مهمة، قد جعل منها منطقة ذات أهمية قصوى في العلاقات الدولية[1].

ومن هنا، انطلاقًا من دور الجغرافيا(Geography) في إنتاج المجالات الحيوية(**) للدول وصياغة التاريخ، خاصة حيث تُرتسَم الحدود لتحقيق المصلحة الوطنية في منظومة تعزيز السياسات الخارجية وتعميق الوعي بها ضمن إعادة تحديد موقعها الجيوسياسي في الإقليم وتفاعلها معه تأثيرًا وتأثرًا وفي مواجهة متغيرات البيئة المحيطة بالدولة، وعلى هذا الأساس تزدهر معها مشاريع الإدراك بتشكل وابتكار مجالات حيوية جديدة بما يحقق الحاجة للارتكاز في تفسير أداء سياساتها الخارجية تبعًا لما تقدمه طموحاتها في توسيع مناطق هيمنتها[2]، لكن في الوقت نفسه، إن أي محاولة ترتكز على عامل الجغرافيا لتفسير حدث راهن في حد ذاته تمثل روافع لمحاولة فهم عقيمة, لا سيما عندما تتجاهل الخصائص الجديدة لهذا العصر، ومن هنا فإن التفسير لتوضيح الحدث يتطلب الربط بين مجموعة من المفاهيم التي يمكن استعمالها كأدوات خاصة للتحليل, كتلك المتعلقة بدور العولمة والتكنولوجيا في تقليص أو إنهاء فاعلية المكان/الجغرافيا، يكسبه آفاقًا جديدة توضح الأسس أثناء تحليل المشكلات التي استحوذت على اهتمام علماء الاختصاص، وبالتالي يمكن أن تؤسس بمضامينها لسياسة خارجية فعلية يمكن أن تؤثر في العالم بمنحنياتها الدبلوماسية لحدود التأثير الجغرافي[3]. وبالتوازي مع ذلك لمعرفة كيف تتجلى العلاقة التي تربط بين الجغرافيا والأحداث المعنية على صياغة السياسة الخارجية، لخصه الجيوسياسي الأمريكي (روبرت كابلان- Robert S. Kaplan) بقوله: «إن الرغبة في تحصيل مستوى فهم عميق لما يحدث في أي بلد أمر مرتبط بمدى قدرتنا على دراسة جغرافيا هذا البلد بتفاصيلها, ودراسة تاريخها المتأصل أساسًا في جغرافيتها تلك». قد أدى إلى فهم جديد للجيوسياسية[4]. من هنا، فإن البنية الجيوسياسية الجديدة التي تشكلت بعد جائحة كورونا (Covid-19)

ص ١٥٠ : أي محاولة ترتكز على عامل الجغرافيا لتفسير حدث راهن في حد ذاته تمثل روافع لمحاولة فهم عقيمة لا سيما عندما تتجاهل الخصائص الجديدة لهذا العصر.

تستدعي قراءة فرص ورسم الاستراتيجيات بغض النظر عن علاقات الارتباط والتداخل التي تشكل رؤية الفواعل الدولية من الناحية الجيوسياسية، وما تعتمده من خيارات في سياستها الخارجية تسعى إلى تحقيقها موازنًا بينها وبين محيطه الإقليمي والعالمي وتعيد صياغة وجودها في بؤر الأزمات، ويتجلى لنا بعد هذا المسار عن الواقع الجيوسياسي الجديد تصورات نسجت مفتاح السياسات القومية للدول على استرعاء معنى الجيوسياسية ويعطيها إيقاعها من أجل تمييز فروضها الفكرية وتحديد مكانتها لأي مخطط استراتيجي أو متخذ قرار تتحكم في صيرورته أفكاره بمعطياتها الفرعية كالأيدولوجية السياسية والثقافة الاستراتيجية(*)(strategic culture)... إلخ[5].

وإزاء ما تقدم، بدت الجيوسياسية كمنظومة منتجة أنساقًا فكرية تعيد توجيه سلوك الدول وعمل التدابير الاستراتيجية لمواجهة أزمة جائحة كورونا[6]، لترجمتها واقعيًّا كنهج أداء لسياستها الخارجية وإدارتها بتكريس للبراغماتية سواء باتجاه العلاقات الثنائية القائمة على الضرورة أو التعددية القائمة على المصلحة المشتركة، ومن ثم ستعمل على تطوير إطارات جديدة للتحالف بناءً على تطورات السياسة العالمية[7]. وعليه رسمت واقعية التحولات الجيوسياسية صياغة مدراك الدول على تقييم قدراتها المختلفة الاقتصادية والعسكرية والصحية...، ومدى توافقها من جهة التوظيفات للممارسة الفاعلة لسياستها الخارجية والمتممات اللازمة لرفع التدابير اللازمة لملائمة طبيعة المتغيرات الجديدة ونجاحها في تخطي المخاطر المحدقة بها.

ومـن هنـا، فثمـة اتجـاه يـرى السياسـة الخارجيـة بدلالـة المنهـج المختـزن بالتخطيـط كمـا هـو الحـال عند(بلانـودا ولتـون- Blandoa Walton) الـذي عرَّفها بأنهـا: "منهـج تخطيـط للعمـل يطـوره صانعـو القـرار في الدولـة تجـاه الـدول أو الوحـدات الدوليـة الأخـرى, بهـدف تحقيـق أهـداف محـددة في إطـار المصلحـة الوطنيـة". بهـذا المفهـوم فالسياسـة الخارجيـة تعبـر عـن السـلوك الـذي تتخـذه الدولـة الواحـدة في تفاعلاتهـا تجـاه باقـي الوحـدات، قصـد خدمـة مصالحهـا وتحقيـق مـا رسـمته مـن أهـداف اسـتراتيجية محـددة. وهـو نفـس مـا ذهـب إليه(تشـارلز هيرمـان -Charles Hermann) حيـن عـرَّف السياسـة الخارجيـة بأنهـا "سـلوك الـدول". ويرفـض فكـرة أن دراسـة السياسـة الخارجيـة هـي دراسـة السياسـة". فيمـا بـرز اتجـاه آخـر يذهـب دعاتـه إلـى أن السياسـة الخارجيـة بعدّهـا مجسـدًا للتـداخلات والتقاطعـات في سـلوك الـدول، إذ عرَّفهـا البعـض بأنهـا: "سـلوكية الدولـة تجـاه الوحـدات الخارجيـة بهـدف الحفـاظ علـى السـلوكيات المرغوبـة أو تغيير السـلوكيات غيـر المرغوبـة" [8].

وهكـذا، أفـرزت جائحـة(*) كورونـا الكثيـر مـن التداعيـات في التوسـع بمهـام قوة الدولـة وقيامها بتعريف أولوياتهـا، في ظـل تراجـع القـدرة التفسـيرية للمفهـوم التقليـدي لقـوة الدولـة الـذي ارتبـط عضويًّـا بمسـتوى التسـلح ونوعيـة الـسلاح وكمياتـه ومصـادره وتوزيعـه وعديـد القـوات العسـكرية، الأمـر الـذي بـرز معـه مفهـوم جديـد للقـوة هـو «القـوة الحيويـة»(Vital Power)، إذ يُعَـدُّ أقـدر علـى اسـتيعاب المعاييـر الجديـدة التـي تتعلـق بالأوبئـة(*)، التـي فرضهـا انتشـار جائحـة كورونـا ومـا ترتـب عليـه مـن تداعيـات، لا سـيما وأن أدوات قـوة الدولـة أصبحـت تُقـاس بمـدى قـدرة الدولـة في تطويـر اللقاحـات والصناعـة الدوائيـة, وتحقيـق الاكتفـاء الذاتـي بالمسـتلزمات الطبيـة في عـدد الكمامـات والمعقمـات

وأجهزة قياس حرارة الجسم وأجهزة التنفس, وعدد المستشفيات والأسرة المجهزة بوسائل الإنعاش, وجاهزية المنظومة الصحية وعدد الأطباء والطواقم الطبية وشبه الطبية المدربة والمؤهلة، وغيرها من المجالات المتدخلة في مواجهة الوباء المهدد لبقاء الإنسان[9].

من جانب آخر، كشفت الأزمات المتتالية عن مدى أهمية دور الدولة القوي في مواجهة الأزمات والكوارث وصياغة مقتربات إدارة لها، لا سيما وأن السرديات المناهِضة للدولة والداعية لعالم بدون دول -سواء عبر الاندماج في كيانات أكبر أو الانصهار العالمي- لا تعبر سوى عن خيالات يوتوبية(**) (Utopia) تتجاوز الاحتياج الإنساني لمركز للسلطة لوضع القواعد وفرضها. فعلى سبيل المثال، شهدت جائحة كورونا صعودًا للدول المركزية التي تمكنت من احتواء العدوى عبر إجراءات صارمة على وفق قيم جديدة لتغدو قوة مضافة، ولهذا تضع الأزمات العلاقة بين الدولة والمجتمع تحت الاختبار, إذ إن الإدارة الأكثر فاعلية للأزمات ترتبط بوجود دولة قوية ومجتمع متماسك لديه ثقة في السلطة السياسية، في مقابل تدني فاعلية إدارة الأزمة في الدول الضعيفة التي تعاني من ضعف المؤسسات السياسية، وتصدع علاقات الثقة التي تربطها بالمجتمع[10].

واتساقًا مع ما سبق، كان هنالك مخاوف مطروحة من قِبَل العديد من المختصين بخصوص التطورات المتنامية والمعقدة التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بين الفواعل الأساسية المتنافسة على المنطقة، إذ تنذر ملامحها بحالة من الانتقال إلى واقع جيوسياسي جديد قد يكون من خلاله ولادة قوى جديدة من جراء تدافع موجات التغيير الاستراتيجية داخل المنطقة، طمعًا في خلق تأسيسات تغير من نمط التفاعل ووضع القوى التقليدية داخله، وهناك من يرى فيها «أن المنطقة قد تخضع كجزء أساسي إلى مؤتمرات أممية متجاهلة للجغرافيا في توزيع مناطق النفوذ من جديد بطريقة تضمن مصالح الأطراف المتنافسة والمتصارعة, وهذا ما يجعلنا نشهد جغرافية جديدة تغير ما هو قائم إلى ما يمكن أن ينبغي في ضوء ما تفرضه المصالح الدولية والإقليمية»[11].

وفي ضوء ما تقدم يمكننا القول إن طبيعة التحولات التي شهدتها البيئة الدولية في ظل جائحة كورنا كشفت عن علاقة ترابط وانسجام ما بين السياسة الخارجية والمقتضيات الجيوسياسية للدول، من جهة كونها تحدث تداخل معرفي محفز للدول في رسم سياستها الخارجية للانطلاق ناحية مجالاتها الحيوية ونطاقات حيزها الجغرافي من جهة، ومن ناحية أخرى استيعاب التحديات المختلفة ضمن أطر جديدة أكثر بروزًا؛ للإفادة منها في تحقيق مصالحها القومية.

المحور الثاني

تشكيل نطاقات حدود التأثير الجيوسياسي للسياسة الخارجية المصرية

مما لاشك فيه أن هناك اتفاق بين معظم الباحثين على أن الهدف الأول للسياسة الخارجية والداخلية للدولة، أيًّا كانت طبيعة نظامها السياسي أو معتقداتها المذهبية أو إمكاناتها النسبية من القوة القومية، وأيًّا كان موقعها أو حجمها أو تعددها, هو الحفاظ على وجودها الذاتي بقصد تحقيق أهدافها لا سيما في زمن الأزمات والتحديات، والعمل على تدعيم أمنها بأقصى الوسائل التي تتوسل بها لتحقيق تلك الأهداف، تبعًا لما تسمح بها القدرات والطاقات المتاحة لديها وتوظيفها, سواء ما تعلق منها بقوتها الذاتية أو بهذه القوة مضافًا إليها جانبًا من الاستعانة بقوة الدول الأخرى[12].

ومن هنا، تتشكل السياسة الخارجية(*) للدول بخصائصها القومية، وبقيم وإدراكات صانعي السياسة فيها، وبالبيئة العالمية والإقليمية المحيطة، وهو ما

يطرح بدوره مسألة القدرات والفعالية الخاصة بدورها الخارجي، والفجوة بين تلك الموارد والقدرات وبين الفعالية. بهذا المعنى، تتجلى بوضوح أهمية الوقوف على محددات وركائز وفلسفة السياسة الخارجية المصرية في ظل إقليم يشهد الكثير من الاضطراب والتشابك بين قضاياه وتدخل الكثير من القوى الإقليمية والدولية المتنافسة[13].

وعليه، نجد أن السياسة الخارجية تمثل واحدة من أهم فاعليات النظم السياسية المعاصرة, وبخاصة المتمثلة بالدولة في ملاقاة الغير وإقامة علاقات تفاعلية مع الأطراف الأخرى، وتكتسب أهمية أكبر نسبيًّا لدى بلدان عالم الجنوب؛ بسبب الدور المحوري للسياسة الخارجية في المحافظة على وجودها واستمراره والحرص على تطوير علاقاتها الخارجية على وفق مبادئها وما تضمه من تصورات[14].

مقابل كل ما تقدم، تُعَدُّ لحظة وقوع الأزمات والكوارث ذاتها وكيفية إدارتها والتعامل معها موضع تركيز لطائفة كبيرة من الأدبيات التي تناولت «إدارة الأزمات»(Crisis Management)، و«إدارة المخاطر»(Risk Management)، والمرونة، والارتداد للوضع الطبيعي (Resilience)، و«رأسمالية الكوارث» (Disaster Capitalism)، و«عقيدة الصدمة» (Shock Doctrine)، واستراتيجية «العلاج بالصدمة» (Shock Therapy)، وغيرها من المفاهيم المرتبطة بالتطورات المفاجئة وغير المتوقعة وهكذا تخلق معها حقائق قيمتها وتطوراتها[15]. ويُلاحَظ في هذا الصدد أن الأزمات تُعَدُّ «قوى محركة» (Driving Forces) لتطور المعرفة، بحيث يمكن القول إن هناك ظاهرة يمكن أن يُطلَق عليها «إبستمولوجيا الأزمات» (Crisis Epistemology) ، وهي المعرفة النظرية والتطبيقية التي تتشكل نتيجة لوقوع الأزمة واتساع نطاق تأثيراتها على الأفراد والدول والنظام الدولي, وهذا ما تلمسناه مع بداية القرن الحادي والعشرين[16].

ومن هنا، انطلاقًا من متابعة التطورات على الساحة الدولية وملاحظتها بما يحيق بها من مخاطر وأزمات، كما هو الحال مع أزمة جائحة كورونا, تفتح الأزمات منافذ ترسم خرائط الأداء لسياسة خارجية فاعلة في القضايا الإقليمية((Regionalism, وبما يحفظ أمنها ومصالحها القومية على مستويات عدة, وذلك بإعادة توصيف الوقائع برؤى متعددة ومن بين تلك المجهودات المتعددة سعت الدول إلى بناء تقارب بوشائج قيمية حضارية وثقافية وسياسية واقتصادية واسعة، فمن ناحية, إن العلاقات الجيوسياسية بين الدول سوف تسير على مبدأ المصالح المشتركة التي تتطلب التعاون والتنسيق المتبادل، ومن ناحية أخرى, إن التقارب يبقى رهينًا بقدرة أطراف النظام الدولي، خصوصًا الأكثر تأثيرًا على احتواء القضايا العالقة بينهما والمرشحة للارتفاع على ضوء ما خلفته أزمة جائحة كورونا من تأثيرات على مستوى العلاقة بين البلدين. وتحييدًا لانعكاساتها يتوجب على القوى الدولية العمل على زيادة فرص التعاون في مجالات القيم الإنسانية من طريق تخطي العقبات سواء السياسية أو الاقتصادية، والإسهام في تسويتها ومن ثم لا يكون هناك تعارض بين إرادات تلك الأطراف، من أجل إيجاد طريقة مثلى لتجاوز البيئة المضطربة التي طالت الفضاء العالمي[17].

وعليه يمكننا القول، تستند السياسة الخارجية المصرية في تحركاتها تجاه المحاور الجيوسياسية[18]، التي تحظى بموقع جغرافي مميز بما يحقق أهدافها على المستويين الإقليمي والدولي على عدة محددات رئيسة، التي يتصدرها السعي المصري لتعزيز التعاون الاقتصادي والشراكات التنموية الثنائية ومتعددة الأطراف بما يعزز من النمو والتنمية الاقتصادية لمصر إلى جانب تعزيز التنسيق والتعاون حول آليات التصدي للتحديات الأمنية المشتركة ضمن دوائر الجوار الجغرافي وتحديدًا دائرة شرق القارة الأفريقية (كينيا، وأوغندا، وتنزانيا، وإريتريا، وجيبوتي، وإثيوبيا،

والصومال)، بعدّها تشكل مجالًا حيويًّا لأمنها القومي الذي يتعدى مفهومه التقليدي ليشمل الجوانب السياسية والاقتصادية والأمنية والثقافية والاجتماعية والبيئية، التي ساهمت في إعادة تقييم المنظور المصري للإقليم(Region) , وإعادة بناء سلوكها الخارجي في توسيع مساحات القوة في الإقليم[19].

لذلك، فإن إدراك مصر لمكانتها الجيوسياسية ودورها على المستويين الإقليمي والدولي، يمثل أحد المداخل المهمة لتفسير التوجهات الخارجية للسياسة الخارجية المصرية تجاه القارة الأفريقية، ولا يلغي ذلك بطبيعة الحال تأثير البيئة والسياقين الإقليمي والدولي، كما أن شخصية رئيس الدولة تلعب بدورها عامل ترجيح واضح في صياغة الرؤية والفلسفة الحاكمة لعملية صنع واتخاذ القرارات وتحديد توجهات السلوك وتفاعلات الأدوات. بهذا المعنى، نحن نتحدث عن منظورين لفهم العلاقة بين ثوابت السياسة الخارجية المصرية، ومتغيرات النظرة للمصالح في ضوء اضطراب الجوار المحيط واتساع النظرة الدولية للمنطقة من منظورين جيوسياسي وجيو- اقتصادي[20].

ومما سبق، نجد بقدر ما يرتبط أمن كل دولة أفريقية ببيئتها، أي باستقرار المنطقة الأمنية التي تنتمي إليها، بقدر ما قد يؤدي انعدام الأمن في دولة ما إلى أقلمة وضع عدم الأمن وانتشاره في سائر أرجاء المنطقة المحيطة، وفي هذا السياق يمكن وصف شرق إفريقيا بأنه "منطقة ظل فيها وجود الدول مهدَّدًا إما لكونها، أي الدول، ضحية حالة انعدام الأمن في الدول المجاورة أو -على النقيض من ذلك- لكونها تشكِّل هي ذاتها تهديدًا لجيرانها"، وقد جرت الإشارة إلى هذه الظاهرة باسم الانفجار الداخلي الإقليمي، بحيث يمكن تعريف الانهيار الإقليمي بأنه:" حالة تنهار فيها بنية الدولة الإقليمية، وتنجذب دول أخرى في المنطقة إلى الصراع الداخلي وفي الاقتصاد السياسي للدولة المنهارة، فهي ظاهرة نموذجية للحروب الأهلية الأفريقية"[21].

ومن هذا المنطلق، جاءت دبلوماسية المساعدات(*) الإنسانية أو الصحية كأحد تجليات السياسية الخارجية المصرية في تعزيز علاقاتها على مستوى محيطها القريب والبعيد بفعل التداعيات السلبية لتفشي جائحة كورونا، وما تلاها من تغيرات ضمن سياستها الرامية للتعاون المتعدد الأطراف، وبالتالي فإن هذا النمط من التهديدات عدَّته بعض الدول فرصة لتحقيق جملة من الأهداف الاستراتيجية للدول المانحة «وفق منظوري الواقعية السياسية والبنائية في العلاقات الدولية» وهي المصالح الدبلوماسية ذات الصفة الأمنية والعسكرية، المصالح الاقتصادية والتجارية التي تنال أهمية إضافية في تحديد توجهات المانحين، والمصالح الثقافية والأيديولوجية للدول المماثلة لها دينيًا وثقافيًّا[22]. فعلى المستوى الإجرائي، سعت مصر في بوصلة تحركاتها الدبلوماسية في تقديم مساعداتها الإنسانية والصحية بالتوجه إلى ساحات الفضاءات الموبوءة في مناطق شرق القارة الأفريقية وحوض النيل، والقرن الأفريقي، والساحل الأفريقي، بعدّها المناطق الأكثر تأثيرًا على المصالح المصرية, وتمنحها قدرة التأثير في أن تحدث ترتيبات جيوسياسية جديدة في الإقليم[23]. بمعنى، أن هذا التحرك المصري تجاه محيطها المكاني يأتي ضمن ظروف مهمة في فترة جائحة كورونا، وهذا ما يمكن ملاحظته عبر عدم الاستقرار الإقليمي بفعل الأزمات والمتغيرات السياسية في المنطقة، وعليه تخلق هذا المتغيرات أمامها عقد تشظي في صياغة علاقاتها على المستوى الإقليمي، ومن هنا وعلى وفق مرتكزات سياستها الخارجية التي أعطت بعدًا إنسانيًّا في تعاملاتها مع الجوار الجغرافي المباشر، والتي ترنو إليها كفرصة لإعادة رسم موقعها في سلم التفاعلات الإقليمية.

وعلى أساس ذلك، ترتسم دبلوماسية المساعدات الإنسانية(humanitarian Diplomacy) بدورها على أهمية في تفسير السلوك الخارجي للدول المانحة في تقديم المساعدات والإغاثة الإنسانية لإبراز

الوجه الإنساني وتثبيت بنائه وتمتينه عبر توفير المستلزمات الطبية للمجالات الجغرافية المتضررة ضمن زمن ثابت أو تعاقبي، المرتكز لاتجاهات الأداء السياسي الخارجي على تحقيق عدد من الأهداف، ويمكن إبراز أهم جوانبها فيما يلي[24]:

أولًا: تساهم المساعدات الإنسانية التي يتم تقديمها إلى الدول في تغيير المزاج الرسمي والشعبي في الدولة المتلقية تجاه الدولة المانحة، كما تحد من قدرة التحرك لدى السياسيين المعارضين للدولة المانحة. فعلى سبيل المثال، المساعدات التي قدمتها مصر بتقديم مساعدات إنسانية إلى إيطاليا خلال الأزمة، إذ رأت (القاهرة) في أزمة كورونا فرصة لتحسين صورتها في إيطاليا، التي تعرضت للكثير من الضرر في السنوات الماضية على خلفية مقتل أحد الرعاية الإيطاليين في مصر.

ثانيًا: تساهم المساعدات في بناء صورة ذهنية داخلية وخارجية قائمة على التفوق والريادة العالمية، وهو أمر يحاول الكثير من الزعماء، وخاصة في الدول الصاعدة، صناعته بشكل منظم. وتدرك هذه الدول أن تقديمها للمساعدات يعكس «على الأقل من الناحية النظرية» سيطرتها على الأزمة الداخلية، وامتلاكها القدرة فوق ذلك على مدّ يد العون للآخرين، وقد سمحت جائحة كورونا بإحداث تغييرات آنية في خارطة الاحتياج الإنساني، الأمر الذي سمح لدول فقيرة تتلقى المساعدات تاريخيًّا بتقديم الدعم الإنساني لدول في مجموعة العشرين (على سبيل المثال الدعم المصري لإيطاليا والولايات المتحدة).

وتأسيسًا على ذلك، يبين (مارتن برجيهوديناك- Martin Bergihudenac) أن عملية النهوض التي شهدتها «دبلوماسية الأوبئة»(Pandemic Diplomacy) أو «دبلوماسية الصحة» (Health Diplomacy)، أثبتت بنتائجها ما هو أبعد من مجرد تقديم مساعدات طبية لمساحات مكانية موبوءة، وخلوها من أية رؤية استراتيجية، يعني ذلك أنها كانت جزءًا هادفًا لخلق دوافع سياسية واقتصادية

> **تساهم المساعدات الإنسانية التي يتم تقديمها إلى الدول في تغيير المزاج الرسمي والشعبي في الدولة المتلقية تجاه الدولة المانحة.**

وجيوسياسية غايتها الأساس توظيف الدول مخرجاتها لصالحها أو لاسترداد بعض مواقعها أو لإثبات الدور(*) الذي تلعبه بخط سير الأحداث, بل ونفوذها المفقودة أيضًا ونشوء نظام إقليمي أو دولي جديد[25].

وإزاء ذلك، يمكننا القول إن نجاح السياسة الخارجية لأي دولة يتوقف على طبيعة العلاقة مع القوى الإقليمية والدولية، فتفاعلات السياسة الخارجية(تعاونًا وصراعًا) تخضع لموازين القوى الدولية والإقليمية, ولما كانت قدرات أي دولة تُعَدُّ أمرًا نسبيًّا مقارنة بقدرات الآخرين، لذا كان حرص القيادة المصرية على تعزيز قدرات الدولة وسد مكامن النقص وعلاج القصور, والعمل بشكل مستمر ومتلاحق على تحقيق التفوق أو توازن القوى في مواجهة الآخرين من خلال استيعاب التهديدات أو حصر استمراها أو استدامتها في ساحات تفاعلاتها السياسة والاقتصاد والأمنية والثقافية...إلخ، وهذا ما شهدته السياسة الخارجية المصرية في السنوات اللاحقة[26].

وعبر ما تقدم يمكن القول إن مصر تسعى من خلال توظيف الأحداث التي رافقت المتغيرات الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا,

في ظل جائحة كورونا, إلى العمل على تشجيع أوجه التعاون المشترك في علاقاتها مع سائر دول الإقليم، وهذا ما تميزت به استراتيجية سياستها الخارجية، دون ارتهانها بإكراهات عسكرية قد تثير مخاوف القوى الأخرى، وهذه الآلية تسمح لها بتطوير قدراتها في الاستجابة لطبيعة التحولات التي تطرأ في جوارها الجغرافي، وبالأخص منها ذات التوجه الإنساني، كأداة ناعمة موجهة تجاه جوارها القريب، لإدراكها حجم دخولها في طور الاستنزاف وارتفاع تكلفه المواجهة مع الخصوم.

المحور الثالث

اتساع ساحات الاحتكاك الإقليمية ومتغيراتها الضاغطة على السياسة المصرية

شغلت الأدبيات الموجودة بكثرة على جائحة كورونا في الواقع مساحة واسعة على مستويات التحليل الدائرة في مجال العلاقات الدولية، أوضحت ملامحها في الإدراكات الاستراتيجية للدول وتحديد القيم التي تُبنى وتسير على أساسها، وبالتالي أثبت غلبة النزاع في أفكار القادة السياسيين الذي يجعل الدول القومية (Nation State) بأنها الأقدر على

التعامل مع الأزمات المفصلية التي تهدد بقاء الشعوب، وأن آليات التعاون والتكامل الدولي كانت غائبة أو عديمة الجدوى في هذه السياقات. إن منطق «كل أمة لنفسها»(Every Nation for Itself) قد تسيد مشهد مواجهة كورونا, على الرغم من بعض تجليات التعاون الدولي وتقديم المساعدات للدول الأكثر تأثرًا بالأزمة، كما يضيف البعض أن «الدول القوية»(Strong States) كانت الأكثر قدرة على إدارة أزمة كورونا؛ بسبب تمكنها من فرض إجراءات الوقاية من انتشار الوباء التي رافقتها مجموعة من التحولات البنيوية في صيرورة الوعي بها[27].

وإزاء ذلك يؤهل اتساع نطاق جائحة كورونا طرح بصورة جوهرية مجموعة من الإشكاليات الحرجة للفواعل الدوليين في مجالات تحركها الجيوسياسي تجاه مناطق تفاعلاتها السياسة والاقتصاد. ...، أبرزها تلك المتعلقة بإعادة صياغة أدوار الدول الوطنية وحدود قوتها كمقاربة في فهم وتحليل قدراتها على الاستجابة للتداعيات السلبية لتفشي الوباء، خاصة أن جائحة كورونا باتت في صدارة أولويات النظام الدولي، وظهور فجوات في البنية العالمية ينطوي على نزوع إلى ما وراء الجوار الجغرافي فهو الحدث الذي تجاوز جميع الأولويات، ونتلمس ذلك في سيطرته على العواصم والمراكز المالية ووسائل التواصل الاجتماعي، وعلى الرغم من أنه أقل فتكًا من أوبئة أخرى حدثت في السابق، على غرار جائحة الأنفلونزا الإسبانية التي ضربت العالم عام(1918), إلا أنه يُعَدُّ أشد تأثيرًا على الاقتصاد[28].

وعليه, هذا الانشغال بالوسائل المتاحة للدول لمواجهة التحديات أو الأزمات الناشئة بعد جائحة كورونا في هذه المرحلة, في بؤر التوتر الجيوسياسي[29]، يمكن النظر إليها بأنها نتاج وضع بيئة عالمية أكثر استقطابًا وتنافسًا, سوف تكرس الدول سياسات الاكتفاء الذاتي مما يبرز أهمية الدول التي تكون مستعدة للاكتفاء الذاتي المحلي من جهة, وخاصة في المجالات التي أشارت أزمة كورونا إلى جوهريتها,

إن نجاح السياسة الخارجية لأي دولة يتوقف على طبيعة العلاقة مع القوى الإقليمية والدولية، فتفاعلات السياسة الخارجية تخضع لموازين القوى الدولية والإقليمية.

أولئك الذين يمكنهم إنتاج حلول محلية ضد المشاكل العالمية بما يكفي لتنفيذ وتحقيق أهداف سياساتها الخارجية بشكل فعال في المجالات الجغرافية الحيوية في ظل لكل منهم غاياته ووسائله المتاحة التي يصعب التوفيق والتنسيق بينها[30].

ومن هنا دفعت هذه الموجة الجديدة من التحديات في ظل التباين الجيوسياسي للقوى المتنافسة في الإقليم[31]، وما ينتج عنها من مخاطر استراتيجية متزايدة, مصر إلى الأخذ في الحسبان مسالة إعادة إنتاج نفسها والنأي عن آثارها وتداعياتها، من خلال قراءة داخلية ملاءمة لبناء استراتيجية كبرى، بهذا المعنى تحافظ فعلًا على مصالحها القومية؛ كي تتجاوز موقع ردة الفعل على حالات الشك وعدم اليقين على التحديات التي تواجهها في مجالاتها الجغرافية في محطيها القريب، إذ توظف الأخيرة مواردها الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية والسياسية؛ للحفاظ على ما تراه مصالحها من خلال التكيف الفعال مع هذه التطورات وتفعيل أولوياتها الاستراتيجية، ولتحقيق هذا الهدف يتوجب على الدولة أن لا تتصرف بضرورات الأمن فقط, التي تركز على المخاطر، بل تسعى أيضًا إلى

> هناك سعي مصري مع الدول الإفريقية لحل الأزمات المثارة والصراعات المشتعلة في القارة ووقف خزان العنف بين الأطراف المتناحرة بالتعاون مع الاتحاد الأفريقي.

خلق فرص السياسة، من خلال فهم التغيرات التي تمر بها البيئة المحيطة واستيعاب مخططي السياسة الخارجية للدولة لحقائق وجودها الجغرافي والتاريخي ومتغيرات الواقع الحالي وتحويل الأفكار العملية إلى أفعال[32]. يُضاف إلى ذلك, أن هناك سعي مصري مع الدول الإفريقية لحل الأزمات المثارة والصراعات المشتعلة في القارة، ووقف خزان العنف بين الأطراف المتناحرة، بالتعاون مع الاتحاد الأفريقي، انطلاقًا من الحفاظ على مؤسسات الدولة الوطنية بعدِّها العمود الفقري لاستقرار دول القارة وتعزيز مدخل الحلول الإفريقية للمشكلات الإفريقية, إذ تُعَدُّ القارة المسرح الجيوسياسي الرئيس لأكثر الصراعات الداخلية والبينية في العالم. علاوةً على التعاون المصري الإفريقي في مجال مكافحة الإرهاب العابر للحدود الرخوة بالنظر لتمدد الجماعات المتطرفة والتنظيمات الإرهابية ونشاطها في مختلف أنحاء القارة مثل (داعش) و(القاعدة) و(بوكو حرام) وغيرها من الطبعات المختلفة، مما يستلزم محاربتها بالجملة وليس بالتجزئة؛ كي تكون المواجهة الأمنية ناجعة وتحقق أهدافها المبتغاة [33].

وعليه يمكن القول في ظل تطورات الأحداث في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بتجلياتها التاريخية التي ظهرت بين مواقف وأولويات الأطراف الفاعلة التي تتحكم في ديناميكية التفاعلات في الإقليم، إذ تفرض تلك المتغيرات والتحولات الاستراتيجية تحديات وتناقضات متضاربة في الغايات والأهداف غير مسبوقة للقوى الراغبة في فرض النفوذ الإقليمي الذي تحاول أن تنسجه لذاتها، ومن هنا يمكن قراءة التحديات التي تواجهها مصر في بيئتها المحيطة بكل معطياتها وتهديداتها المقيدة لمصالحها في تنفيذ دبلوماسيتها في المساعدات الإنسانية أو الصحية في إطار تفشي جائحة كورونا التي تأخذ ملامحها شكل الأقطاب المتعددة في جوارها الجغرافي، قد يسفر عنه من تهديدات أشد حدة في ضوء تسارع عملية إعادة تشكيل جيوسياسية الإقليم بهيمنة لصالح أطراف إقليمية متنافسة على حساب المصالح المصرية في ظل محاولات الأخيرة في تعزيز مكانتها وصورتها الخارجية من خلال دبلوماسيتها في المساعدات الإنسانية أو الصحية كأحد أدوات تنفيذ سياساتها الخارجية لاستعادة دورها في المنطقة[34], إذ يُطلَق على الجوار الجغرافي أحيانًا الموقع النسبي(Relative Location), وهو الموقع فيما يخص الدول المجاورة، ويعني الأثر الذي يتركه الموقع في الدول المجاورة. ففي أوقات السلم مثلًا يخدم الموقع الجغرافي مصالح الدول المتجاورة، ويكون عاملًا مهمًّا في تقوية الصلات فيما بينها. بينما يظهر تأثيره بشكل سلبي في حال إحاطتها بدول مجاورة تختلف عنها أيديولوجيًّا وسياسيًّا، أو إذا كان هناك تباينًا من حيث القوة، مما يؤدي إلى خضوع الدولة الضعيفة إلى إملاءات وضغوطات الدولة القوية[35].

ومن هذا المنطلق يمكننا القول إن خريطة التفاعلات في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تشهد العديد من الصراعات والتنافسات المرتبطة بإعادة هندسة جغرافية المنطقة من قِبَل العديد من القوى الإقليمية والدولية، في محيطه الإقليمي في

ظل ما يتمتع به الإقليم من أهمية جيوستراتيجية بالغة. وتسعى هذه القوى الإقليمية والدولية إلى ترسيخ نفوذها في الإقليم، سواء عبر بوابة تعزيز التعاون الأمني والعسكري أو عبر بوابة تحقيق التنمية الاقتصادية أو عبر بوابة تقديم المساعدات الإنسانية أو من خلال توفير الدعم السياسي في المحيط الإقليمي والدولي. ويفرض هذا الوجود الدولي والإقليمي في الإقليم تحديًّا متناميًا أمام مصر التي ينبغي أن تتحرك بخطى متسارعة ومتزنة عبر ملفات الشراكة متعددة الأوجه التي تحتل صدارة اهتمام الشريك الإفريقي، بما يمكنها من مواجهة هذا التحدي, وترسيخ جهودها في تعميق مساعيها؛ لزيادها نفوذها في الإقليم[36]. مع ذلك فمن شأن مخرجات هذه الاتجاهات الناشئة في مناطق الجوار لمصر أن ينعكس على الدفع بالسياسة الخارجية المصرية نحو مسارات معقدة في تفاعلاتها الإقليمية, وخيارات صعبة في تعزيز قدراتها الردعية للوقوف بوجه القوى الطامحة جيوسياسيًّا في الإقليم، فضلًا عن الاندماج بشكل أعمق مع محيطها الجغرافي.

ومن هنا فإن مصر تواجه منافسة كبيرة من القوى الإقليمية والدولية في المجال الإنساني، إذ تبرز قوى عديدة كتركيا، ودول الخليج، والصين، وجنوب إفريقيا، وغيرها، وهي تربط بين المساعدات الإنسانية وتوسيع النطاق الجغرافي في بناء نفوذ جيوسياسي وجيو- اقتصادي في مناطق حيوية للمصالح المصرية خاصة في منطقة شرق وغرب القارة الإفريقية، وفي ظل هذه المنافسة ومحدودية الموارد المصرية التي تحد من أنشطتها للعون الإنساني، والتي نشطت بدرجات متفاوتة في العديد من البلدان، إلا أن تلك المساعدات الإنسانية وعلى وجه التحديد الصحية، بقيت غير كافية وتواجه إشكاليات غياب استراتيجية وطنية مصرية تحدد طبيعة الأهداف والأولويات في مجال المساعدات الإنسانية، خاصة مع الافتقاد لإطار هيكل مؤسسي عام يجمع تحت مظلته مختلف المؤسسات

تواجه مصر منافسة كبيرة من القوى الإقليمية والدولية في المجال الإنساني إذ تبرز قوى عديدة كتركيا، ودول الخليج، والصين، وجنوب إفريقيا، وغيرها.

الحكومية، وغير الحكومية التي تعمل في الدبلوماسية الإنسانية المصرية في النطاقات الجغرافية[37].

وهنا، تتجلى بوضوح مسألة التشابك الكبير للقوى الفاعلة في المنطقة والمتعدد الأطراف والأبعاد، يشير بوضوح إلى مساعي مصر نحو تعزيز الاستقرار والأمن في جوارها الجغرافي القريب والتخفيف من التداعيات الشديدة للصراعات، ومحاولة وقف منحى التدهور والمخاطر على المنطقة وخارجها، والتحذير من تأثيراته السلبية على الأمن الإنساني وتنامي قضية اللاجئين. ورغم تلك التحذيرات فقد حرصت مصر على تحمل نصيب كبير من تكلفة هذه الصراعات رغم ظروفها الاقتصادية الضاغطة، وهو ما يتجلى بوضوح في تزايد أعداد اللاجئين الإفريقيين والمقيمين من جنسيات متعددة[38].

واتساقًا مع ما تقدم, تفرض السياسة الواقعية حدودًا للسياسة الخارجية للدولة بمنطق الكلفة والعائد حتى لا تتحول إلى عبء يثقل كاهل الدولة في نشاطاتها الدبلوماسية في نطاقها الجغرافي، ومن هنا نجد أن الكشف عن منحى سياسة مصر الخارجية ونشاطها المستمر فيما يتعلق بأهدافها وغاياتها، الذي يتوازى مع الأنشطة العسكرية في إطار

التعاون العسكري مع العديد من الأطراف الإقليمية أو عبر تقديم المساعدات الإنسانية، تلتقي في نهاية المطاف بدوائر نطاقاتها الجيوسياسية التي تعكس تأمين مصالحها وقيمها، فلا شك أن اندلاع النزاعات وتصاعد حدة الصراعات داخل هذه الدوائر له تداعياته ونتائجه الجغرافية في مناطقها الحيوية، كذلك الاتجاهات الاستراتيجية في دول الجوار أو دول جوار الجوار، على نحو ما يجري من تزايد التحركات المصرية في الدائرة الإفريقية وكافة هذه العلاقات ربما تنتج بيئة مواتية لإحداث انفتاحات جديدة في ممارسات سياستها الخارجية مع كل هذه الدول، تسمح لها بالحفاظ على مستوى يخلق لها تأثيرات إقليمية في خضم ما تفرضه عليها بيئتها الاستراتيجية من تحديات في الأولويات الاستراتيجية[39]. وهكذا نجد أن مصر تواجه معضلة تحقيق التوازن بين أولويات سياستها الخارجية وأولويات أمنها القومي في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في ظل الصراعات الإقليمية المتصاعدة التي رسمت حدود المواجهة في النطاقات الجغرافية الحيوية؛ نتيجة تعميق حالة الاختراقات الجغرافية للقوى الإقليمية والدولية. ومن هنا يتمثل جل الصعوبات التي تواجه مصر في نطاق تكييف سياستها الخارجية مع الحقائق الجيوسياسية في اتجاه منظورية تطوير خيارتها الدبلوماسية وحشدها نحو بلوغ مستويات التعاون الاستراتيجي في علاقاتها الإقليمية.

الاستنتاجات والتوصيات

وفي ضوء ما تقدم يمكننا القول إن طبيعة التحولات التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في ظل جائحة كورونا تكشف عن حاجة مصرية لإعادة النظر في سياستها الخارجية بأبعادها الدبلوماسية المتعددة من حيث دلالاتها أو مضامينها تجاه دول المحيط الجغرافي، انطلاقًا من دوافع جيوسياسية محركة لتعظيم مكاسبها الاستراتيجية بالانفتاح على

كل الإقليم. ومن هنا توصلت الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات والتوصيات, وكالآتي:

أولًا: تمحورت الاستراتيجية المصرية في التعاطي مع التطورات الإقليمية وتحولاتها الاستراتيجية بالاستناد إلى موقعها الجيوسياسي المتميز، إذ أتاح لها إعادة تعريف عمقها الجغرافي في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وصوغ أولويات سياستها الخارجية في هذه الجغرافية الإقليمية.

ثانيًا: تحاول مصر التعبير عن نفسها من خلال إعادة توجيه سياستها الخارجية نحو منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، بتبني مسارات دبلوماسية تتيح لها تأمين مصالحها الاستراتيجية باتجاه توظيفها لحالة الإرباك الجيوسياسي في جوارها المحيط بإعادة تموضعها الجغرافي في المعادلة الأمنية الجديدة في المنطقة.

ثالثًا: أضحت دبلوماسية المساعدات الإنسانية أو الصحية, ضمن المنظور الجيوسياسي, تعطي الأولوية كبعد استراتيجي في سياسة مصر الخارجية وتوظيفها مرهونًا بمدى قدرة القيادة المصرية على تسخير قدرات ما لديها من مصادر قوة لتعزيز مكانتها في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا التي لاتزال تحتل أهمية متزايدة في الإدراكات الاستراتيجية المصرية.

رابعًا: إن اختلال حالة التوازن في الجوار الجغرافي لمصر بفعل مجريات الأحداث وتطوراتها تشكل فرصة لتطوير وتوجيه قاطرة دبلوماسية سياستها الخارجية وتوسيع رؤيتها في تدعيم المبادرات الإنسانية لتغطي النطاقات الجغرافية التي يجري تعريفها على أنها مجلات حيوية لها.

خامسًا: كشفت الخيارات المرنة في سياسة مصر الخارجية وتوسيع مجالات العمل الدبلوماسي سقف أفضلياتهم من حيث المصالح الاستراتيجية إلى جانب بروزها المتنامي في الإقليم وتوسيع هامش حركتها في المنطقة.

أوجدت ديناميكية تعاقب الأحداث داخل منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا قيودًا تقوض من حركة توسيع مصر لحدود مساعداتها الإنسانية في مختلف أبعادها.

سادسًا: أوجدت ديناميكية تعاقب الأحداث داخل منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا قيودًا تقوض من حركة توسيع مصر لحدود مساعداتها الإنسانية في مختلف أبعادها، لا سيما وأنها أصبحت ساحة للتنافس والصراع للفواعل الإقليمية والدولية وما تطرحه من مخاطر وتحديات سيكون لها تداعيات في زيادة مساحة التأثير عليها في هذه النطاقات الجغرافية.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الكتب العربية والمترجمة

-إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات، (الكويت: ذات السلاسل للنشر والتوزيع، ١٩٨٧).

-صلاح نيوف، الثقافة الاستراتيجية الروسية في القرن الحادي والعشرين بين الواقع والطموح، (بلا، مركز أسبار للدراسات والبحوث، 2020).

-عبد القادر دندن، الأدوار الإقليمية للقوى الصاعدة في العلاقات الدولية،(عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2015).

-عقيل سعيد محفوض، السياسة الخارجية التركية: الاستمرارية –التغيير،(بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012).

-عمر كامل حسن، المجالات الحيوية الشرق أوسطية في الاستراتيجية الإيرانية، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2015).

-مثنى علي المهداوي، السياسة الخارجية: دراسة نظرية عامة،(بغداد: مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، 2020).

-محمد العربي وآخرون، السياسة الخارجية المصرية: العودة في نطاق من الأزمات،(القاهرة: مركز الإنذار المبكر وشبكة رؤية الإخبارية، 2021).

-نوار محمد ربيع الخيري، مبادئ الجيوبوليتيك،(بغداد: دار ومكتبة عدنان، 2014).

-يورغ سورنسن، إعادة النظر في النظام العالمي الجديد، ترجمة: أسامة الغزولي،(الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2020).

ثانيًا: المجلات والدوريات

-أحمد جلال محمود عبده،»فعالية المساعدات الخارجية وأثرها على الأمن القومي: المساعدات الأمريكية لمصر والتعاون الأمني في مكافحة الإرهاب حالة دراسة»، مجلة كلية السياسة والاقتصاد، العدد(10)، (2021).

-أميرة عمارة، «تأثير جائحة كورونا على البطالة في مصر»، مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، العدد(4)، (2021).

- أيمن السيد عبد الوهاب، «السياسة الخارجية المصرية في إقليم متغير.. المصالح والتكلفة»، دورية الملف المصري، العدد(108)، (2023).

-جمال سلامة علي، «سياسة مصر الخارجية بعد 30 يونيو. .. قوة دفع رئاسية»، مجلة السياسة الدولية، العدد(225)، (2021).

-حزاوي جويدة، الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه القضية الفلسطينية «قراءة في السياسة الخارجية الجديدة للرئيس ترامب»، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، العدد(1)، (2018).

-فراس عباس هاشم، «تصاعد وظائفية دبلوماسية التضامن الإنساني في ظل جائحة كورونا:(رؤية جيوبوليتيكية)»، مجلة النهرين، العدد(10)، (2021).

-منوبي غباش، «العقلانية والمخيال السياسي في الفلسفة السياسية الحديثة»، مجلة تبين، العدد (34)،(2020).

-نور الدين دخان، سليم بدرة، «تركيا ومسعى البحث عن فرص الوجود كقوة إقليمية صاعدة في منطقة الشرق الأوسط»، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، العدد(1)، (2020).

ثالثًا: التقارير

-خالد حنفي علي، «الدور الإنساني لمصر في مواجهة الأوبئة والكوارث في إفريقيا»، الملف المصري، العدد(91)، (2022).

-محمد عبد الله يونس، «كيف ترسم المفاهيم المتداولة ملامح عالم ما بعد كورونا»، دراسات خاصة، العدد (2)، (2020).

رابعًا: المواقع الإليكترونية

-أحمد عليبه، «القوة والتراكم: تنامي الدور الإقليمي لمصر»، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية،2021/6/1، شُوهِد في 2023/12/12، في: https://acpss.ahram.org.eg/News/17157.aspx

-بسمة سعد،» السياسة المصرية تجاه إقليم شرق إفريقيا.. المحددات والآليات والتحديات»، ترندز للبحوث والاستشارات، 2 /9/ 2021، شُوهِد في 2023/10/10، في: https://trendsresearch.org/ar/insight

-"سجناء الجغرافيا عشر خرائط تقول كل ما تريدون معرفته حول السياسة العالمية"، موقع بالعربية، 2020/5/22، شُوهِد في 2023/11/10، في: https://bilarabiya.net/15398.html

-عبد الوهاب عاصي، "دبلوماسية المساعدات الإنسانية خلال جائحة كورونا الدوافع والأثر"، موقع ترك برس، 7 /5/ 2020، شُوهِد في 2023/12/15، في: https://www.turkpress.co/node/71219

-فراس عباس هاشم،»جيوبوليتيكيا السياسية الخارجية العراقية: رؤية في معالم التحول»، المركز الديمقراطي العربي، 17 /6/ 2020، شُوهِد في 2023/11/15، في: https://democraticac.de/?p=67279

-محمد عبد الله يونس، "فرص الأزمات: كيف يمكن الاستفادة من التحولات المفاجئة في العالم"، موقع مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 13 /8/ 2020، شُوهِد في2023/11/10، في: https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/5747

-محمد ممدوح، الجيوبوليتيك أو كيف نفهم السياسة الخارجية للدولة"، موقع إضاءات، 2020/1/21، شُوهِد في 2023/11/2، في: https://www.ida2at.com/algiobolitik-or-how-to-understand

-»محورية إفريقيا في السياسة الخارجية المصرية»، صحيفة الأهرام، 2023/6/11، شُوهِد في 2023/12/11، في: https://gate.ahram.org.eg/90309/4/daily/News/204515

-نبيل زكاوي، "معضلة الأمن في إفريقيا: هياكل الأزمة وفرص الإصلاح"، مركز الجزيرة للدراسات، 19 /10/ 2021، شُوهِد في 2023/11/24، في: https://studies.aljazeera.net/ar/article/5164

خامسًا: المصادر الأجنبية

Josep Borrell,"Geoeconomics and geopolitics of the COVID-19 crisis», EUROPEAN UNION WEBSITES, 18.04.2021, https://www.eeas.europa.eu/eeas/geoeconomics-and-geopolitics-covid-19-crisis_en

Egypt's foreign policy in a challenging" regional context", Think Tank European Parliament, 11 ,2021-10-https://www. europarl.europa.eu/thinktank/en/document/E

Laurie Yuano," Geopolitical tensions- are high, putting global economy at risk, UN Secretary-General says", CNBC Councils, JAN 23 2020, https://www.cnbc.com/2020/01/23/-geopolitical-tensions-putting-global-economy-at-risk-un-secretary.html

Giovanni Faleg, "Global Power-Competition in Africa: Implications for the EU", Italian Institute for International Political Studies, 21 December 2020, https://www.ispionline.it/en/pubblicazione/global-power-competition-africa-implicati

Endnotes

1. (*) يُعرِّف قاموس لاروس(Larousse) الفرنسي الجيوسياسية بأنها: "دراسة العلاقات الموجودة ما بين الدول وسياساتها والمعطيات التي تحدد هذه العلاقات". أما دائرة المعارف البريطانية فتُعرِّف الجيوسياسية بأنها: "استخدام الجغرافية من قِبَل حكومات الدول التي تمارس سياسة النفوذ ". نقلًا عن: نوار محمد ربيع الخيري، مبادئ الجيوبوليتيك،(بغداد: دار ومكتبة عدنان، 2014)، ص32-34.

() نور الدين دخان، سليم بدرة، "تركيا ومسعى البحث عن فرص الوجود كقوة إقليمية صاعدة في منطقة الشرق الأوسط"، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، العدد(1)، (2020)، ص805.

(**) يُعرِّف(سيار كوكب الجميل) مفهوم المجال الحيوي بأنه: "النطاق الاستراتيجي أو الحيز الجغرافي الخصب الجاذب للقوى الدولية دومًا, ليس في التحرك والتفاعل فحسب، بل في ترسيخ جملة من الأساليب والنظم والمنظومات والارتكازات". فيما يُعرِّف قاموس (وبستر) المجال الحيوي بأنه: "الاتساع الذاتي الاقتصادي لأرض الدولة أو المجال المطلوب للمجتمع أو مؤسسة أو منظمة لغرض الحياة أو الإقليم الضروري للوجود". نقلًا عن: عمر كامل حسن، المجالات الحيوية الشرق أوسطية في الاستراتيجية الإيرانية، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون ، 2015)، ص25.

2. () "سجناء الجغرافيا عشر خرائط تقول كل ما تريدون معرفته حول السياسة العالمية"، موقع بالعربية، 5/22/ 2020، شُوهِد في 2023/11/10، في: https://bilarabiya.net/15398.html

3. () فراس عباس هاشم، "تصاعد وظائفية دبلوماسية التضامن الإنساني في ظل جائحة كورونا: (رؤية جيوبوليتيكية)"، مجلة النهرين، العدد (10)،(2021)، ص10.

4. () المصدر نفسه، ص10.

(*) تُعرَّف الثقافة الاستراتيجية بأنها:" تلك المجموعة من المعتقدات والافتراضات وأنماط السلوك المشتركة، المستمدة من التجارب المشتركة والروايات المقبولة (الشفوية والمكتوبة)، التي تشكل الهوية الجماعية والعلاقات مع المجموعات الأخرى، والذين يحددون الغايات والوسائل المناسبة لضمان الأمن والأهداف". نقلًا عن: صلاح نيوف، الثقافة الاستراتيجية الروسية في القرن الحادي والعشرين بين الواقع والطموح، (بلا ، مركز أسبار للدراسات والبحوث، 2020)، ص11.

5. () محمد ممدوح، الجيوبوليتيك أو كيف نفهم السياسة الخارجية للدولة"، موقع إضاءات، 2020/1/21، شُوهِد في 2023/11/2 ، في : https://www.ida2at.com/algiobolitik-or-how-to-understand

6. ( )Josep Borrell,"Geoeconomics and geopolitics of the COVID-19 crisis" , EUROPEAN UNION WEBSITES, 18.04.2021, https://www.eeas.europa.eu/eeas/geoeconomics-and-geopolitics-covid-19-crisis_en

7. () محمود سمير الرنتيسي، "الدبلوماسية التركية تجاه النظام الدولي أثناء وبعد جائحة كورونا"، مركز غدراك للدراسات والاستشارات، ص8، متاح بصيغة pdf على الرابط chrome-extension://efaidnbmnnnibpcajpcglclefindmkaj/viewer.html?pdfurl=https%3A

8. () نقلًا عن: حزاوي جويدة، الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه القضية الفلسطينية "قراءة في السياسة الخارجية الجديدة للرئيس ترامب"، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، العدد(1)، (2018)، ص193-194.

9. (*) تُعرَّف الجائحة(Pandemic) على أنها وباء يحدث على المستوي العالمي أو عبر منطقة واسعة جدًّا، حيث ينتشر عبر الحدود الدولية, وعادة ما يصيب عددًا كبيرًا من الأفراد". نقلًا: عن أميرة عمارة، " تأثير جائحة كورونا على البطالة في مصر" ، مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، العدد(4)، (2021)، ص45.

(*) المقصود بالأوبئة: "حركة انتقال بين نوعين من الكائنات الحية، إحداهما هو الكائنات الحية المسببة لهذه الأوبئة، وهي كائنات حية صغيرة جدًّا غير محسوسة وغير منظورة. أما الكائنات الأخرى فهي كائنات محسوسة منظورة وهم البشر ضحايا هذه الكائنات غير المحسوسة. وتكون أعداد هذه الكائنات الحية كبيرة بنوعيها، فأعدادها لانهاية لها في حالة مسببات الأمراض وكبيرة في حالة الكائنات البشرية". نقلًا عن: مثنى علي المهداوي، السياسة الخارجية: دراسة نظرية عامة، (بغداد: مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، 2020)، ص97.

() عز الدين عبد المولى، "ما القوة الحيوية: كورونا واختبار

المفهوم التقليدي لقوة الدولة"، تقارير، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2020)، ص 4-5.

10. (**) لكلمة "يوتوبيا" معانٍ مختلفة بحسب سياقات الاستعمال. فهي تعني اللامكان (Outopia) أو المكان الذي لا وجود له، كما تعني مكان السعادة (Eutopia). وتعني كذلك، في السياق الدلالي نفسه، البلد الخيالي أو المثالي، وتدل أيضًا على التنظيم المثالي للمجتمع الإنساني. منوبي غباش، "العقلانية والمخيال السياسي في الفلسفة السياسية الحديثة"، مجلة تبين، العدد (34)،(2020)، ص131.

() محمد عبد الله يونس، "فرص الأزمات: كيف يمكن الاستفادة من التحولات المفاجئة في العالم"، موقع مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 13 /8/ 2020، شُوهِد في2023/11/10، في: https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/5747

11. () فراس عباس هاشم،"جيوبوليتيكيا السياسية الخارجية العراقية: رؤية في معالم التحول"، المركز الديمقراطي العربي، 17 /6/ 2020، شُوهِد في 2023/11/15، في: https:// democraticac.de/?p=67279

12. () إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات، (الكويت: ذات السلاسل للنشر والتوزيع، ١٩٨٧)، ص13.

(*) يُعرّف(حامد ربيع) السياسة الخارجية بأنها: "جميع صور النشاط الخارجي، حتى ولو لم تصدر عن الدولة كحقيقة نظامية. إن نشاط الجماعة كوجود حضاري أو التعبيرات الذاتية كصور فردية للحركة الخارجية تنطوي وتندرج تحت هذا الباب الواسع الذي نطلق عليه اسم السياسة الخارجية". أما (أحمد نوري النعيمي) فإنه يُعرِّفها: "إن السياسة الخارجية لأي دولة تعكس وجود عملية ديناميكية تأخذ في الاعتبار المصلحة القومية والظروف البيئية الدولية، والتي تُترجَم إلى واقع ملموس ومن خلال الأداة الدبلوماسية". مثنى علي المهداوي، مصدر سابق، ص14-15.

13. () أيمن السيد عبد الوهاب، "السياسة الخارجية المصرية في إقليم متغير.. المصالح والتكلفة"، دورية الملف المصري، العدد (108)، (2023)، ص27.

14. () عقيل سعيد محفوض، السياسة الخارجية التركية: الاستمرارية –التغيير،(بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص23.

15. () محمد عبد الله يونس، "كيف ترسم المفاهيم المتداولة ملامح عالم ما بعد كورونا"، دراسات خاصة، العدد (2)، (2020)، ص5.

16. () المصدر نفسه، ص5.

17. () فراس عباس هاشم ، مصدر سابق، ص19.

18.)("Egypt's foreign policy in a challenging regional -10-context", Think Tank European Parliament, 11 ,2021 https://www.europarl.europa.eu/thinktank/ en/document/E

19. () بسمة سعد،" السياسة المصرية تجاه إقليم شرق أفريقيا.. المحددات والآليات والتحديات"، ترندز للبحوث والاستشارات، 2 /9/ 2021، شُوهِد في 2023/10/10 ، في: https:// trendsresearch.org/ar/insight

(*) يُقصَد بالمساعدات بصفة عامة "جميع التدفقات المالية من الجهات المانحة (سواء كانت هذه الجهات دولًا أو منظمات متعددة الأطراف) إلى البلدان النامية والبلدان التي تمر بمراحل انتقالية، بما في ذلك التمويلات المالية الرسمية، والقروض، والمساعدات الطبية والاقتصادية، وتمويل التجارة، والمساعدات الخيرية، والمساعدات العسكرية والأمنية، والمساعدات السياسية". وهناك تعريفات أخرى للمساعدات الخارجية منها ما يؤكد على أنها "تدفقات الموارد المالية والمادية، والفنية والبشرية بشروط تيسيرية من دولة أو مجموعة من الدول أو منظمة دولية إلى دولة أو مجموعة من الدول". نقلًا عن: أحمد جلال محمود عبده،"فعالية المساعدات الخارجية وأثرها على الأمن القومي: المساعدات الأمريكية لمصر والتعاون الأمني في مكافحة الإرهاب حالة دراسة"، مجلة كلية السياسة والاقتصاد، العدد(10) ،(2021)، ص38.

20. () أيمن السيد عبد الوهاب، مصدر سابق، ص29.

21. () نبيل زكاوي،"معضلة الأمن في إفريقيا: هياكل الأزمة وفرص الإصلاح"، مركز الجزيرة للدراسات، 19 /10/ 2021 ، شُوهِد في 2023/11/24، في : https://studies.aljazeera.net/ ar/article/5164

22. () عبد الوهاب عاصي، "دبلوماسية المساعدات الإنسانية خلال جائحة كورونا الدوافع والأثر"، موقع ترك برس، 7 /5/

2020، شُـوهِد في 2023/12/15، في: https://www.turkpress.co/node/71219

23. () خالـد حنفـي علـي، "الـدور الإنسـاني لمصـر في مواجهـة الأوبئـة والكـوارث في أفريقيـا"، الملـف المصـري، العـدد (91)، (2022)، ص24.

24. () عبد الوهاب عاصي، مصدر سابق.

(*) يعطـي المعجـم الحديـث للتحليـل السياسـي تعريفًـا للـدور علـى أنـه: "أنمـاط السـلوك ومجموعـات المواقـف المتوقعـة مـن الأشـخاص الذيـن يحتلـون مناصـب في هيـكل اجتماعـي، ويتـم تمييـز(الـدور) غاليًـا عـن الوضـع بحيـث أن الثانـي يصـف المواقـف الاجتماعيـة النسـبية، في حيـن يصـف الـدور أنـواع الأعمـال التـي تـؤدي ضمـن كل موقـف، ويكتسـب الأفـراد معرفـة الـدوار والقـدرة علـى أدائهـا عـن طريـق التنشـئة الاجتماعيـة". عبـد القـادر دنـدن، الأدوار الإقليميـة للقـوى الصاعـدة في العلاقـات الدوليـة، (عمـان: مركـز الكتـاب الأكاديمـي، 2015)، ص36.

25. () فـراس عبـاس هاشـم، مصـدر سـابق، ص19. وللمزيـد مـن التفاصيـل حـول هـذا الموضـوع انظـر: يـورغ سورنسـن، إعـادة النظـر في النظـام العالمـي الجديـد، ترجمـة: أسـامة الغزولـي،(الكويـت: المجلـس الوطنـي للثقافـة والفنـون والآداب، 2020).

26. () جمـال سلامـة علـي، "سياسـة مصـر الخارجيـة بعـد 30 يونيـو ... قـوة دفـع رئاسـية"، مجلـة السياسـة الدوليـة، العـدد (225)، (2021)، ص146.

27. () فراس عباس هاشم، مصدر سابق، ص23.

28. () المصدر نفسه، ص23.

29.)Laurie Yuano," Geopolitical tensions are high, putting global economy at risk, UN Secretary-General says", CNBC Councils, JAN 23 2020, https://www.cnbc.com/2020/01/23/-geopolitical-tensions-putting-global-economy-at-risk-un-secretary.html

30. () محمود سمير الرنتيسي، مصدر سابق.

31.)Giovanni Faleg ,"Global Power Competition in Africa: Implications for the EU", Italian Institute for International Political Studies, 21 December 2020, https://www.ispionline.it/en/pubblicazione/global-power-competition-africa-implicati

32. () محمـد العربـي وآخـرون، السياسـة الخارجيـة المصريـة: العـودة في نطـاق مـن الأزمـات، (القاهـرة: مركـز الإنـذار المبكـر وشـبكة رؤيـة الإخباريـة، 2021)، ص19.

33. () "محوريـة إفريقيـا في السياسـة الخارجيـة المصريـة"، صحيفـة الأهـرام، 2023/6/11، شُـوهِد في 2023/12/11، في: https://gate.903099/4/ahram.org.eg/daily/News/204515

34. () محمد العربي وآخرون، مصدر سابق، ص74.

35. () خالـد وليـد محمـود، "الجغرافيـا السياسـية للأردن بيـن حتميـة المـكان وتحديـات السياسـة"، مجلـة رؤيـة تركيـة، العـدد (1)، (2021)، ص121.

36. () بسمة سعد، مصدر سابق.

37. () خالد حنفي علي، مصدر سابق، ص26.

38. () أيمن السيد عبد الوهاب، مصدر سابق، ص30.

39. () أحمـد عليبـه، "القـوة والتراكـم: تنامي الـدور الإقليمي لمصر"، مركـز الأهـرام للدراسـات السياسـية والاسـتراتيجية،2021/6/1، شُـوهِد في 2023/12/12، في: https://acpss.ahram.org.eg/News/17157.aspx

دول وقلعي :

لينا عماد محسن

تراجع الديمقراطية مقابل الاستبداد

المؤشرات واضحة والخطر يقترب من العراق

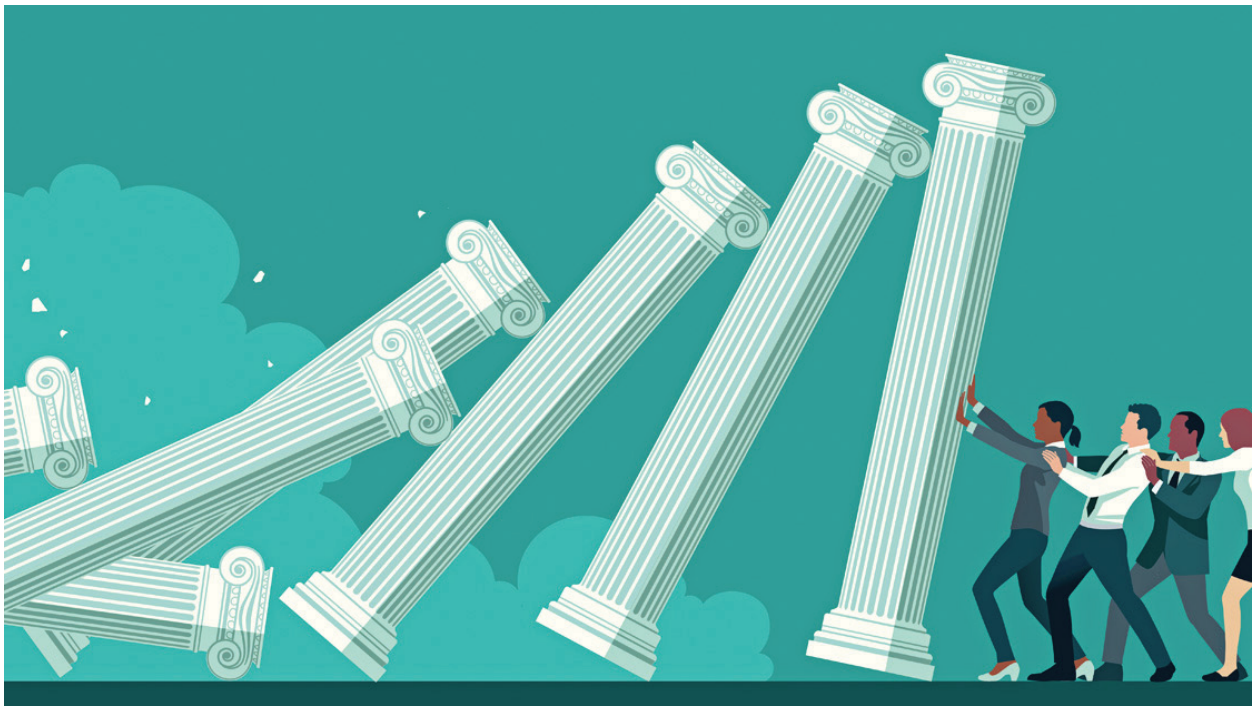

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية, ازداد عدد الأشخاص الذين يمتلكون حقوقًا ديمقراطية بالنسبة للسنوات التي سبقت تلك الحرب, ومع التطور الكبير الذي اجتاح العالم ومع زيادة تأثر الدول باللاعبين غير الرسميين-يقصد هنا المنظمات العابرة للحدود وبعض الأفراد المؤثرين- أصبحت هنالك مخاوف من تراجع مكتسبات «الديمقراطية» في العالم مع حلول عام 2025[1]. فما مدى صحة هذه المخاوف؟ هل يتجه العالم نحو سيطرة أنظمة أقل ديمقراطية في السنوات القادِمة؟

ستوضح هذه الورقة أن معظم (أدوات قياس الديمقراطية التي استخدمناها) تنذر إلى أن هذه المخاوف صحيحة إلى حد ما, نعم لقد أصبح العالم اليوم في مطلع عام 2024 أقل ديمقراطية مما سبق.

إن الديمقراطية كمعيار للحكم يمكن ملاحظة أنه قد شهد تراجعًا مستمرًا, سواء ارتبط الأمر بعدد الأنظمة الديمقراطية بالنسبة لعدد الناس الذين يعيشون فيها, أو بعدد الأنظمة ذات الطابع الاستبدادي بالنسبة للأشخاص الذين يعيشون فيها, أو حتى في تلك التغييرات البسيطة المرتبطة بالحقوق والممارسات الديمقراطية التي يمكن أن تُكتسَب حتى في ظل وجود نظام سياسي يُصنَّف كنظام استبدادي[2].

لقد انخفض مستوى الديمقراطية من أعلى مستوياته –الذي امتد من بداية التسعينيات حتى عام -2015 إلى مستوى منخفض خلال العقود الماضية, لكن مدى هذا الانخفاض يعتمد على مقياس الديمقراطية الذي نستخدمه في مقالتنا. وهو محدود, بمعنى أن العالم لا يزال أكثر ديمقراطية مما

كان عليه حتى قبل نصف قرن على سبيل المثال. سأعتمد في الرسم البياني على تصنيف أنظمة العالم (RoW)[3]

كمقياس لتحديد ما إذا كانت الدولة ديمقراطية أم لا[4].

باستخدام بيانات RoWيوضح الرسم البياني التالي أن العالم قد أصبح أقل ديمقراطية في السنوات الأخيرة. وصل عدد الديمقراطيات في العالم إلى أعلى مستوى له على الإطلاق في عام 2016 مع وجود 96 دولة ديمقراطية انتخابية. أما في العام 2022، انخفض عددها إلى 90 دولة.

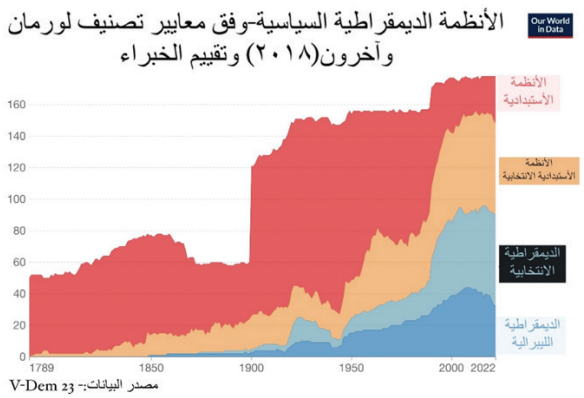

مصدر البيانات:- https://ourworldindata.org/grapher/countries-that-are-democratizing-and-autocratizing

إن انخفاض الأنظمة الديمقراطية في العالم مع تنوع أسباب ذلك الانخفاض قد حدث سابقًا, وقد تم التخلص منه, إذ مرت الدول بعدة مراحل من الاستبداد, ونجحت بالتخلص منها. كانت أولها في الثلاثينيات ثم مرة أخرى في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي أيضًا, وقد ناضلت تلك الشعوب لإنهاء حقب الاستبداد، لقد شهد المجتمع الدولي انخفاض في عدد الأنظمة (الديمقراطية) في العالم من (44) دولة في عام 2009 إلى (32) دولة في عام, 2022

ونتيجة لذلك فقد عدد كبير من الأشخاص حقوقهم الديمقراطية

بين عامي 2016 و 2022، فقد انخفض هذا العدد من 3.9 مليار إلى 2.3 مليار شخص. كما لوحظ انخفاض عدد الأشخاص الذين يعيشون في ظل الأنظمة الديمقراطيات الليبرالية من 1.2 مليار شخص في عام 2012 إلى 1 مليار شخص عام 2022. ومن الأمثلة على الدول التي يعيش فيها أشخاص فقدوا حقوقهم الديمقراطية - وفقًا لبيانات منظمة"1.4 .- - RoW" مليار شخص في الهند[5]، و84 مليون شخص في تركيا، و28 مليون شخص في فنزويلا[6]. بالنظر إلى عدد الأنظمة الديمقراطية والأشخاص الذين يعيشون فيها تستطيع البيانات المتوفرة إخبارنا أنه ثمة تغييرات كبيرة تحصل في جميع أنحاء العالم في وقتنا الحاضر, سواء بتغيير يتمخض عنه وجود بلدان ديمقراطية جديدة، أو عندما تتغير بعض الأنظمة نحو أنظمة أقل ديمقراطية خصوصًا مع وصول قوات مسلحة للحكم في عدد من البلدان التي حدثت فيها ثورات والتي كان من المفترض أنها أنتجت حكمًا ديمقراطيًّا[7].

ويخبرنا الرسم البياني الآتي بدلًا من ذلك عن عدد الحقوق الديمقراطية التي يتمتع بها الأشخاص من خلال قياس درجة الديمقراطية في بلد ما بالنسبة لعدد سكانه[8]. وبحسب هذه الطريقة، فقد انخفضت الحقوق الديمقراطية للناس في العالم: حصلت البلدان على متوسط مرجح لعدد السكان يبلغ 0.40 بالنسبةِ للديمقراطية الانتخابية في عام 2021. وهذا أعلى مستوى لها على الإطلاق منذ العام 2004, إذ كان يبلغ 0,05.

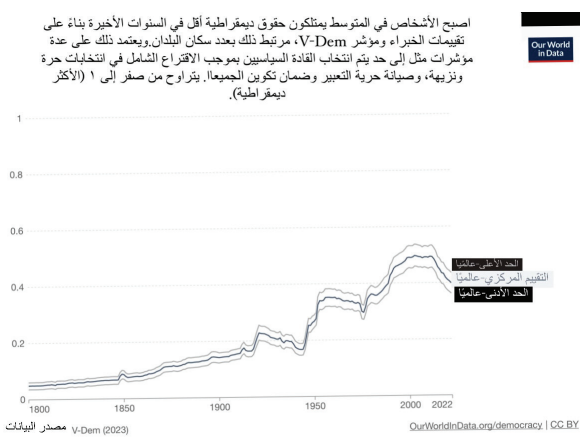

مصدر البيانات:
https://ourworldindata.org/grapher/electoral-democracy-index?tab=chart&country=~OWID_WRL

إن الديمقراطية كمعيار للحكم يمكن ملاحظة أنه قد شهد تراجعًا مستمرًا سواء ارتبط الأمر بعدد الأنظمة الديمقراطية بالنسبة لعدد الناس الذين يعيشون فيها.

في السنوات الأخيرة, ازداد عدد البلدان الاستبدادية التي تشهد ارتفاعًا سكانيًّا كبيرًا. إن المتوسطات العالمية لمدى ديمقراطية الدول وتمتع الناس بالحقوق الديمقراطية تخبرنا عن أن ثمة تغييرات تتعلق بقلة الحقوق الديمقراطية التي يحصل عليها الناس –خصوصًا تلك الحقوق المتعلقة بحرية التعبير, ونزاهة الانتخابات النيابية واستقلالية السلطات في بعض الدول - ولكنها لا ترتبط بالضرورة بتغيير شكل النظام السياسي بالكامل لكنها في ذات الوقت لا تخبرنا ما هي الدول التي أصبحت أكثر أو أقل ديمقراطية. ثمة طريقة أخرى لدراسة التغييرات العالمية في مستوى الديمقراطية من خلال تحديد الكيفية التي تتغير بها عدد البلدان التي تمتلك نظامًا استبداديًّا أو ديمقراطيًّا, فنقوم بتحديد البلدان التي أصبحت أقل أو أكثر ديمقراطية من خلال بيانات مشروع « حلقات تحول الأنظمة السياسية[9]" (ERT).

سنقوم باستخدام بيانات المشروع لتحديد البلدان التي تمارس الاستبداد أو الديمقراطية، وأي البلدان لا تمتلك توجهًا واضحًا في أي من الاتجاهين. يوضح هذا الرسم البياني كيفية تصنيف كل دولة في نهاية كل عام منذ عام 1900.

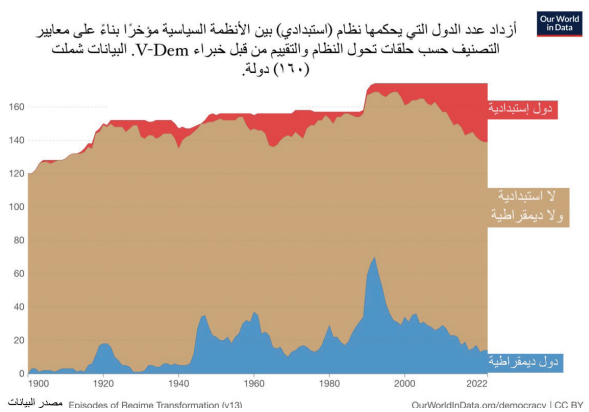

مصدر البيانات:-
https://ourworldindata.org/grapher/countries-that-are-democratizing-and-autocratizing?stackMode=absolute

ماذا يعني أن تكون الدولة استبدادية أو ديمقراطية؟

يسعى مشروع ERT إلى تحقيق التوازن بين التغييرات الكبيرة والصغيرة التي تؤثر في كيفية سير الدول الديمقراطية. وهو يوضح التغييرات النسبية في الأنظمة الديمقراطية التي لا ترقى إلى مستوى تغيير النظام بأكمله, وفي الوقت نفسه، فإنه لا يصنف دولة ما على أنها دولة استبدادية إلا عندما يكون هناك انخفاض كبير في درجة ديمقراطيتها, وذلك لأن التغييرات البسيطة في مستوى الديمقراطية قد تكون عابرة ولا تشير إلى تحولات كبيرة. أو تبالغ في تقدير التغييرات تمامًا؛ لأن القياس غير مؤكد. يسمح مشروع ERT أيضًا بالركود المؤقت للديمقراطية؛ لأن الاستبداد قد لا يحدث فجأة في عام واحد، ولكن ببطء على مدى عدة سنوات[10].

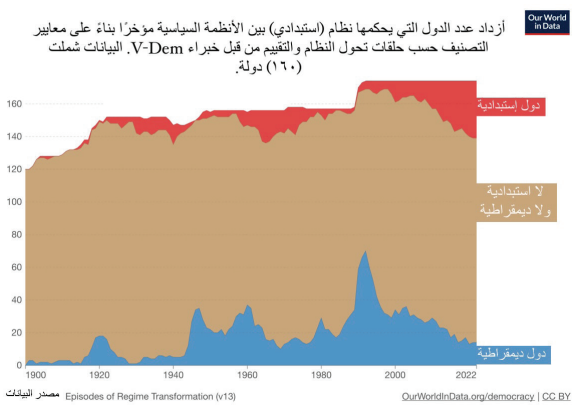

مصدر البيانات:-
https://ourworldindata.org/grapher/people-living-in-democratizing-autocratizing-countries-ert

كما هو موضح في الرسم البياني، فإن عدد الدول التي تتجه نحو الاستبداد في ازدياد ملحوظ وصولًا إلى عام 2022، يوجد لدينا 40 دولة تُحكَم من قِبَل نظام استبدادي. وهذا هو أعلى مستوى على الإطلاق قد وصلت إليه البشرية منذ فترة طويلة، فقبل عام

> عام 2022، كان هنالك 3.2 مليار شخص يعيشون في بلدان ذات طابع استبدادي وهذا بالطبع أعلى مستوى قد وصلت اليه البشرية بعد الحرب العالمية الثانية.

2012, أصبح عدد الدول الاستبدادية متساويًا تقريبًا إلى عدد البلدان التي تحولت إلى أنظمة ديمقراطية. ولكن بعد عام 2012، ارتفع عدد البلدان التي أصبحت أقل ديمقراطية.-ليست استبدادية- ولكنها أقل ديمقراطية.

ويتزايد أيضًا عدد الأشخاص الذين يعيشون في البلدان الاستبدادية, ففي عام 2022، كان هنالك 3.2 مليار شخص يعيشون في بلدان ذات طابع استبدادي, وهذا بالطبع أعلى مستوى قد وصلت اليه البشرية بعد الحرب العالمية الثانية. لقد كان عدد البشر الذين يعيشون في دول استبدادية يتجه نحو الارتفاع منذ أواخر الثمانينيات، لكن حدثت قفزة كبيرة منذ عام 2000, فقد زاد عدد البشر الذين يعيشون في ظل أنظمة مستبدة بشكل كبير عندما أُعيد تصنيف الهند على أنها أصبحت دولة ذات طابع استبدادي.[11]

ومن الأمثلة الأخرى للأشخاص الذين يعيشون في البلدان الاستبدادية وفقًا لبيانات مشروع ERT هنالك 214مليون شخص في البرازيل، و274 مليون شخص في إندونيسيا، و38 مليون شخص في بولندا. إن البلدان التي تصبح أقل ديمقراطية تتسم بأنها (تهديد) حقيقي للبلدان الديمقراطية الأخرى, خصوصًا تلك التي تجاورها جغرافيًا أو ثمة روابط بينها وبين الدول الديمقراطية مثل (الدين, اللغة, أو وجود أقليات دينية أو عرقية مشتركة, الثقافة والعادات الاجتماعية). يؤثر انتشار الأنظمة الاستبدادية على تآكل الديمقراطيات الموجودة وتقوية الأنظمة الاستبدادية الأخرى[12].

واستنادًا إلى البيانات الواردة في الرسوم البيانية أعلاه, كان الانحدار الديمقراطي الذي شهده العالم كبيرًا. لقد انخفضت دول العالم من أعلى مستويات الديمقراطية إلى مستوى يشابه إلى حد ما بما كانت تعيشه دول

العالم خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرون, أو تسعينيات وأواخر الثمانينيات من القرن الماضي. ولكن مدى تعرض الأنظمة الديمقراطية للتراجع هو أمرا –ولكن واقعية- غير مؤكد؛ لأننا يمكننا تصنيف الدول, ديمقراطية أو استبدادية, على حسب مقياس معين, وهو ما تختلف به عدد من مقاييس الديمقراطية, فعلى سبيل المثال الهند:- بما أن الهند بلد لـ 1.4 مليار نسمة، فإن طبيعة تصنيفها سيؤثر بشكل كبير على بعض المقاييس العالمية للديمقراطية. تصنف مقاييس كُلًّا من RoW وERT الهند على أنها دولة استبدادية انتخابية أو على أنها دولة استبدادية بالكامل –خصوصًا- في السنوات الأخيرة. ومع ذلك، فإن مقياس بيانات بويكس-ميلر-روساتو لا يتوافق مع المقاييس السابقة، إذ بحسب الأخير يستمر تصنيف الهند على أنها دولة ديمقراطية, وهذا يعني أنه باستخدام بياناته، فإن عدد الأشخاص الذين يعيشون في ظل ديمقراطيات في العالم لم ينخفض على الإطلاق، بل بقي ثابتًا. لكن, في ذات الوقت لا ينبغي لنا أن نبالغ في منح الاختلاف بين مناهج قياس الديمقراطية أهمية كبرى.

إذ لا تزال جميع أساليب الديمقراطية تشير إلى أنه ثمة هبوط ديمقراطي في الهند, وتتفق تلك الأساليب أيضًا على أن المقاييس التي تتناول الأشخاص كمعيار أساس للقياس الديمقراطي من البلدان أصبحت هي الأخرى تعتقد أنه ثمة انخفاض كبير في المستوى الديمقراطي في العالم, وذلك لأن البلدان ذات الكثافة السكانية الكبيرة تميل إلى فقدان المزيد من الحقوق الديمقراطية بشكل مستمر, بل حتى بيانات مقياس بويكس-ميلر-روساتو تشير إلى وجود زيادة في عدد الأشخاص الذين يعيشون في بلدان غير ديمقراطية. ورغم أن انخفاض الأنظمة الديمقراطية كان كبيرًا، فإنه بقي محدودًا, إذ لا يزال العالم بحلول العام 2024 يتمتع بأعلى مستويات الديمقراطية على الإطلاق مقارنة مع حقب تأريخية سابقة, كما كان الحال في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عندما كانت الحقوق الديمقراطية غير موجودة أساسًا. قد يبدو تراجع الحقوق الديمقراطية بمثابة خطوة غير مسبوقة للبشرية إلى الخلف, ولكن الأمر ليس خطرًا كما نعتقد في بادئ الأمر. لقد عاشت البشرية انخفاض في حقوقهم الديمقراطية

من قبل. عاشت الشعوب مثلًا عقودًا طويلة من الحكم الاستبدادي في الثلاثينيات، ثم مرة أخرى في الستينيات والسبعينيات من القرن المنصرم. فعلى سبيل المثال, شهدت ثلاثينيات القرن العشرين انهيار عدد كبير من الديمقراطيات التي كانت في ذلك الوقت تمثل أكثر من نصف دول العالم الديمقراطية, وكان التراجع في المتوسط الديمقراطي العالمي في تلك الحقب أكبر بكثير مما هي عليه في السنوات الأخيرة التي نتحدث عنها. كذلك لا ننسى أنه في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، أصبحت العديد من البلدان تُحكمَ من قِبَل أنظمة ليست ديمقراطية، إذ كان هناك ما يقارب الـ 20 دولة تحت الحكم الاستبدادي الكامل. على سبيل المثال في الهند وحدها خسر مئات الملايين من الناس حقوقهم الديمقراطية في آن واحد. أخيرًا, إن هذا التراجع في امتلاك الحقوق الديمقراطية يُعَدُّ مؤقتًا. لقد اكتسب الناس في الهند مثلًا وفي مختلف أنحاء العالم المزيد من الحقوق الديمقراطية أكثر من أي وقت مضى. لقد نجح الناس في التغلب على المد الاستبدادي السابق من خلال الدعوة بلا توقف وخلال عقود مستمرة إلى حكم أنفسهم بشكل ديمقراطي, وأؤكد

منذ العام 2003 مر العراق بمراحل الانتقال الديمقراطي كاملة بدءًا من الفوضى ووصولًا إلى تثبيت صيغة يتم عبرها تداول السلطة وبشكل سلمي من خلال الانتخابات النيابية والمحلية.

دومًا أن الإنسان ذي الأرضية التربوية الديمقراطية لا يمكن أن يعيش في ظل نظام سياسي ليس ديمقراطيًّا, ولا يمكن أن يحكم شعوبًا حرة أشخاص مُستبدون, كما أن الديمقراطية فيروس إذا وُجِد في منطقة ما لن يتوقف عن الانتشار في المناطق التي تجاوره.

العراق...النظام الهجين الذي يهدد محيطه

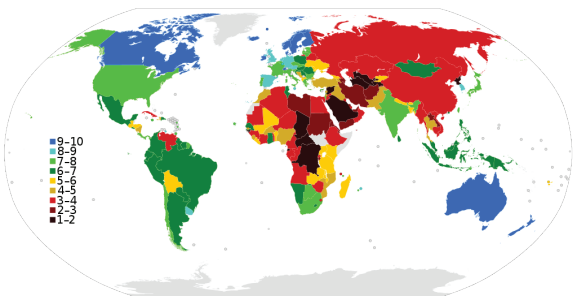

المصدر:- Economist Intelligence Unit- أرشيف قياس الأنظمة السياسية/موقع واي باك مشين https://web.archive.org/web/20180221034404/http://www.eiu.com/home.aspx

منذ العام 2003 مر العراق بمراحل الانتقال الديمقراطي كاملة بدءًا من الفوضى ووصولًا إلى تثبيت صيغة يتم عبرها تداول السلطة –وبشكل سلمي- من خلال الانتخابات النيابية والمحلية. مهما كان شكل الفوضى السياسية و ظهور تحديات جديدة أمام كل حكومة مُنتخَبة. لا يخفى أن للعراق نظامًا سياسيًّا يختلف كليًّا عن أنظمة دول الجوار الإقليمي الذي يحيطونه, من خلال قراءة للخارطة أعلاه التي توضح نوعية أنظمة الحكم لكل دولة, يُلاحَظ أن خارطة العراق-باللون الأصفر الذي يعني أنه نظام هجين[13]- تقع وسط (6) دول لا تُعَدُّ على الإطلاق دولًا ديمقراطية أو هجينة أو حتى من تلك الديمقراطيات التي تعاني من خلل ما, بل يبدو واضحًا أنها دول ذات طابع تسلطي, فيما عدا تركيا التي صُنفت على أنها نظام هجين لكنه في نفس الوقت يسير نحو الاستبداد, بحسب المعلومات المقدمة من قِبَل Economist

Intelligence Unit فـإن العـراق –انطلاقًـا لمـا بـدأ في العـام -2022 إذا اسـتمر بالمضـي نحـو الإصلاحـات القانونيـة المناسـبة لضمـان الحريـات والحقـوق مـع الاسـتمرار في إقامـة الانتخابـات النيابيـة كل 4 سـنوات, فإنـه سـيتجه نحـو نظـام (ديمقراطـي يعانـي مـن خلـل) أي إن تلـك المشـكلات التـي يعانـي منهـا العـراق, فيمـا يتعلـق بسـيادة القانـون و الحـد مـن انتشـار السـلاح غيـر المرخص, رغـم أن انتشـاره قـد يُعَـدُّ إلـى حـد مـا سـلوكًا ديمقراطيًّـا, لكـن يجـب أن يكـون ذلـك بمراقبـة السـلطات وليـس بشـكل عشـوائي. كل تلـك المشـاكل يمكـن إيجـاد حـل لهـا بمـرور الوقـت.

يُعَـدُّ العـراق تجربـة فريـدة في منطقـة تشـهد 5 دول ذات طابـع اسـتبدادي كامـل حتـى وإن وُجِـدت انتخابـات لكنهـا تلـك الأنـواع مـن الـدول التـي ينحسـر فيهـا القـرار عنـد (شـخص أو مجموعـة أشـخاص) بغـض النظـر عـن السـلطات الشـكلية والمجالـس النيابيـة الموجـودة فيهـا, مـع أخـذ التجـارب السـابقة التـي تنـذر بانحسـار الديمقراطيـات في العالـم بنظـر الاعتبـار, وصعـود قـوى يمينـة في عـدد مـن الديمقراطيـات العريقـة في أوروبـا. يجـب علـى النُخـب السياسـية في العـراق, والثقافيـة, وسـلطات تشـريع القوانيـن وتنفيذهـا, الحـرص علـى تطويـر مؤشـرات تقـدم العـراق باتجـاه وصـول العـراق لمرحلـة (نظـام ديمقراطـي يعانـي مـن خلـل). وهـي مرحلـة متقدمـة نحـو النظـام الديمقراطـي المُسـتقر, ومهمـا تكـن طبيعـة المشـكلات التـي تواجـه العـراق اليـوم, فبحسـب رأي الباحثيـن في مجـال قيـاس الديمقراطيـة (إنهـا مشـاكل قابلـة للحـل) بشـرطين: -

-أن يكـون هنالـك أحـزاب سياسـية تؤمـن بالربـح والخسـارة, وتمتلـك جمهـورًا تحـاول خدمتـه وتمثلـه تمثـيلًا عـادلًا.

-أن يبقى السلاح بعيدًا عن السلطة, أي أن يبقى الجيش والشرطة والحشد الشعبي بعيدًا عن تولي زمام الحكم؛ لكونها جهات تنفيذية وُجِدت لحماية الدولة والمواطنين.

-إدماج المزيد من المواطنين وجعلهم ناخبين من خلال نشر الوعي الانتخابي وأهميته, وأخص بالذكر فئتين:-

*النساء ربات البيوت واللواتي تتراوح أعمارهن بين (18-50) عام

*الصبية والفتيات الذين تتراوح أعمارهم بين (8-17) عام والذين يمثلون جيل الناخبين ا لمستقبليين [14].

إن تجارب الربيع العربي (التي اقتربت من الإخفاق[15]) قد تمنحنا درسًا بالغ الأهمية لنا كمهتمين بالشأن السياسي العراقي, ولصانع القرار أيضًا, أن لا نتوقع أية مساعدة للنهوض بالواقع العراقي من الدول المجاورة لنا؛ لأنه وببساطة النظام السياسي في العراق يمثل تهديدًا لأنظمة الحكم المجاورة له, إذ إن مناعة أي شكل نظام سياسي تتأثر بشكل مباشر بشكل أنظمة الحكم المجاورة –جغرافيًا- له, وإنه ليس من صالح أي نظام حكم مجاور للعراق أن يتم تطوير الديمقراطية فيه نحو مؤشرات استقرار أكثر. لا يزال الخوف الذي نذرت فيه الحرب على العراق عام 2003, ومن ثم ما لحقها من تغييرات في الربيع العربي أن تشمل دول أخرى أكثر قربًا للعراق جغرافيًّا واجتماعيًّا.

أخيرًا, إن هامش الحريات التي يمتلكها المواطن العراقي, والتغييرات المستمرة التي تطال القوى السياسية, تمثل تغييرات صحية للتحول الديمقراطي المنشود, ويجب الحفاظ على هذه المكتسبات, وعدم السماح بأي تراجع؛ لأن أية خطوة نحو نظام مغلق قد تنذر بتبعات خطيرة تهدم أية جهود كبيرة قد بُذِلت في السابق لتطوير النظام السياسي. وإن البيئة الدولية حاليًّا(بعد حرب أوكرانيا والحرب على غزة) تنذر بوضع بالغ السوء لصالح الأنظمة المستبدة, تلك التي تحكم المواطنين سواء كانوا موافقين على سياستها أم لا.

إن هامش الحريات التي يمتلكها المواطن العراقي والتغييرات المستمرة التي تطال القوى السياسية تمثل تغييرات صحية للتحول الديمقراطي المنشود.

Endnotes

1. Anna Lührmann, A third wave of autocratization is here: what is new about it?, Democratization 26(7): 1095-1113. https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/13510347.2019.1582029

2. أستخدم عبارة (استبدادي) و (أقل ديمقراطية) كتعابير مختلفة, إذ أعتقد أنه كما يوجد هناك (تحول ديمقراطي) هناك أيضًا ما أطلق عليه (تحول استبدادي) وهي المرحلة الخطيرة التي قد تُطال الأنظمة الديمقراطية في مراحل تحولها, وتهدد بفشل التجربة ككل. وقد تبدأ هذه المرحلة من فترة تصنيف الدولة على أنها أصبحت (أقل ديمقراطية), إذ يُلاحَظ ذلك من تغيير بعض القوانين في البلاد نحو تقويض أكثر للحريات الشخصية لصالح الدولة, مع زيادة العقوبات التي تطال حرية التعبير والتجمعات السلمية, كما يُلاحَظ أيضًا تحييد النُخب الاجتماعية والسياسية التي كانت مناهضة للتغييرات الجديدة التي تطرأ في البلدان, أعطي العراق كمثال واضح على المرحلة التي أسميتها أقل ديمقراطية منذ العام 2018 ولغاية عام 2024.

3. طورت هذا المشروع منهجية V-Dem باستخدام أساليب مبتكرة جمعها خبراء مختصون بقياس الديمقراطية, وتحاول أن تنتج تقديرات صحيحة وموثوقة للمفاهيم التي يصعب مراقبتها. يُعَدُّ هذا الجانب –قياس مستوى ديمقراطية الدول- من المشروع بالغ الأهمية؛ لأن العديد من السمات الرئيسة للديمقراطية لا يمكن ملاحظتها بشكل مباشر. للمزيد حول المشروع :- https://www.v-dem.net/

المؤلف: كايل ماركوارت

4. Anna Lührmann,, Marcus Tannnberg, and Staffan Lindberg. 2018. Regimes of the World (RoW): Opening New Avenues for the Comparative Study of Political Regimes. Politics and Governance 6(1): 77-60 https://www.cogitatiopress.com/politicsandgovernance/article/view/1214

5. إن إعادة التصنيف في بيانات RoW هي نتيجة للتغيرات الأخيرة في بيانات V-Dem، التي قد حددت الانخفاض في استقلالية هيئة إدارة الانتخابات الهندية، وحرية ونزاهة الانتخابات فيها، وخاصة حرية التعبير ووسائل الإعلام والمجتمع المدني. يمكنك قراءة المزيد في تقرير V-Dem السنوي لعام 2021: الاستبداد يتحول إلى فيروس https://web.archive.org/web/20220130230849/https://v-dem.net/static/website/files/dr/dr_2021.pdf

6. oppedge M, Gerring J, Altman D, et al. Conceptualizing and Measuring Democracy: A New -Approach. Perspectives on Politics. 2011;9(2):247 doi:10.1017/S1537592711000880

7. https://www.cambridge.org/core/journals/perspectives-on-politics/article/abs/conceptualizing-and-measuring-democracy-a-new-approach/DAF249E74DDD3ACE3FFC96F20EE4074D?utm_campaign=shareaholic&utm_medium=copy_link&utm_source=bookmark

للمزيد حول التراجع الديمقراطي في الدول العربية:-

ميشيل دن وآخرون, لا تتخلوا عن دعم التحول الديمقراطي في مصر, مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي. https://carnegieendowment.org/files/democracypromotionegypt.pdf .

8. وهذا يعني أن البلدان المكتظة بالسكان لها أهمية أكبر في حساب المتوسط الديمقراطي من البلدان ذات الكثافة السكانية القليلة

9. Maerz, S. F., Edgell, A. B., Wilson, M. C., Hellmeier, S., & Lindberg, S. I. (2023). Episodes of regime transformation. Journal of Peace Research, 0(0). https://doi.org/10.1177/00223433231168192

10. ومع ذلك، فإن هذا يعني أن بعض البلدان لا تُصنَّف على أنها دول استبدادية على الرغم من انخفاض درجاتها بشكل واضح. أحد الأمثلة على ذلك هو الولايات المتحدة في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين, وبعد نتائج الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة عام 2020محاولة إلغاء نتائج الانتخابات

الرئاسية في جورجيا, وتعامله مع الوثائق الحكومية السرية والمتعلقة بالدفاع الوطني وحيازتها, كذلك دوره وتحريضه على اقتحام مبنى الكابتول.

11. Nancy Bermeo,. 2016. On democratic backsliding. Journal of Democracy 27(1): 5-19. https://heinonline.org/HOL/LandingPage?handle=hein.journals/jnlodmcy27&div=4&id=&page

12. لقراءة المزيد حول انحسار الحقوق الديمقراطية في العالم :- https://ourworldindata.org/grapher/countries-that-are-democratizing-and-autocratizing

13. يمكن أيضًا تسمية النظام الهجين بالديمقراطية غير الليبرالية، أو الديمقراطية الجزئية، أو الديمقراطية الفارغة، أو الديمقراطية الموجهة. إنه نظام حكم، على الرغم من إجراء الانتخابات فيه، فإن المواطنين محرومون من المعرفة حول أنشطة أولئك الذين يمارسون السلطة الحقيقية؛ بسبب الافتقار إلى الحريات المدنية, وبالتالي فهو ليس " مجتمعًا مفتوحًا ". هناك العديد من البلدان " التي تم تصنيفها على أنها ليست "حرة" ولا "غير حرة"، بل على أنها "من المحتمل أن تكون حرة"، وتقع في مكان ما بين الأنظمة الديمقراطية وغير الديمقراطية ". وقد يكون هذا بسبب وجود دستور يحد من صلاحيات الحكومة، ولكن من هم في السلطة يتجاهلون حرياته، أو بسبب عدم وجود إطار دستوري قانوني مناسب للحريات, وتسمى الأنظمة الهجينة أيضًا بالأنظمة الأنوقراطية. وهذه الأنظمة فريدة من نوعها من حيث إنها ليست ديمقراطيات, وبدلًا من ذلك، فإن الأنظمة الأنوقراطية هي أنظمة دكتاتورية تتمتع بمؤسسة تشريعية ديمقراطية. إنهم يمتلكون مزيجًا من السمات الديمقراطية والاستبدادية التي يمكن أن تؤدي إلى زيادة الصراع داخل البلاد. يمكن أن تستمر هذه الأنواع من الأنظمة طالما أن النخبة الحاكمة تتجنب الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان, ولا تسرق الانتخابات أو تلغيها

14. يتم إدماج هذه الفئة من خلال تحديث أنظمة تعليمية أو مواد تربوية تنحسر مهمتها فقط بالتوعية السياسية وتعليم ممارسة العمل السياسي لدى هذه الأعمار من طلبة المدارس والمعاهد المرتبطة بوزارة التربية.

15. للمزيد عن ما بعد ثورات الربيع العربي:- عمر المختار بن عبدلاوي, ماذا بعد الربيع العربي "قراءة في الحاضر وأسئلة للمستقبل", المعهد العربي للبحوث والدراسات-نواة2021-.

دول وافلس:

د. ياسر علي خلف الصافي

دبلوماسي عراقي

البعثات الدبلوماسية

وظائفها وحصانات أعضائها

المقدمة

تـؤدي الدبلوماسـية دورًا مهمًّـا في بنـاء علاقـات طيبـة وقوية بيـن الـدول مـن أجـل تحقـقٍ فاعـلٍ في عمليـة تقريـب وجهـات النظـر, فـضلًا عـن تحقيـق مصالـح مشـتركة. إن إنجـاز ذلـك وتحققـه يتطلـب وجـود بعثـات دبلوماسـية دائمـة متبادلـة بيـن الـدول يكـون هدفهـا بنـاء علاقـات دبلوماسـية واقتصاديـة وعسـكرية وثقافيـة تخـدم الـدول, وتضـع في رأس جـدول أعمالهـا مهمـة تحقيـق المصالـح المشـتركة هـذه. مـن ثَـمّ فـإن هـذه البعثـات تقـوم بعملهـا الدبلوماسـي علـى وفـق إطـار قانونـي يحـدده القانـون الدولـي والاتفاقـات الدوليـة مـن بينهـا, وأكثرهـا حضـورًا, اتفاقيـة فيينـا للعلاقـات الدبلوماسـية لعـام 1961، واتفاقيـة فيينـا للعلاقـات القنصليـة لعـام 1963، إلـى جانـب قوانيـن داخليـة أخـرى هـي القوانيـن الداخليـة لجمهوريـة العـراق, وأهمـا قانـون العقوبـات العراقـي رقـم (111) لعـام 1969، ونظـام وزارة الخارجيـة رقـم (31) لعـام 1976، وقانـون وزارة الخارجيـة رقـم (36) لعـام 2013، وقانـون الخدمـة الخارجيـة العراقـي رقـم (45) لعـام 2008، التـي حـددت في مجموعهـا شـكل البعثـة الدبلوماسـية وأنواعهـا وطريقـة إنشـائها وإلغاءهـا إلـى جانـب تبيـان أنـواع الموظفيـن المكونيـن لهـا مـن رئيـس البعثـة حتـى أصغـر موظـفٍ فيهـا كالمسـتخدمين المحلييـن والخـدم الخصوصييـن الذيـن يعملـون لـدى المبعوثيـن الدبلوماسـيين، كمـا اهتمـت هـذه الاتفاقيـات والقوانيـن أيضًـا بتحديـد وظائـف البعثـات الدبلوماسـية ووضعـت لهـا قوانيـن وقواعـد محـددة لغـرض إنجـاح عملهـا وتحقيـق أهدافهـا في البلـد المسـتقبِل دونمـا مسـاس بالأمـن القومـي لهـذا البلـد أو تجـاوز حـدود الوظيفـة الدبلوماسـية التـي وُجِـدت مـن أجلهـا، كذلـك اهتمـت بتحديـد أنـواع الحصانـات التـي يتمتـع بهـا أعضـاء البعثـة الدبلوماسـية.

إن قيـام البعثـة الدبلوماسـية بعملهـا وأدائهـا وظائفهـا الدبلوماسـية يتطلـب وجـود مجموعـة موظفيـن دبلوماسـيين وإداريـين وفنييـن وغيرهـم مـن الموظفيـن المحلييـن الملحقيـن بالموظفيـن الأسـاس مـن أجـل تسـيير عمـل البعثـة ومنحهـا المرونـة الكافيـة لإتمـام مهامهـا. ولتحقيـق الفاعليـة في سَـير خَـط خدمـة البعثـة الدبلوماسـية فقـد اسـتدعى، ضـرورةً، توفيـر الحمايـة لهـا, فـضلًا عـن توفيـر الغطـاء القانونـي لموظفيهـا لغـرض التحـرك في سـاحة عملهـا دونمـا قيـود قـد تحـد حرياتهـم واسـتقلالهم وتذليـل الصعوبـات أمامهـم، لـذا فقـد مَنَحَـت اتفاقيـة فيينـا للعلاقـات الدبلوماسـية لعـام 1961 المبعوثيـن الدبلوماسـيين وأفـراد أسـرهم الملحقيـن بهـم مجموعـة حصانـات شـخصية وقضائيـة تسـاعدهم في أداء وظائفهـم بشـكلٍ مثالـي مـن دون مسـاسٍ أمـن الدولـة المُسـتقبِلة ومصالحهـا، وهـو ذات الأمـر الـذي عمـل بـه قانـون العقوبـات العراقـي رقـم (111) لعـام 1969 الـذي منـح الحصانـة الجنائيـة لأعضـاء البعثـات الدبلوماسـية العامليـن في العـراق.

تجـدر الإشـارة أيضًـا إلـى أن منـح الحصانـات هـذه لأعضـاء البعثـة الدبلوماسـية يكـون طـوال مـدّة عملهـم في الدولـة المُعتمَديـن لديهـا، ولا يمكـن التنـازل عنهـا بخاصـة الحصانـة الجنائيـة. وفي حـال ارتـكاب أي مـن أعضـاء البعثـة الدبلوماسـية أيّ جنايـةٍ في الدولـة المعتَمَـد فيهـا يتـم ترحيلـه إلـى بلـده الأصيـل مـن أجـل محاكمتـه أمـام القضـاء المحلـي هنـاك، وهـذا مـا نصـت عليـه اتفاقيـة فيينـا للعلاقـات الدبلوماسـية لعـام 1961 إلا أن الحصانـة المدنيـة والإداريـة يمكـن التنـازل عنهـا في حـدود مـا نصـت عليـه اتفاقيـة فيينـا للعلاقـات الدبلوماسـية.

وإذا كان ثمّـة قيـود تُفـرَض علـى أعضـاء البعثـة الدبلوماسـية في البلـد المُسـتضيف وبيـان آليـات تذليلهـا إن وُجِـدت، كذلـك دراسـة الحصانـات الدبلوماسـية الممنوحـة لأعضـاء البعثـة الدبلوماسـية وأسـرهم مـن الدبلوماسـيين وغيرهـم مـن أعضـاء البعثـة علـى وفـق نصـوص اتفاقيـة فيينـا للعلاقـات الدبلوماسـية لعـام 1961 مـع بيـان الأسـاس القانونـي لمنحهـا مـن طريـق إضـاءة موضـوع النظريـات المؤسِّسـة لمبـدأ التحصيـن (منـح الحصانـة).

والممارسـات الحديثـة لوظائـف البعثـات الدبلوماسـية في ظـل ثـورة الاتصـالات والمـواصلات المتطـورة التـي جعلـت

العالم قريةً صغيرة, فضلًا عن تقريب المسافات بين الدول وإحداث مرونة أكبر في سرعة تواصل الممثلين الدبلوماسيين فيما بينهم بما قاد فعليًّا إلى إنماء عمليات بناء علاقات دبلوماسية بشكلٍ متين.

وكذلك مناقشة موضوعات متنوعة على درجة من الأهمية وقضايا خطيرة شغلت العالم بأسره منها جائحة كورونا (Covid_19)، والحرب الدائرة بين روسيا وأوكرانيا وآثارها في وظائف البعثات الدبلوماسية، وبيان آلية عمل هذه البعثات على وفق ما حددته اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام ، مع الإشارة إلى دراسة وظيفة رعاية مصالح رعايا العراق التي قامت بها البعثات الدبلوماسية العراقية في كييف وبوخارست بداية الحرب الروسية الأوكرانية هذه.

والوقوف الجاد على أهم الاتفاقات الدولية والقوانين الداخلية (العراقية) التي تحكم سَير عمل البعثات الدبلوماسية وتحدد الوظائف التي تقوم بها، وما تمنحه هذه القوانين والاتفاقات من مساحة تسمح للبعثات بأداء وظائفها بالشكل المطلوب من دون مساسٍ بقوانين الدول المستضيفة وأنظمتها الداخلية. كذلك بيان الحصانات الممنوحة لأعضاء البعثة الدبلوماسية التي نصت عليها اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام1961، والأساس القانوني لهذه الحصانات الدبلوماسية بالإضافة إلى بيان أهم النظريات التي تناولت هذه الحصانات، وبيان طريقة التنازل عن الحصانة الدبلوماسية الممنوحة على وفق اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام1961 بشكل مفصل ودقيق.

وقد بات واضحًا في ظل تطور العلاقات الدبلوماسية الدولية وجود بعثات متبادلة بين الدول لغرض تحقيق مصالح مشتركة فيما بينها وإيجاد علاقات رصينة تحقق أكبر قدر ممكن من هذه المصالح، ولأجل ذلك تطرح جُملة استفهامات مركزية تؤسس في مجموعها إشكالية الدراسة إلا أن أهمها هي: وظائف البعثات الدبلوماسية وفق الاتفاقيات الدولية والقانون الداخلي العراقي, وهل إن هذه الوظائف محددة بعمل واحد أم تختلف باختلاف التمثيل الدبلوماسي؟ كذلك: ماهية حصانات

مَنَحَت اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 المبعوثين الدبلوماسيين وأفراد أسرهم الملحقين بهم مجموعة حصانات شخصية وقضائية تساعدهم في أداء وظائفهم بشكلٍ مثالي من دون مساسٍ أمن الدولة المُستقبِلة ومصالحها.

أعضاء البعثة الدبلوماسية، وما الأساس القانوني لها ومصدرها؟ وما أنواع الحصانات الدبلوماسية؟، وهل هناك فرق بين الحصانات الممنوحة للموظف الدبلوماسي عن غيره من الموظفين الإداريين والفنيين؟.

التعريف بالبعثات الدبلوماسية:

تُعَدُّ البعثة الدبلوماسية حلقة وصل بين الدول بشكلٍ دائم ومستمر, التي عرَّفها قانون الخدمة الخارجية العراقي رقم (45) لعام 2008 في المادة (1) الفقرة (تاسعًا) منه بوصفها: (السفارات المعتمدة لدى الدول، والممثليات لدى المنظمات الدولية والإقليمية، والقنصليات، وشُعَب رعاية المصالح).

وإن البعثة الدبلوماسية هي وحدة مستقلة بذاتها لها كيانها الخاص بمعزلٍ عن الموظفين الذين يمثلونها, تستمد قوتها ومركزها القانوني من تمثيلها لدولة مستقلة ذات سيادة على أرض دولة أخرى هي الدولة المُستقبِلة التي منحتها الإذن والموافقة

لمباشرة أعمالها على أرضها بناءً على اتفاق مسبق وشروط مُسبقة جرَت بين الدولة المعتمدة والدولة المستقبِلة أو المعتمدة لديها هذه البعثة. ويظهر هذا الاستقلال بشكلٍ واضح في مواد اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام1961 لا سيما المواد (23- 31- 35) التي أوضحت الحدود الفاصلة بين البعثة وأعضائها.

ويُعَدُّ إنشاء البعثات الدبلوماسية المتبادلة بين الدول المستقلة ذات السيادة حقًّا خاصًّا بها دون غيرها من الأفراد، تهدف بها إلى تحقيق إقامة علاقات دبلوماسية متبادلة مع الدول الأخرى شرط أن تتوافر مجموعة شروط يتم باكتمالها إنشاء البعثة الدبلوماسية. أما موضوع إلغاء البعثات الدبلوماسية المتبادلة مع الدول فإن ذلك يتحقق إذا طرأت أحداث أو ظروف ضاغطة تكون سببًا في إلغاء البعثات الدبلوماسية المتبادلة هذه.

وقد أشارت إلى هذا الموضوع اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 في المادة (2) منها التي نصت على أن: (تنشأ العلاقات الدبلوماسية بين الدول ...). أما نظام وزارة الخارجية العراقي رقم (31) لعام 1976 فقد أشار إلى طريقة إنشاء البعثة السياسية وإلغائها في المادة (43) منه التي نصت على أن: (تنشأ البعثة السياسية وتُلغى بقرار من رئيس الجمهورية بناءً على اقتراح من الوزير وتُعَدُّ الدولة أو الدول التي تعتمد لديها البعثة السياسية منطقة لأعمالها). أما المادة (45) من ذات النظام فقد أشارت إلى طريقة إنشاء البعثة القنصلية وإلغائها, إذ نصت على أن: (تنشأ البعثة القنصلية وتُلغى بقرار من رئيس الجمهورية بناءً على اقتراح من الوزير. أما منطقة أعمالها فتُحدَّد بقرار من الوزير).

كذلك فإن البعثات الدبلوماسية الدائمة والمتبادلة بين الدول تكون بشكل أساس نوعين هما: السفارات والمفوضيات؛ ثمّة أنواع أخرى من البعثات الدبلوماسية الدائمة أيضًا تختلف عن غيرها من أشكال السفارات

والمفوضيات الدائمة، فضلا عن مجموعة من المكاتب الفنية الملحقة بالسفارة والتابعة لوزارات أخرى، وكل نوع من هذه الأنواع له صفاته وشروطه. وإن تبادل البعثات الدبلوماسية الدائمة كالسفارات والمفوضيات يكون بين الدول فقط. أما الأنواع الأخرى من البعثات الدبلوماسية الدائمة فيتم تبادلها بين الدول والمنظمات والهيئات الدولية في أغلب الأحيان.

والبعثات الدبلوماسية تتكون بصورة عامة ورئيسة من رئيس البعثة سفيرًا كان أو قائمًا بالأعمال - قائم بالأعمال أصلي، أو قائم بالأعمال بالنيابة (مؤقّت)- بالإضافة إلى أعضاء طاقم البعثة. ويشمل اصطلاح أعضاء طاقم البعثة كُلًّا من: أعضاء الطاقم الدبلوماسي وطاقم الإداريين والفنيين وطاقم خدمة البعثة. أما اصطلاح أعضاء الطاقم الدبلوماسي فيقصد به: أعضاء البعثة من الدبلوماسيين حصرًا. وإن هذا التفريق الاصطلاحي أقرته اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961، إذ بيّنت من هم الأعضاء الذين تتكون منهم البعثة الدبلوماسية في المادة (1) الفقرة (ب - ج - د) التي نصت على أنه: (ب- اصطلاح "أعضاء البعثة" يشمل رئيس البعثة وأعضاء طاقم البعثة. ج ـ اصطلاح "أعضاء طاقم البعثة" يشمل أعضاء الطاقم الدبلوماسي وطاقم الإداريين والفنيين وطاقم خدمة البعثة. د- اصطلاح "أعضاء الطاقم الدبلوماسي" يشمل أعضاء طاقم البعثة الذين لهم الصفة الدبلوماسية). وهو ذات الأمر الذي أشار إليه نظام وزارة الخارجية العراقي رقم (31) لعام 1976 في المادة (44) منه التي نصت على أن: (تتكون البعثة السياسية من رئيس البعثة وهيئة الموظفين السياسيين والإداريين الذين يرأسهم).

وظائف البعثات الدبلوماسية :

حُدِّدت وظائف البعثات الدبلوماسية من خلال بيان الوظائف الدبلوماسية للبعثات على وفق اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961، إلى جانب تحديد الوظائف القنصلية للبعثات على وفق اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية لعام 1963. بالإضافة إلى بيان وظائف البعثات الدبلوماسية وأهداف وزارة الخارجية العراقية ووسائل تحقيقها على وفق القانون العراقي النافذ.

- الوظائف الدبلوماسية للبعثات على وفق اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961:

لم تَغفَل اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 عن الإشارة الصريحة إلى الوظائف الدبلوماسية الرئيسة التي تقوم بها البعثة الدبلوماسية في المادة (3) منها, إذ جاء في نصها: (تشمل أعمال البعثة الدبلوماسية ما يلي:

أ- تمثيل الدولة المعتمدة لدى الدولة المعتمد لديها.

ب- حماية مصالح الدولة المعتمدة, وكذلك مصالح رعاياها لدى الدولة المعتمد لديها في الحدود المقررة في القانون الدولي.

ج - التفاوض مع حكومة الدولة المعتمد لديها.

د- التعرف بكل الوسائل المشروعة على ظروف وتطور الأحداث في الدولة المعتمد لديها, وعمل التقارير عن ذلك لحكومة الدول المعتمدة.

هـ- تهيئة علاقات الصداقة وتنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية والعلمية بين الدولة المعتمدة والدولة المعتمد لديها.

و- لا يفسر أي نص من نصوص هذه الاتفاقية بأنه يحرم البعثة الدبلوماسية من مباشرة الأعمال القنصلية.

إذن، وبناءً على ما ورد في نص المادة (3) من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961, فإن الوظائف الدبلوماسية التي تقوم بها البعثة الدبلوماسيّة هي: التمثيل، وحماية مصالح الدولة المعتمدة ورعاياها، والتفاوض، ومتابعة الأحداث في الدولة المعتمد لديها، وأخيرًا بناء الصداقات, وتنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية والعلمية.

- الوظائف القنصلية للبعثات على وفق اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية لعام 1963:

الممارسات الحديثة لوظائف البعثات الدبلوماسية في ظل ثورة الاتصالات والمواصلات جعلت العالم قريةً صغيرة ساهمت في إحداث مرونة أكبر في سرعة تواصل الممثلين الدبلوماسيين فيما بينهم.

أشارت اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية لعام 1963 صراحةً إلى الوظائف القنصلية الرئيسة التي تقوم بها البعثة الدبلوماسية في المادة (3) منها التي نصت على أن: (تمارس الأعمال القنصلية بمعرفة بعثات قنصلية, ويمكن أيضًا ممارستها بواسطة بعثات دبلوماسية تطبيقًا لأحكام هذه الاتفاقية). ولم تَغفَل اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية لعام 1963, عن الإشارة إلى الوظائف القنصلية التي تمارسها البعثة التي حددتها المادة (5) منها والتي نصت على أن: (الوظائف القنصلية تشمل:-

أ: حماية مصالح الدولة الموفدة ورعاياها- أفرادًا كانوا أو هيئات في الدولة الموفد إليها وفي حدود ما يقضي به القانون الدولي.

ب: العمل على تنمية العلاقات التجارية والاقتصادية والثقافية والعلمية بين الدولة الموفدة والدولة الموفد إليها, وكذا توثيق علاقات الصداقة بينهما بأي شكل وفقًا لنصوص هذه الاتفاقية.

ج: الاستعلام بجميع الطرق المشروعة عن ظروف وتطور الحياة التجارية والاقتصادية والثقافية والعلمية في الدولة الموفد إليها, وإرسال تقارير عن ذلك إلى حكومة الدولة الموفدة, وإعطاء المعلومات للأشخاص المعنية.

د: إصدار جوازات ووثائق السفر لرعايا الدولة الموفدة, ومنح التأشيرات أو المستندات اللازمة للأشخاص الذين يرغبون في السفر إلى الدولة الموفدة .

هـ: تقديم العون والمساعدة لرعايا الدولة الموفدة أفرادًا كانوا أو هيئات.

و: القيام بأعمال التوثيق والأحوال المدنية وممارسة الأعمال المشابهة وبعض الأعمال الأخرى ذات الطابع الإداري، ما لم يتعارض مع قوانين ولوائح الدولة الموفد إليها.

ز: حماية مصالح رعايا الدولة الموفدة – أفرادًا أو هيئات في مسائل التركات في أراضي الدولة الموفد إليها وطبقًا لقوانين ولوائح هذه الدولة.

ح: حماية مصالح القُصَّر وناقصي الأهلية من رعايا الدولة الموفدة، في حدود قوانين الدولة الموفد إليها ولوائحها وخصوصًا في حالة ما ينبغي إقامة الوصاية أو الحجز عليهم.

ط: تمثيل رعايا الدولة الموفدة، أو اتخاذ التدابير اللازمة لضمان تمثيلهم التمثيل المناسب أمام المحاكم والسلطات الأخرى في الدولة الموفد إليها لطلب اتخاذ الإجراءات المؤقتة – طبقًا لقوانين ولوائح هذه الدولة – لصيانة حقوق ومصالح هؤلاء الرعايا في حالة عدم استطاعتهم بسبب غيابهم أو لأي سبب آخر والدفاع في الوقت المناسب عن حقوقهم ومصالحهم، وذلك مع مراعاة التقاليد والإجراءات المتبعة في الدولة الموفد إليها.

ي: تسليم الأوراق القضائية وغير القضائية والقيام بالإنابات القضائية وفقًا للاتفاقيات الدولية القائمة أو في حالة عدم وجود مثل تلك الاتفاقيات بأي طريقة تتمشى مع قوانين ولوائح دولة المقر.

ك: ممارسة حقوق الرقابة والتفتيش المنصوص عليها في قوانين ولوائح الدولة الموفدة على سفن الملاحة البحرية والنهرية التابعة لجنسية الدولة الموفدة, وعلى الطائرات المسجلة في هذه الدولة وعلى طاقم كل منها.

ل: تقديم المساعدة للسفن والطائرات المذكورة في الفقرة (ك) من هذه المادة وإلى طاقمها, وتلقي البلاغات عن سفرها وفحص أوراقها والتأشير عليها, وإجراء التحقيق بشأن الأحداث الطارئة في أثناء رحلتها دون الإخلال بحقوق سلطات الدولة الموفد إليها, وتسوية جميع أنواع الخلافات الناشئة بين القبطان والضباط والبحارة بقدر ما تسمح بذلك قوانين ولوائح الدولة الموفدة.

م: ممارسة جميع الأعمال الأخرى التي توكل إلى بعثة قنصلية بمعرفة الدولة الموفدة والتي لا تحظرها قوانين ولوائح الدولة الموفد إليها أو التي لا تعترض عليها هذه الدولة، أو التي ورد ذكرها في الاتفاقات الدولية المبرمة بين الدولة الموفدة والدولة الموفد إليها).

ويُلاحَظ من نص المادة (5) أن الوظائف القنصلية للبعثة تتركز على تقديم الخدمات القنصلية لرعايا الدولة وجاليتها المنتشرة في الخارج وتسهيل منحهم الأوراق الرسمية والجوازات الدائمة وبيانات الولادة لأبنائهم المولودين في الخارج، بالإضافة إلى منح المتوفين منهم شهادات وفاة وتسهيل نقل جثامينهم لغرض دفنهم في بلدهم، كذلك تسهيل عودة مواطني البعثة الذين تقطعت بهم السبل أو ممن فقدوا جوازاتهم إلى بلدهم الأصلي من طريق منحهم جوازات مؤقتة أو كما يُطلَق عليها تسمية "جوازات مرور" لغرض تسهيل عودة آمنة إلى بلدهم.

- وظائف البعثات الدبلوماسية العراقية على وفق نظام وزارة الخارجية العراقي رقم (31) لعام 1976 النافذ:

أشار نظام وزارة الخارجية العراقي رقم (31) لعام 1976 إلى نوعين من الوظائف التي تقوم بها البعثات الدبلوماسية العراقية في الخارج وهي: الوظائف السياسية، والوظائف القنصلية.

> غاية وزارة الخارجية العراقية في سعيها إلى أهداف تكمن في بناء علاقات متينة وقوية على المستوى العربي والدولي وإبراز دور العراق في جميع المحافل الدولية وإثبات وجوده الفاعل.

وظائف البعثات السياسية:

تقوم البعثات السياسية العراقية بمجموعة وظائف أشار إليها نظام وزارة الخارجية رقم (31) لعام 1976 في المادة (48) منه التي نصت على أن: (تكون وظائف البعثة السياسية كما يلي:

أولًا – رعاية مصالح القطر العراقي والأمة العربية, والسعي لتوطيد العلاقات الحسنة مع حكومة الدولة المعتمدة لديها وهي واسطة الاتصالات بين تلك الحكومة والحكومة العراقية.

ثانيًا– متابعة تنفيذ المعاهدات والاتفاقيات والبروتوكولات المعقودة بين الجمهورية العراقية والدولة التي تعمل فيها البعثة السياسية.

ثالثًا – الاتصال بالأوساط الرسمية وغير الرسمية والشعبية والإعلامية في الدولة المعتمدة لديها البعثة؛ لتنويرها بسياسة العراق بالشكل الذي يؤمن مصالح الجمهورية العراقية خاصة والأمة العربية عامة .

رابعًا – بذل المساعدة للرعايا العراقيين في منطقة أعمالها, وصرف الجهد لمنع حدوث الخلاف فيما بينهم وبين سكان الدولة المعتمدة فيها البعثة, وأن تسعى لتسوية الخلاف رضاء في حالة وقوعه.

خامسًا – التوسط لدى المراجع الرسمية المختصة عند إصابة الرعايا العراقيين أو عندما يحتمل أن يصابوا بأضرار في الأنفس والأموال للمحافظة على مصالحهم وحقوقهم وامتيازاتهم.

سادسًا – السعي المتواصل إلى تنمية تجارة العراق, وتحسين وتوطيد العلاقات التجارية مع الدولة المعتمدة لديها البعثة.

سابعًا – تزويد المراجع الرسمية المختصة في العراق بالمعلومات السياسية والاقتصادية والثقافية والتجارية.

ثامنًا – أي مهمة أخرى تطلب الوزارة منها القيام بها.

بناءً على كل ما ورد، يُمكن القول قطعًا إن وظائف البعثات السياسية المنصوص عليها في المادة (48) من نظام وزارة الخارجية العراقي رقم (31) لعام 1976 تتماثل إلى حد كبير مع الوظائف الدبلوماسية للبعثات الدبلوماسية المنصوص عليها في المادة (3) من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961.

- وظائف البعثات القنصلية:

تقوم البعثات الدبلوماسية العراقية بمجموعة وظائف قنصلية أشار إليها نظام وزارة الخارجية العراقي رقم (31) لعام 1976 في المادة (49) منه التي نصت على أن: (تقوم البعثة القنصلية بما يلي:

أولًا- إصدار جوازات ووثائق السفر لمواطني الجمهورية العراقية فضلًا عن السمات والوثائق المناسبة للأشخاص الراغبين في السفر إلى الجمهورية العراقية.

ثانيًا- مساعدة مواطني الجمهورية العراقية سواء أكانوا أفرادًا أم مؤسسات ذات شخصية معنوية.

ثالثًا- العمل بصفة كاتب عدل أو مسجل الأحوال المدنية وبصفات مماثلة والاضطلاع ببعض الأعمال ذات الطابع الإداري.

رابعًا- الحفاظ على مصالح مواطني جمهورية العراق سواءً منهم الأفراد أو المؤسسات ذات الشخصية المعنوية في حالات التوارث في إقليم الدولة التي تعمل فيها.

خامسًا- الحفاظ على مصالح القاصرين والأشخاص الآخرين غير ذوي الأهلية الكاملة الذين هم من مواطني جمهورية العراق لا سيما في الحالات التي تتطلب قيمومة أو وصاية بالنسبة لهؤلاء الأشخاص.

سادسًا- تمثيل مواطني جمهورية العراق أو تدبير تمثيل مناسب لهم أمام محاكم الدولة التي تعمل فيها وسلطاتها الأخرى لغرض القيام بتأمين الإجراءات الاحتياطية للحفاظ على مصالح وحقوق هؤلاء المواطنين في الحالات التي يتعذر فيها عليهم, بسبب الغياب أو لأي سبب آخر, أن يتولوا في الوقت المناسب الدفاع عن حقوقهم ومصالحهم.

سابعًا- إيصال الأوراق القضائية والخارجة عن نطاق القضاء أو تنفيذ كتب الاستنابة الخاصة باستجواب الشهود وأخذ إفاداتهم نيابة عن محاكم الدولة التي تعمل فيها.

ثامنًا- ممارسة حقوق الإشراف والتفتيش المنصوص عليها في قوانين وأنظمة جمهورية العراق فيما يتعلق بالسفن التي تحمل جنسية جمهورية العراق, وبالطائرات المسجلة فيها وتقديم المساعدة لهذه السفن والطائرات ولنوتيتها, وأخذ البيانات المتعلقة برحلاتها وفحص أختام أوراقها والتحقيق في أي حوادث وقعت في أثنائها, وحسم ما قد يقع من منازعات بين نوتيتها.

تاسعًا- القيام بأي أعمال أخرى قد تعهد إليها من وزارة الخارجية.

على ما تمّ عرضه في أعلاه، يمكن الإشارة إلى أن وظائف البعثة القنصلية المنصوص عليها في المادة (49) من نظام وزارة الخارجية رقم (31) لعام 1976 العراقي تقترب إلى حد كبير مع الوظائف القنصلية للبعثات الدبلوماسية المنصوص عليها في المادة (5) من اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية لعام 1963.

- أهداف وزارة الخارجية العراقية, ووسائل تحقيقها على وفق قانون وزارة الخارجية رقم (36) لعام 2013:

أشار قانون وزارة الخارجية العراقي رقم (36) لعام 2013 إلى أهداف ترغب الوزارة في تحقيقها, وذلك في المادة (2) من الفصل الأول منه التي نصت على أنه: (تهدف الوزارة إلى ما يأتي:

أولًا- تعزيز وتطوير العلاقات مع الدول العربية والدول المجاورة ودول العالم على أساس الاحترام المتبادل, وعدم التدخل في الشؤون الداخلية.

ثانيًا- تنشيط دور العراق في المنظمات والمؤتمرات الدولية بما يخدم مصالح العراق ويعزز الأمن والسلم الدوليين.

ثالثًا- تعزيز التعاون الاقتصادي والتجاري والفني والعلمي وتشجيع الاستثمار مع الدول والمنظمات الدولية المتخصصة.

رابعًا- الدفاع عن سياسة جمهورية العراق في المجالات المتنوعة.

خامسًا- حماية مصالح العراق السياسية والاجتماعية ورعاياه في الخارج.

يتبيّن من ذلك أن غاية وزارة الخارجية العراقية في سعيها إلى أهداف تكمن في بناء علاقات متينة وقوية على المستوى العربي والدولي، وإبراز دور العراق في جميع المحافل الدولية, وإثبات وجوده الفاعل في جميع المنظمات والمؤتمرات الإقليمية والدولية لغرض تحقيق مصالح العراق العليا بجميع أشكالها، فضلًا عن حماية رعايا العراق في كل زمان ومكان في العالم، وأخيرًا الدفاع عن سياسته في المجالات كافة.

أما وسائل تحقيق أهداف وزارة الخارجية العراقية, فقد حددت المادة (3) من قانون وزارة الخارجية العراقي رقم (36) لعام 2013 مجموعة وسائل تساعدها في تحقيق أهدافها، جاء في نصها أنه: (تسعى الوزارة لتحقيق أهدافها بالوسائل الآتية:

أولًا- إدارة عمل البعثات العراقية لدى الدول العربية والأجنبية والمنظمات الدولية والإشراف عليها.

ثانيًا- تنسيق الزيارات التي تقوم بها الوفود العراقية الرسمية للدول العربية والأجنبية, وبالعكس لتعزيز وترسيخ العلاقات القائمة فيما بينها.

ثالثًا- التنسيق مع الوزارات ذوات العلاقة والجهات غير المرتبطة بوزارة في شأن متابعة شؤون المؤتمرات وأعمال المنظمات الدولية العالمية والإقليمية.

رابعًا- التمثيل الدبلوماسي والقنصلي مع الدول العربية والأجنبية والمنظمات الدولية.

خامسًا- الإعداد والمشاركة في المؤتمرات والندوات والدورات التدريبية في مختلف المجالات ذوات الصلة بعمل الوزارة.

سادسًا- التنسيق مع الوزارات والجهات غير المرتبطة بوزارة في شأن القضايا الدولية ذوات الاهتمام المشترك وخصوصًا الحدود الدولية المشتركة والأنهار.

- حصانات أعضاء البعثة الدبلوماسية:

على وفق اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 التي أشارت إلى الحصانة "بالحُرمة" في المادة (29) منها مؤكدة على وجوب احترام المبعوث الدبلوماسي ومنحه الحصانة من المحاسبة والمساءلة القانونية من الدولة المعتمد لديها, فضلًا عن توفير الحماية اللازمة له كما جاء في نصها أن: (لشخص الممثل الدبلوماسي حرمة..). فيما ترى وزارة الخارجية الأمريكية أن الحصانة الدبلوماسية هي: مبدأ من مبادئ القانون الدولي لا يخضع بموجبه بعض المسؤولين الحكوميين الأجانب للاختصاص القضائي للمحاكم المحلية والسلطات الأخرى في أنشطتهم الرسمية، وإلى حد كبير، لأنشطتهم الشخصية. ومن ثم فإن الحصانة الدبلوماسية هي نوع من الحماية التي تمنح للمبعوث الدبلوماسي والتي تضمن له الحصانة الشخصية وعدم الملاحقة القانونية والإعفاء من القضاء الجنائي والمدني والإداري.

ويتمتع الممثل الدبلوماسي في البعثة سواءً أكان رئيسًا لها أو أحد أعضائها الدبلوماسيين بالحصانات الدبلوماسية بمختلف أنواعها, وقد أشارت إلى ذلك اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية في المادة (29) منها التي جاء فيها: (لشخص الممثل الدبلوماسي حرمة – فلا يجوز بأي شكل القبض عليه أو حجزه – وعلى الدولة المعتمد لديها أن تعامله بالاحترام اللازم له,

> ضرورة تشجيع البعثات الدبلوماسية على استخدام وسائل الاتصال الحديثة بشكل أوسع من أجل إتمام وظائفها الدبلوماسية بسرعة وسهولة.

وعليها أن تتخذ كافة الوسائل المعقولة لمنع الاعتداء على شخصه أو على حريته أو على اعتباره).

وهو الأمر نفسه الذي أشارت إليه اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية في الفقرة (1) من المادة (31) منها التي نصت على أن: (يتمتع الممثل الدبلوماسي بالحصانة القضائية الجنائية في الدولة المعتمد لديها, ويتمتع أيضًا بالحصانة القضائية المدنية والإدارية...).

كذلك يتمتع أعضاء الطاقم الإداري والطاقم الفني وأعضاء أسرهم الذين يعيشون معهم في المسكن نفسه - شرط ألا يكونوا من رعايا الدولة المعتمد لديها أو أن تكون إقامتهم بشكلٍ دائم في أراضيها- بالحصانات الممنوحة للمبعوث الدبلوماسي باستثناء الحصانة في عدم الخضوع القضائي للاختصاص المدني أو الإداري للدولة المعتمدين لديها، الوارد ذكرها في الفقرة (1) من المادة (31) من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية (المشار إليها في أعلاه) في التصرفات الخارجة عن نطاق أعمالهم الرسمية. كذلك تم استثناؤهم من بعض الامتيازات الممنوحة للممثل الدبلوماسي وأسرته والمنصوص عليها في المادة (36) من الاتفاقية[1].

ويبدأ تمتع كل شخص من أعضاء البعثة بالحصانات الدبلوماسية المقررة له في اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية من تأريخ دخوله أراضي الدولة المعتمد لديها وهو ما نصت عليه الفقرة الأولى المادة (39) من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961. وتنتهي الحصانات الدبلوماسية الممنوحة إلى أعضاء البعثة الدبلوماسية بمجرد انتهاء مهمة الشخص الذي يتمتع بهذه الحصانات ومغادرته الدولة المعتمد لديها أو عند انتهاء المهلة المعقولة التي تمنح له لهذا السبب، حسبما نصت عليه الفقرة الثانية من المادة (39) من الاتفاقية نفسها. وتستند الحصانات الدبلوماسية في وجودها إلى مجموعة مصادر قانونية، إلى جانب وجود أساس قانوني يحكمها وينظمها.

ويتمتع أعضاء البعثة الدبلوماسية بأنواع مختلفة من الحصانات في الدولة المعتمدين لديها في أثناء ممارستهم عملهم فيها، هي: الحصانة الشخصية التي أشارت إليها المادة (29) من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية التي جاء فيها أن: (لشخص الممثل الدبلوماسي حرمة، فلا يجوز بأي شكل القبض عليه أو حجزه، وعلى الدولة المعتمد لديها أن تعامله بالاحترام اللازم له، وعليها أن تتخذ كافة الوسائل المعقولة لمنع الاعتداء على شخصه أو على حريته أو على اعتباره). بالإضافة إلى الحصانة القضائية بأنواعها التي نصت عليها اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية في الفقرة (1) من المادة (31) منها على أن: (يتمتع الممثل الدبلوماسي بالحصانة القضائية الجنائية في الدولة المعتمد لديها، ويتمتع أيضًا بالحصانة القضائية المدنية والإدارية...).

قد أشارت اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 صراحة إلى إمكانية تنازل المبعوث عن الحصانة في المسائل المدنية والإدارية فقط, وسكتت عن المسائل الجنائية, وإن هذا السكوت ما هو إلا دليل على عدم أحقية المبعوث الدبلوماسي في التنازل عن الحصانة الجنائية. وقد أكدت اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية وجوب أن يكون التنازل عن الحصانة صريحًا, وهذا ما نصت عليه المادة (32) من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية التي أكدت أن: (للدولة المعتمدة أن تتنازل عن الحصانة القضائية عن ممثليها

الدبلوماسيين وعن الأشخاص الذين يتمتعون بالحصانة بمقتضى المادة (37) يجب أن يكون التنازل صريحًا).

إن الهدف الأساس من منح هذه الأنواع من الحصانات للمبعوث الدبلوماسي هو لحمايته وتمكينه من أداء مهامه بالشكل الأمثل وبصورة كاملة وصحيحة من دون أن يكون هناك أي ضغط خارجي يؤثر في عمله، أيضًا لضمان تحققٍ فاعل للأهداف التي جرى إرساله من أجلها من دون القيام بأي عمل يخالف القانون الدولي والداخلي للبلد المعتمد لديه وفي نطاق ما مسموح له به وحسب الاتفاقيات الدولية النافذة التي تكون دولته التي يمثلونها أحد الأطراف الموقعين عليها.

> ترى وزارة الخارجية الأمريكية أن الحصانة الدبلوماسية بكونهل مبدأ من مبادئ القانون الدولي لا يخضع بموجبه بعض المسؤولين الحكوميين الأجانب للاختصاص القضائي للمحاكم المحلية والسلطات الأخرى.

الملخص :

تُعَدُّ البعثات الدبلوماسية هي الممثل الرسمي والوحيد للدول في عواصم الدول الأخرى ومدنها، ولا يمكن لأي دولة أن تُقيم علاقات دبلوماسية مع غيرها من الدول إلا من طريق البعثة الدبلوماسية. أيضًا فإن البعثة الدبلوماسية تتمثل في مجموعة أشخاص مُحددين ومنحدرين من الدولة نفسها يقيمون في بلد أجنبي آخر - البلد المُستقبِل للبعثة - إقامةً تمتد سنوات. وإن البعثة الدبلوماسية تتميز بصفات عديدة تكون سببًا في تحديد ملامحها وحقوقها وواجباتها وطريقة عملها. وإن البعثة الدبلوماسية أيضًا تُشكّل وحدةً مستقلةً بذاتها لها كيانها الخاص بمعزلٍ عن الموظفين الذين يمثلونها, تستمد قوتها ومركزها القانوني من تمثيلها لدولة مستقلة ذات سيادة على أرض دولة أخرى هي الدولة المُستقبِلة التي منحتها الإذن والموافقة لمباشرة أعمالها على أرضها بناءً على اتفاق مشروط مُسبَق جرى بين الدولة المُعتمِدة والدولة المُعتمِدة لديها البعثة. بالإضافة إلى أن إنشاء البعثات الدبلوماسية وإلغاءها يكون من حق الدول وحدها دون غيرها من الأفراد, وأن السفارات والمفوضيات تُشكّل أهم أنواع البعثات الدبلوماسية الدائمة، فضلًا عن وجود أنواع أخرى من البعثات.

كذلك فإن البعثات الدبلوماسية تتكون من رئيس البعثة وأعضاء طاقم البعثة, ويشمل اصطلاح أعضاء طاقم البعثة: أعضاء الطاقم الدبلوماسي، وطاقم الإداريين والفنيين، وطاقم خدمة البعثة. وتنقسم طبقة رؤساء البعثة الدبلوماسية على ثلاث طبقات، وأن الفرق بينهم - مع اختلاف درجاتهم - لا يترتب عليه أي أثر دبلوماسي إلا بما يتعلق بموضوع الأسبقية.

إن وظائف البعثات الدبلوماسية تنقسم على قسمين هي: الوظائف الدبلوماسية على وفق اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961، والوظائف القنصلية على وفق اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية لعام 1963، إضافة إلى مجموعة وظائف نص عليها نظام وزارة الخارجية العراقي رقم (31) لعام 1976 تشبه إلى حدٍّ كبير الوظائف المنصوص عليها في الاتفاقيتين المذكورتين أعلاه.

أما بالنسبة للحصانة الدبلوماسية الممنوحة للمبعوث الدبلوماسي فهي نوعٌ من الحماية التي تضمن له الحصانة الشخصية، وعدم الملاحقة القانونية، والإعفاء من القضاء الجنائي والمدني والإداري. وإن الحصانات الدبلوماسية تبدأ من تأريخ دخول المبعوث الدبلوماسي للدولة المُعتَمَد لديها ومباشرة أعماله أو

من تأريخ تبليغ وزارة الخارجية أو أي وزارة أخرى مختصة بذلك. وتنتهي هذه الحصانات من تأريخ انتهاء عمل المبعوث الدبلوماسي ومغادرة أراضي الدولة المعتمد لديها, وتختلف الحصانات الدبلوماسية الممنوحة لأعضاء البعثة الدبلوماسية من الدبلوماسيين وأُسرهم عن الحصانات الممنوحة لأعضاء البعثة من الإداريين والفنيين وأسرهم. وتنقسم الحصانات الدبلوماسية إلى نوعين هما الحصانة الشخصية، والحصانة القضائية التي بدورها تنقسم إلى نوعين هما الحصانة الجنائية والحصانة المدنية والإدارية, ولا يمكن التنازل عن الحصانة الجنائية، أما غيرها من الحصانات المدنية والإدارية فيمكن التنازل عنها.

ومن خلال دراستنا لموضوع "البعثات الدبلوماسية وظائفها وحصانات أعضائها" وجدنا أنه من الضرورة حث البعثات الدبلوماسية على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول المُعتمدة لديها، والقيام بوظائفها دون المساس بالأمن القومي لهذه الدول، وعدم استغلال هذه الوظائف للتجسس على الدول المعتمدة لديها.

كذلك تشجيع البعثات الدبلوماسية على استخدام وسائل الاتصال الحديثة بشكل أوسع من أجل إتمام وظائفها الدبلوماسية بسرعة وسهولة, وتحقيق أكبر قدر ممكن من المصالح التي تسعى البعثات إلى تحقيقها. بالإضافة إلى أن استخدام هذه الوسائل يساعد على سرعة الاتصال وسهولته بين البعثة والدولة التي تمثلها، وبينها وبين حكومة الدولة المعتمدة لديها، كذلك بينها وبين مواطنيها في الدولة المُعتمدة لديها البعثة من أجل رعاية مصالحهم وشؤونهم الخاصة. مع تأكيد وجوب فتح أقسام جديدة ومستقلة في البعثات الدبلوماسية تهتم بالدبلوماسية الرقمية التي تقوم بنشر السياسة العامة للدولة التي تمثلها البعثة؛ لتكون وسيلة فاعلة للتواصل مع أبناء الجالية ومواطني الدولة المُعتمدة لديها البعثة.

إضافة إلى ما تقدم فإننا نحث الدول على السعي بشكلٍ جاد إلى إعادة النظر بموضوعة (منح الحصانة القضائية الجنائية إلى المبعوث الدبلوماسي) المنصوص عليها في اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961؛ لغرض إيجاد صيغة جديدة لها تمنع بعض الدول من استغلالها للقيام بأعمال انتقامية ضد معارضيها في الخارج وإفلات المنفذين من العقاب بسبب هذه الحصانة, ومن ثم تجريد الدول التي تقع فيها هذه الأعمال من إخضاع (الدبلوماسيين المحصنين) لقضائها بما يقود إلى عدم محاكمتهم من قِبَل قضاء الدول التي يمثلونها أيضًا.

---

1 - تنص المادة (36) على أنه : (ومع تطبيق النصوص التشريعية والتعليمات التي تستطيع وضعها – تمنح الدولة المعتمد لديها الإدخال والإعفاء من الرسوم الجمركية ومن العوائد والرسوم الأخرى مع استثناء رسوم التخزين والنقل والمصاريف المختلفة الناتجة عن الخدمات المماثلة عما يلي: الأشياء الواردة للاستعمال الرسمي للبعثة. الأشياء الواردة للاستعمال الشخصي للممثل الدبلوماسي أو لأعضاء أسرته الذين يعيشون معه – وتدخل فيها الأصناف المعدة لإقامته. ويعفي الممثل الدبلوماسي من تفتيش أمتعته الشخصية – إلا إذا وجدت أسباب قوية تدعو إلى الاعتقاد بأنها تحوي أشياء لا تمنح عنها الإعفاءات المذكورة في البند (1) من هذه المادة أو أصنافًا محظور استيرادها أو تصديرها بمقتضى التشريع أو تكون خاضعة لتعليمات الحجر الصحي للدولة المعتمد لديها – وفي هذه الحالة لا يجوز إجراء الكشف إلا بحضور الممثل الدبلوماسي أو من ينتدبه). المادة (36) من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961.

دول وقضايا:

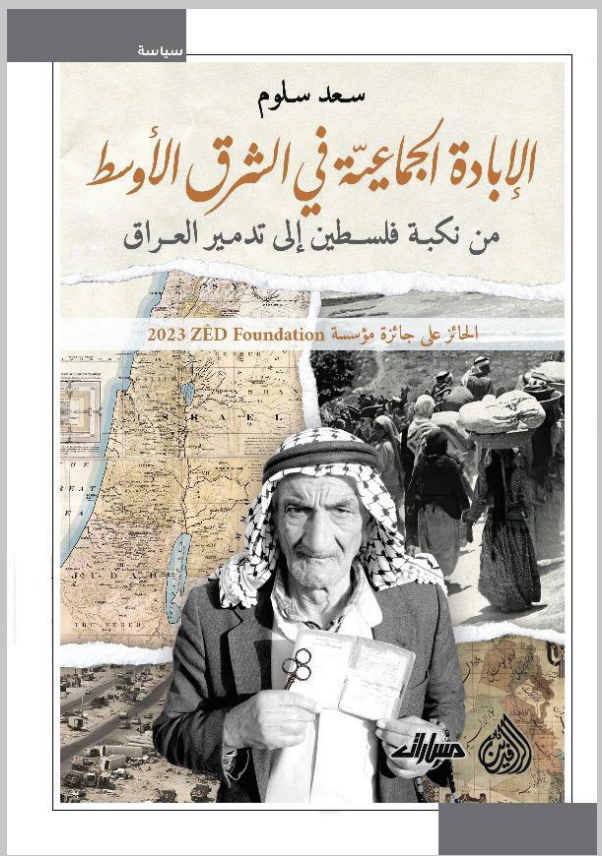

الإبادة الجماعية في الشرق الأوسط

(من نكبة فلسطين إلى تدمير العراق)

المؤلف: سعد سلوم

عرض: وحدة الأبحاث والدراسات في المعهد العراقي للحوار

يُعَدُّ هذا الكتاب المحاولة العربية الأولى لإعادة كتابة التاريخ العالمي للإبادات الجماعية، بحيث تُدرَج فيه حالتا فلسطين والعراق, وهي جزء من سلسلة يشرف عليها المؤلف منذ عام 2015 تحت عنوان (مائة عام من الإبادة الجماعية), صدر منها 6 مجلدات.

تتكون الدراسة من مدخل تحليلي وستة فصول، يحاول من خلالها المؤلف نقد وتفكيك تعريف اتفاقية منع الإبادة الجماعية لعام 1948، والرجوع إلى المفهوم الأصلي لمخترع مصطلح Genocide الفقيه البولندي «رفائيل لمكين» في كتابه (حكم المحور لأوروبا المحتلة), على نحو يشجع على إعادة تقييم شاملة للأحداث غير المرئية أو المُتجاهَلة أو المنسية في الشرق الأوسط، في كل من فلسطين والعراق.

في مدخل الدراسة المعنون (الاستخدام السياسي للإبادة الجماعية في العلاقات الدولية) يشير المؤلف إلى أن العديد من عمليات الإبادة الجماعية التي وقعت خلال القرون الماضية أو على الأقل خلال سنوات القرن العشرين ما تزال تُذكَّر وتُحيى في جميع أنحاء العالم، لكن تم التغاضي عن بعضها في كتب التاريخ، مع أنها موجودة الآن وما تزال حية إلى حد كبير في الذكريات الجماعية للمجتمعات التي واجهتها, وهذا يدفع للتساؤل: لماذا يتم تذكر بعض عمليات الإبادة الجماعية بشكل بارز بينما يتم تجاهل أو إخفاء أو إنكار بعضها الآخر؟ هل تكشف هذه الدينامية مركزية غربية، وتفضح التحيزات المتأصلة، وطرق المعرفة وعلاقتها بالسلطة، وأنماط التعريف وحدود الظاهرة، والافتراضات حول الحقيقة، وأخيرًا، عمليات التذكر والنسيان؟, ثم يُطرَح السؤال الأساس لهذا الكتاب: لماذا لا تُعَدُّ حالة فلسطين (النكبة) وما تبعها من جرائم مستمرة، وحالة العراق الذي تعرض لتدمير مستمر منذ عام 1991، ضمن تاريخ حالات التدمير والإبادات الجماعية؟

الإجابة عن السؤال الأساس للكتاب تدفع المؤلف لخوض أهمية دراسة الذاكرة والتذكر، والتعرف على عمليات النسيان العامة ودراستها، وتصبح الذاكرة الجماعية أداة مهمة للتحليل. ومع ذلك، فإن الكتاب يجري عملية قلب للسؤال، ليس عما تم ترسيخه في الذاكرة الجماعية، بل عما تم نسيانه على نحو يصبح فيه كاشفًا لعلميات التلاعب والتحيز وممارسة هياكل السلطة وكتابة التاريخ من وجهة نظر المنتصر، أو ما يطلق عليه المؤلف: ثلاثية الدكتاتورية والمركزية الغربية وبراديغم الهولوكوست.

ويكرس الكتاب جانبًا كبيرًا منه لتحليل (الإبادة الجماعية في فلسطين), ويحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية: هل يمكن عدّ النكبة إبادة جماعية بوصفها تدميرًا للمجتمع الفلسطيني عام 1948؟، وهل يمكن عدّ الحركة الصهيونية حركة استعمارية استيطانية ارتكبت تطهيرًا عرقيًّا في فلسطين خلال تأسيسها الدولة اليهودية، وما تزال تُرتكَب هذه الجريمة تجاه الشعب الفلسطيني في الوقت الراهن؟ لماذا يصر الكيان على إنكار النكبة وعدم تحمل مسؤولية وعواقب التطهير العرقي للفلسطينيين؟

ويفكك الكتاب مجموعة من الأساطير التي تقوم عليها الرواية الصهيونية, مثل أسطورة «حرب الاستقلال» التي احتلت مكانة مركزية في الثقافة السياسية الصهيونية،

بوصفها أسطورة مناسبة تعفي الكيان من فكرة قيامها على أنقاض الوجود العربي في فلسطين، وأنها موجودة على وجه التحديد بفضل المأساة الفلسطينية. هذه الأسطورة تضع المسؤولية الكاملة للنكبة على العرب أنفسهم وعلى الفلسطينيين، وتبرر الرفض المستمر لكل حكومة صهيونية لتحمل أي لوم على هذه المأساة.

ويستعين الكتاب بأعمال المؤرخين الجدد لتفكيك هذه الأساطير ودحضها للنسخة الرسمية للتاريخ، ومن أبرزهم: بني موريس, وإيلان بابي, وآفي شلايم, وسمحا فلابان، وشلومو ساند, وتوم سيغف, وهيلل كوهين, وآخرون. وبحسب المؤلف، فإن عام 1988 يمثل نقطة تحول كبيرة، ففيه نُشِرت النصوص الأولى التي تحدت النسخة الرسمية للتاريخ الصهيوني، وفضحت الأساطير المؤسسة للكيان، إذ نشر سمحا فلابان كتابه «ولادة إسرائيل: الأساطير والواقع»، ونشر إيلان بابي كتابه «بريطانيا والصراع العربي الإسرائيلي 1948-1951»، ونشر بيني موريس كتابه «ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين», ونشر آفي شلايم كتاب «التواطؤ عبر نهر الأردن: الملك عبد الله والحركة الصهيونية وتقسيم فلسطين». وهي أعمال تدين السياسات للكيان وتثبت مسؤوليتها عن النكبة، وتمثل علامة على نمو الاعتراف بالنكبة داخل المؤسسات الأكاديمية للكيان.

شككت هذه المساهمات الجديدة في مجالات التاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والاقتصاد في الأفكار الأساسية التي كان المجتمع الصهيوني يعدُّها حتى ذلك الحين «حقيقة» كاملة. وبتحديهم النسخة الرسمية للتاريخ الصهيوني قدموا دليلًا على أن هذه الأحداق «أساطير سياسية» خلقتها المؤسسة الصهيونية، بما في ذلك دور الكيان في تهجير الفلسطينيين عام 1948 التي يرويها التاريخ الرسمي بوصفها هجرة طوعية.

كانت نظرة «المؤرخين الجدد» للماضي أقرب بكثير إلى الرواية التاريخية الفلسطينية منها إلى الرواية الصهيونية، ويركز الكتاب على مساهمة المؤرخ (ألان بابيه) الذي أطلق على النكبة تسمية أكثر دقة هي (التطهير العرقي)، و يوظف (بابيه) نموذج التطهير العرقي بدلًا من نموذج الحرب كموجه للنقاش بشأن أحداث 1948، ويرى أن غياب هذا النموذج كأساس للبحث العلمي في تلك الأحداث يفسر جزئيًّا لماذا يستمر إنكار النكبة طوال المدة الماضية.

لكن بحسب مؤلف الكتاب فإن (بابيه) يجانب الصواب حين يصنف هذا التطهير العرقي بوصفه جريمة ضد الإنسانية، في حين أن من الأدق تصنيف هذه العملية بأنها تشكل إبادة جماعية وفقًا لمفهوم اتفاقية الإبادة الجماعية 1948, وأنها «إبادة مستمرة» في ضوء منع عودة اللاجئين بعد النكبة وإقرار (قانون أملاك الغائبين) الاستيلاء على جميع الأراضي والممتلكات التي خلَّفها اللاجئون، ووضع مواطنيها الفلسطينيين تحت الحكم العسكري من عام 1948, وسيطرة الكيان على الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة منذ عام 1967 من خلال نظام احتلال تمييزي يحرم الفلسطينيين من معظم حقوقهم الفردية والجماعية.

ويستشرف الكتاب آراء هؤلاء المؤرخين حول مستقبل الكيان في ضوء تفكيك أساطير تأسيسها، من أنها «لم تولد بإعجوبة, كما أنها ليست بسبب تفردها الأخلاقي المزعوم دولة لا تُقهَر وتستطيع أن تعيش بالسيف وتفرض إرادتها بالقوة العسكرية. وقد تتطور

> هل يمكن عدّ النكبة إبادة جماعية بوصفها تدميرًا للمجتمع الفلسطيني عام 1948؟

> كانت نظرة «المؤرخين الجدد» للماضي أقرب بكثير إلى الرواية التاريخية الفلسطينية منها إلى الرواية الصهيونية.

في نهاية المطاف ظروف تاريخية غير مواتية لها تهدد وجودها»، وهذا الرأي يتطابق مع الظرف الذي وجد فيه الكيان الصهيوني نفسه في السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023. فهو كيان أُسِّس على أنقاض فلسطين نتيجة لعملية طويلة من الاستعمار اليهودي بدأت في عام 1882, وحسب الكتاب بدأ بعض الباحثين لا يدركون هذا باعتباره موقف الطرف الآخر فحسب، بل باعتباره وصفًا صادقًا لأحداث الماضي.

ويتابع الكتاب بالتفصيل نمو الاعتراف بالنكبة منذ يوم 15 مايو/أيار 2012، الذي شهد استعادة رمزية للتاريخ، بكل ما يحمله من رمزيات وذاكرة جريحة، فقد أحيا فيه الفلسطينيون ذكرى النكبة، وأعلن الفلسطينيون في الكيان إضرابًا وطنيًّا عامًّا لإحياء الذكرى. ويرى بأن هذه العودة للتاريخ أو عودة النكبة تتضمن نمطًا من المطالبة بالوجود وبالعدالة والإنصاف، و تندرج ضمن حراك عالمي لتاريخ مطالب الشعوب بالاعتراف بالإبادة الجماعية.

في مواجهة مطالب الاعتراف تتمظهر سياسة الإنكار في أشكال مختلفة: إنكار التطهير العرقي للفلسطينيين, إنكار أي مسؤولية أخلاقية أو ذنب في خلق محنة اللاجئين الفلسطينيين, وإنكار «حق العودة» للفلسطينيين, الحرمان من استعادة ممتلكات اللاجئين، إنكار اقتلاع الفلسطينيين، وفي ذاكرة الكيان الرسمية، تم حذف فلسطين من جغرافية الأرض وتاريخها, واستبدال الأسماء الفلسطينية للمناطق الجغرافية والمدن والأماكن بأسماء صهيونية, وتم حذف كلمة «فلسطين» من نظام التعليم الصهيوني تمامًا، سواء باللغة العربية أو العبرية. تمت إعادة تخصيص إحداثيات التاريخ بشكل جذري للتأكيد على التاريخ اليهودي الكتابي والتقليل من أهمية التاريخ العربي، مما أدى في الواقع إلى رسم علاقة مستمرة بين التاريخ الكتابي القديم والتاريخ الصهيوني الحديث. لقد مُحي اسم «فلسطين» ليس فقط من الخرائط الجغرافية والجيواستراتيجية، بل من الخطاب العام أيضًا. لقد قام الكيان بحجب «الشعب الفلسطيني» ككل واستبداله بمصطلح مُلطّف «اللاجئون العرب»، «عرب أرض إسرائيل»، «السكان المحليون»، وغيرها من الأسماء المشابهة، وأطلقوا على المواطنين الفلسطينيين اسم «العرب» أو «عرب إسرائيل»، في محاولة للقضاء على جذورهم وارتباطهم بتاريخهم.

ويحلل الكتاب استراتيجيات إنكار النكبة الصهيونية التي تربط بين ثلاثة ادعاءات تراكمية هي: إنكار وقوع النكبة، النظر إليها كاختلاق أو بدعة تهدف إلى نزع الشرعية عن الكيان, وأخيرًا التنكُّر للمسؤولية عن النكبة. يطابق هذا المعتقد الموقف الرسمي الصهيوني الذي ينم عن تهرب من التوصل إلى تسوية تدعم مسار السلام مع الفلسطينيين.

تطورت سياسة الإنكار الصهيونية للنكبة من خلال اتباع استراتيجيات موجهة للداخل وأخرى موجهة للخارج تستهدف مواجهة التعاطف مع القضية الفلسطينية على المستوى الدولي، من أبرزها محاولة السيطرة على ذكرى النكبة من خلال إصدار تشريعات وقوانين معينة، مثل إصدار (قانون النكبة 2011) الذي يفرض عقوبات مالية على المؤسسات التي تقوم بإحياء ذكرى النكبة, وفي عام 2014، صدر في الكيان قانون آخر يرسخ نمطًا آخر من الإنكار، يقوم على طمس وإرباك إحياء ذكرى النكبة من خلال التكافؤ والاستبدال من خلال إحياء ذكرى هجرة اليهود الشرقيين إلى الكيان في الخمسينيات من

القرن الماضي القادمين من دول أخرى. أي وضع النكبة أمام نكبة أخرى معادلة لها, وإذا كانت الصهيونية تحاول من خلال قانون النكبة وقانون إحياء النكبة اليهودية، السيطرة على إحياء ذكرى نكبة فلسطين داخل الكيان، فإنها تستخدم سلاح أكثر خطورة على المستوى الدولي لترويض الشتات الفلسطيني المنتشر في الغرب وجميع المتعاطفين مع القضية الفلسطينية خارج الكيان، ألا وهو تهمة مناهضة السامية التي طورتها في الأعوام الأخيرة للسيطرة على أي نقد لسياساتها ضد الفلسطينيين.

ويمضي الكتاب في تشريح المخاوف الصهيونية من نتائج وآثار الاعتراف التي تلقي ضوءًا على أهمية الإنكار في العقل السياسي للكيان، ومنها أن الاعتراف بالنكبة يخلخل براديغم الهولوكوست وأطروحة تفردها، إذ لا يعني الاعتراف هنا سوى أن الفلسطينيين هم الضحايا، ضحايا مباشرون لضحايا الهولوكوست، الأمر الذي يعني تجريد الكيان من أحد مصادر القوة الأساسية المتوفرة لديها, وإمكانية توظيف الهولوكوست(أو شبح تكراره) في الحصول على الدعم والمساعدات المالية والعسكرية وداخل الأروقة الدولية مثل الأمم المتحدة. فضلًا عن أن الكتاب يرى ارتباط المخاوف من الاعتراف، بتهديد العقيدة الأمنية للكيان، فقد تحول الهولوكوست من مجرد مصطلح وصفي للقتل الجماعي لليهود خلال الحرب العالمية الثانية إلى أداة سياسية لتبرير سياسات الكيان الأمنية على نحو يظهر أمننة الهولكووست Holocaust Securitization، فالهولوكوست يقع في صميم السياسة الأمنية للكيان الصهيوني.

كان التأثير الحي للهولوكوست كمثال ثابت في عقيدة الكيان الأمنية، من بن غوريون إلى مناحيم بيغن، وتستند «سياسة الأمن القومي الصهيوني» إلى إجماع وطني واسع، يرى أن الكيان يواجه تهديدًا واقعيًّا بالإبادة الجماعية، وقد استخلص بن غوريون ثلاثة دروس من الهولوكوست وثيقة الصلة بشكل خاص بفهم أسس العقيدة الأمنية للكيان, الأول كان الاعتماد على الذات: يجب ألا يعلق اليهود على الآخرين آمالهم في الخلاص لاسيما وأن الدولة التي أقامتها كان من المفترض أن

> **استراتيجيات إنكار النكبة الصهيونية التي تربط بين ثلاثة ادعاءات تراكمية هي: إنكار وقوع النكبة، النظر إليها كاختلاق أو بدعة تهدف إلى نزع الشرعية عن الكيان وأخيرًا التنكُّر للمسؤولية عن النكبة.**

تظل هشة للغاية «لفترة طويلة قادمة», الدرس الثاني كان الضرورة المطلقة لتجنب حتى هزيمة واحدة: يمكن لأعداء الكيان دائمًا التعافي من الخسارة للقتال في يوم آخر، بينما لا تتمتع الصهيونية بمثل هذا الرفاهية, الثالث: يكمن الحل الاستراتيجي للاختلال العميق بين الكيان وأعدائه في الردع النووي بِعدِّهِ أفضل ضمان ضد الإبادة الجماعية الثانية.

ويشير الكتاب إلى نمو الاعتراف بالنكبة على الصعيد العالمي والعربي، ولعل من أبرز مظاهره الدعوى التي قدمتها جنوب أفريقيا ضد الكيان في الأمم المتحدة, لكن سبقها فعالية تاريخية هي الأولى من نوعها عقدتها الأمم المتحدة في 15 آيار/مايو 2023 إحياء للذكرى الخامسة والسبعين للنكبة في مقر المنظمة في نيويورك, أُتيح فيها عرض المطالب الفلسطينية المتعلقة بالنكبة وتحميل الكيان المسؤولية الدولية. وتُعَدُّ هذه هي المرة الأولى في تاريخ الأمم المتحدة التي يتم فيها إحياء هذه الذكرى وفقًا لتفويض ممنوح من الجمعية العامة.

وفي أعقاب إحياء الذكرى الخامسة والسبعين للنكبة، وقَّع الرئيس محمود عباس مرسومًا رئاسيًّا يجعل من إنكار النكبة جريمة يُعاقَب عليها بالسجن لمدة عامين، مقدمًا وصفًا لها بوصفها «جريمة ضد الإنسانية». وينقد

الكتـاب هـذه الخطـوة بقولـه «إن السـلطات الفلسـطينية ارتكبـت خطـأً اسـتراتيجيًّا في عـدم وصـف النكبـة بكونهـا «تطهيـرًا عرقيًّـا» أو «إبـادة جماعيـة».

ويناقـش الكتـاب بشـكل معمـق تفسـير النكبـة كتطهيـر عرقـي، وهـدف وضعهـا في سـياق التاريـخ العالمـي للتطهيـر العرقـي والإبـادة الجماعيـة، والطابـع الاسـتعماري الاسـتيطاني للصهيونيـة، فالصهيونيـة حركـة اسـتعمار اسـتيطانية Settler Colonialism مثـل تلـك الحـركات الأوربيـة التـي اسـتعمرت الأميركيتيـن وأسـتراليا ونيوزيلنـدا وجنـوب أفريقيـا. ومـن منظـور المـدى الطويـل، فقـد كان هذا «مشـروعًا اسـتعماريًّا اسـتيطانيًّا فـاشلًا» علـى الرغـم مـن القـوة العدوانيـة للقوميـة الصهيونيـة، ويستشـهد بالقـول «في فلسـطين، لـم يتـم القضـاء علـى المجتمـع الأصلـي. إن فلسـطين ليسـت «يهوديـة مثلمـا هـي إنجلتـرا إنجليزيـة»، كمـا عبـر حاييـم وايزمـان ذات يـوم بصراحـة عـن الأهـداف الصهيونيـة. وبـدلًا مـن ذلـك، فـإن سـكان الـبلاد بأكملهـا مـن النهـر إلـى البحـر، التـي وحدتهـا عقـود مـن الاحـتلال والاسـتعمار منـذ عـام 1967، أصبحـوا اليـوم نصفهـم علـى الأقـل مـن الفلسـطينيين، وهـذه النسـبة آخـذة في التزايـد. لا يـزال السـكان الأصليـون هنـاك، إن هـؤلاء الفلسـطينيين الذيـن تمكنـوا مـن البقـاء في فلسـطين التاريخيـة – علـى الرغـم مـن الجهـود المتواصلـة لطردهـم – يواصلـون مقاومـة المحـو. أمـا خـارج فلسـطين، فلا يـزال عـدد مماثـل متمسـكًا بشـدة بوطنهـم وبحـق العـودة».

> كان التأثير الحي للهولوكوست كمثال ثابت في عقيدة الكيان الأمنية من بن غوريون إلى مناحيم بيغن.

تركـز مسـاهمة الكتـاب في تفكيـك المركزيـة الغربيـة والتحيـز كسـبب لنسـيان الإبـادات الجماعيـة في الشـرق الأوسـط، ومناقشـة واستكشـاف الافتراضـات المسـبقة، وإلغـاء تحيزهـا، وإلقـاء الضـوء علـى البقـع العميـاء. ومـن خلال عدسـة تحليـل النظـم العالميـة ودراسـات مـا بعـد الاسـتعمار تجـري مناقشـة حالـة العـراق ضمـن ظاهـرة الاسـتعمار الجديـد وحالـة فلسـطين ضمـن ظاهـرة الاسـتعمار الاسـتيطاني.

ويحـدد المؤلـف اختيـاره لهـذا النهـج بكونـه أحـد أسـاليب مواجهـة الإبـادة الثقافيـة، أو احتـواء مـا يطلـق عليـه الكاتـب الكيني(نغوجـي واثيونغـو) في كتابـه (تصفيـة اسـتعمار العقـل): القنبلـة الثقافيـة التـي زرعهـا الاسـتعمار داخـل عقـول الشـعوب المُسـتعمَرة. وتعنـي حسـب واثيونغـو: إبـادة إيمـان الشـعب بنفسـه وإبـادة إيمانـه بلغتـه وثقافتـه وإرثـه النضالـي ووحدتـه وقدراتـه. وفي حيـن اختفـت المسـتعمرات تقريبًـا مـن العالـم، ولا توجـد أمثلـة معاصـرة علـى الاسـتعمار الاسـتيطاني، تبقـى فلسـطين مثـالًا فريـدًا ومعاصـرًا للاسـتعمار الاسـتيطاني, يـدل علـى اسـتمرارية الإبـادة الجماعيـة في شـكلها الاسـتعماري الاسـتيطاني وصلتهـا بالنظـام الدولـي الـذي يديـم هـذه الظاهـرة ويغذيها. وفي جميـع الأحـوال فـإن هـذه الحـالات لـم تعـد طـي الكتمـان أو الإهمـال لفتـرة طويلـة، لا سـيما مـع التطـورات الأخيـرة في المنطقـة منـذ 7 أكتوبـر 2023.

ويـرى المؤلـف أن دراسـات الإبـادة الجماعيـة تعانـي مـن التحيـزات الاسـتعمارية علـى نحـو كاشـف عـن المركزيـة الغربيـة, إذ تنتمـي الغالبيـة العظمـى مـن علمـاء الإبـادة الجماعيـة إلـى الـدول الغربيـة (القـارة الأوربيـة، الأميركيـة، أسـتراليا)، أي البلـدان التـي تنتمـي للعالـم المتقـدم والتـي شـكلت النظـام الدولـي الحديـث والقائـم علـى مركـز متطـور ومحيـط متخلـف ومسـتغل، نظـام دولـي شُـيّد علـى أسـاس العنـف البنيـوي السـابق ضـد الشـعوب الأصليـة والشـعوب الخاضعـة الأخـرى في آسـيا وأفريقيـا والشـرق الأوسـط.

وتساهم التحيزات الأكاديمية حسب الكتاب في هيمنة براديغم, الذي يرى أن الإبادة الجماعية ظاهرة ملازمة للدول الضعيفة أو الفاشلة، وأكثر شيوعًا في الديكتاتوريات والأنظمة الاستبدادية أو السلطوية, وأنها ظاهرة غير محتملة أو حتى مستحيلة في دول أو ديمقراطيات قوية.

وحسب المؤلف، فإنه «حتى وقت قريب، كان هناك عدد قليل من الباحثين في الغرب الذين درسوا تضمين النكبة في أي مختارات من أعمال المحرقة أو الإبادة الجماعية. أما الجرائم ضد الشعب العراقي فقد طواها النسيان في ضوء الفوضى التي دخلت بها البلاد منذ حرب الخليج 1991 والغزو الأميركي عام 2003، وأخيرًا غزو داعش للبلاد عام 2014، ونفق الأزمات المتكررة والصراع على السلطة والتدخل الإقليمي والدولي», ويرى أنه من الأهمية بمكان في أي جهد لإعادة كتابة التاريخ العالمي للإبادات الجماعية أن يتضمن نقدًا للأدبيات السابقة ويشير إلى ما خرج منها عن الطوق، لا سيما وأن معظم هذه الأدبيات ما تزال تستبعد حالتي العراق وفلسطين.

لذا، يطور الكتاب فهمًا جديدًا يرسم «مسارًا لعلماء الاجتماع والسياسة والقانون للتفكير بمرونة من خلال مصطلحات جديدة تحلل نماذج التدمير المختلفة المادية وغير المادية، المباشرة وغير المباشرة، الظاهرة والخفية، السريعة والبطيئة التأثير، على نحو يتوافق مع نمط الإبادة الجماعية الاستعمارية. ويظهر اعترافًا بالديناميات والمعاني الجديدة في أفعال التدمير التي مُورِست في فلسطين والعراق، وعلى نحو تتوافق فيه أنماط ووسائل التدمير المختلفة من إبادة عن طريق الاستنزاف، إبادة باردة، إبادة تراكمية، إبادة بوسائل أخرى، مع نمط الإبادة الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية في فلسطين التي استمرت لمدة تزيد على سبعة عقود، والإبادة الاستعمارية الجديدة الأميركية في العراق التي استمرت لما يزيد عن ثلاثة عقود».

الاعتراف ومنع الإبادة الجماعية

ظهرت عبارة (لن تتكرر أبدًا) Never again، لأول مرة، وفقًا لمؤرخ الهولوكوست (راؤول هيلبرج) على اللافتات التي وضعها المعتقلون في معسكر(بوخنفالد), أبرز معسكرات الاعتقال النازية، بعد تحريره في نهاية الحرب العالمية الثانية, لكن هذه العبارة التي أصبحت شعارًا دوليًّا لسياسة منع الإبادة الجماعية، وعزم المجتمع الدولي على منع تكرارها، تبدو فارغة المضمون، في ضوء تكرار الإبادة الجماعية مرارًا، بحيث يمكن أن نقول: Never again? Actually, it's more like again and again and again

في مواجهة هذا التكرار، تتحول الكتابة إلى فعل مضاد للنسيان، ولإحياء الذكرى وقوة التذكر تأثير فعال في المقاومة ضد سلطات الواقع كاتمة الأنفاس. في عام 1939 أشارت عبارة هتلر: (من الذي يتحدث اليوم عن إبادة الأرمن؟) إلى سلطة النسيان كقوة محفزة على ارتكاب جرائم جديدة، كما في الهولوكوست. وكان تذكر الهولوكوست من خلال صياغة اتفاقية لمنع الإبادة الجماعية 1948 إجماعًا من قِبَل المجتمع الدولي، ما بعد الحرب العالمية الثانية، على منعها والمعاقبة عليها في المستقبل.

وعلى صعيد ذي صلة، فإن تذكر النكبة في فلسطين والجرائم التي ارتُكِبت بحق الشعب العراقي, يهدف إلى الغاية نفسها. من الذي يتحدث اليوم عن إبادة

> نمو الاعتراف بالنكبة على الصعيد العالمي والعربي أبرز مظاهره الدعوى التي قدمتها جنوب أفريقيا ضد الكيان في الأمم المتحدة.

الشعبين العراقي والفلسطيني؟ إن القتلة الجماعيين في النظام الدولي يرددون عبارة هتلر بطرق ولغات مختلفة، ويحاولون فرض النسيان من خلال استراتيجية الإنكار. لذا، فإن هذا الكتاب يُعَدُّ بمثابة لائحة دفاعية تثبت مطالب الاعتراف والعدالة للشعبين العظيمين, ولكي لا تتكرر الجريمة مرة ثانية، وبوسائل أخرى لشعوبنا الأخرى في الشرق الأوسط.

كان هذا الهدف النبيل محركًا أخلاقيًّا للفقيه البولندي(رافائيل ليمكن)، دفعه لصياغة مصطلح (الإبادة الجماعية) عام 1944 في كتابه الأساس(حكم المحور لأوربا المحتلة). وكتب في مذكراته عن انشغاله منذ الطفولة بقصص الإبادات المختلفة عبر القرون, مثل قصة إبادة المسيحيين من قِبَل الإمبراطور الروماني نيرون، وإبادة الهوغونوت في فرنسا، وإبادة المسلمين الموريسكيين في إسبانيا... إلخ، وخلص إلى أن الإبادة العرقية كانت مشكلة عالمية ودائمة ودائمة التكرار.

في الواقع، إن من السهل الدعوة إلى منع الإبادة الجماعية والمطالبة بعدم تكرارها, وفي غالب الأحيان فإنه من خلال المساهمة في تأليف الكتب والمحاضرات، والمشاركة في الاحتفالات التذكارية للضحايا والناجين، مثلما نفعل سنويًّا، في إحياء ذكرى الإبادة الجماعية

> **ضرورة تفكيك المركزية الغربية والتحيز كسبب لنسيان الإبادات الجماعية في الشرق الأوسط، ومناقشة واستكشاف الافتراضات المسبقة، وإلغاء تحيزها.**

للأرمن أو الأيزيديين أو مكونات المجتمع العراقي المتنوعة. نتذكر مع الأشخاص ذوي النوايا الحسنة من المثقفين والناشطين وعائلات الضحايا، بشكل روتيني، تحذير الفيلسوف الأميركي جورج سانتايانا: «أولئك الذين لا يتذكرون الماضي محكوم عليهم بتكراره», لكن هذه الفكرة القوية والمتقنة لم تصبح أكثر من مجرد كليشيهات. يجب أن نتذكر الماضي، نعم، لكن العالم السياسي يجب أن يذهب إلى ما هو أبعد من مجرد تذكر عمل إبادة جماعية معين. إن التذكر الأصيل هو اليقظة الواعية والعمل الجاد والسياسات العامة الفعالة من أجل عدم تكرارها.

لقد حولني الاهتمام بمنع الإبادة الجماعية من أكاديمي إلى ناشط من فئة جديدة يمكن أن نطلق عليها «ناشطو منع الإبادة الجماعية». على نحو كرست فيه الأعوام الماضية لنشر الوعي والعمل بطرق شتى لتحقيق هذه الغاية, وكان من أبرز الخطوات: إطلاق فكرة (تحالف الضحايا العالمي) بمناسبة الذكرى المئوية للإبادة الأرمنية في عام 2015, وأكدت على أن إحياء الذكرى وتوثيق الإبادة الجماعية ينبغي أن يكون مناسبة لحراك ثقافي وفكري من أجل تطوير الوعي بشأن كيفية تفجر نوبات التطهير العرقي والقتل الجماعي، وبالتالي، نكون قادرين على منع وقوعها في المستقبل, الأمر الذي يتطلب منا مراجعات وإصلاحات في طرق تفكيرنا، كما في إصلاح مناهجنا التعليمية.

كما أوضحت في حينها أن التحالف سوف يكون غير رسمي، ويقوده مثقفون وأكاديميون وناشطون ورجال دين؛ كي يتبلور في مواجهة المصالح الدولية ونخب البزنس الإثنوطائفي. إنه تحالف يقوم على خطوات عملية تمكن أعضاءه من العمل على ثلاث مخرجات مهمة هي[1]:

أولًا: تمكين المجتمع الدولي من اتخاذ خطوات عملية لتحسين رد الفعل على الإبادة الجماعية المقبلة.

ثانيًا: توفير محاكمات دولية رمزية للجناة سواء كانوا أفرادًا أو حكومات.

ثالثًا: فضح طبيعة وآليات استثمار الضحايا لتغذية مصالح النخب السياسية التي تتاجر بالكراهية.

وفضلًا عن إطلاق استراتيجية وطنية لمنع الإبادة الجماعية، بالشراكة بين مؤسسة مسارات والمؤسسة الأيزيدية الدولية لمنع الإبادة الجماعية ومؤسسات أخرى وطنية, وبهدف سد فراغ المكتبة العربية التي تفتقر إلى أدبيات عن الإبادة الجماعية، أشرفت على إطلاق أول سلسلة باللغة العربية(مائة عام من الإبادة الجماعية: من إبادة الأرمن إلى إبادة الأيزيديين)، تبعها تأسيس مركز مواجهة خطابات الكراهية، كخطوة لا غنى عنها، في أية سياسة لمنع الإبادة الجماعية على الصعيد الوطني أو العالمي.

وفي سياق الخطوات أعلاه، يمكن موضعة تأليف هذا الكتاب في إطار جهود فذة يقدمها العديد من علماء الإبادة الجماعية من أجل تذكر ومقاومة نسيان الإبادة الجماعية للشعوب الأصلية في القارة الأميركية وفي أستراليا، الإبادة الجماعية للشعوب المستعمرة في أفريقيا مثل الهيرور، الإبادة الجماعية للشركس وتهجيرهم من القوقاز على يد روسيا القيصرية، الإبادة الجماعية للآشوريين بالتزامن مع إبادة الأرمن في تركيا العثمانية, المذابح التي تعرضت لها المجموعات السكانية من الأكراد والشيعة وبقية الأقليات في العراق في عهد صدام حسين 1979-2003, الإبادة الجماعية للهوتو المعتدلين في رواندا 1994, وإبادة مئات الآلاف من الهوتو في بوروندي عام 1972، والتطهير المنهجي للاجئين الهوتو في شرق الكونغو في 1996-1997 من قِبَل جيش كاغامي, والإبادة الثقافية للأيغور في الصين منذ 2014, والتطهير العرقي للروهينغا في ماينمار 2017.

حاول الكتاب صياغة إشكاليته في سؤال مركزي: لماذا لا تُعَدُّ حالة فلسطين(النكبة) وما تبعها من جرائم مستمرة، وحالة العراق الذي تعرض لتدمير مستمر منذ عام 1991، ضمن تاريخ حالات التدمير والإبادات الجماعية؟

وكانت محاولة الإجابة عن السؤال الأساس تجعلنا نقدر أهمية دراسة الذاكرة والتذكر، وبالمثل يصبح

> **أن دراسات الإبادة الجماعية تعاني من التحيزات الاستعمارية على نحو كاشف عن المركزية الغربية.**

التعرف على عمليات النسيان العامة ودراستها مهمة موازية، فقد أصبحت الذاكرة الجماعية، بحق، أداة مهمة للتحليل. في هذا السياق، ركزت مساهمة الكتاب على تفكيك المركزية الغربية والتحيز كسبب لنسيان الإبادات الجماعية في الشرق الأوسط، وعلى نحو يدفعنا لمناقشة واستكشاف الافتراضات المسبقة، وإلغاء تحيزها، وإلقاء الضوء على البقع العمياء. ومن خلال عدسة تحليل النظم العالمية ودراسات ما بعد الاستعمار ركزنا على تحليل حالتين لم تُدرجا ضمن تاريخ الإبادات الحديثة والمعاصرة، إذ جرى مناقشة حالة العراق ضمن ظاهرة الاستعمار الجديد وحالة فلسطين ضمن ظاهرة الاستعمار الاستيطاني. وعلى نحو كاشف لفكرة أن الإبادة الجماعية متأصلة في طبيعة النظام الدولي نفسه، وتعبر عن استمرارية جديرة بالانتباه والتحليل لاكتشاف الروابط المختلفة بين الإبادات التي تم ارتكابها في دول المركز(الدول الأوربية الاستعمارية) ومناطق المحيط(المناطق التي تم استعمارها في أميركا وأستراليا وأفريقيا وبقية أنحاء العالم) حسب مفهوم المركز والأطراف في تحليل النظم العالمية.

وعلى الرغم من أن هذه المساهمة انطوت على تحدٍّ للنموذج الليبرالي لدراسات الإبادة الجماعية القائم

على مركزية أوربية غربية، ولبراديغم الهولوكوست، فإن فكرة استمرارية الإبادة الجماعية جري مقاربتها من ناحية تأثيراتها، التي ما تزال راهنة، في كل من العراق وفلسطين ومناطق أخرى، كما أن مطالبة الشعوب التي تضررت منها, بالاعتراف أو بالتعويض, ما تزال حاضرة بقوة, كما في المطالب الأرمنية بالاعتراف التركي بالإبادة الجماعية، والمطالب الأوكرانية بالاعتراف الروسي بالهولدمور(الإبادة بالتجويع)، ناهيك عن مطالب الشعوب الأصلية بإقرار الحكومات الأميركية والأسترالية والكندية بإبادة الشعوب الأصلية التي ينبغي أن ندرج ضمنها مطالب الشعبين الفلسطيني والعراقي العادلة.

من جهة ثانية، يُعَدُّ تطلع شعوب دول المحيط للاعتراف بما حصل من إبادة جماعية وتطهير عرقي من قِبَل دول المركز(القلب) دليلًا على استمرار تأثير هذه الإبادات، وأنها لا يمكن أن تنتهي من الناحية الزمنية أو تُؤخَذ في سياق وقت حدوثها فحسب، ومن أبرز الأمثلة المعاصرة: الاعتذار الألماني عن إبادة الهيرور وناما في جنوب غرب أفريقيا(ناميبيا) على الرغم من كونه قد حدث قبل 109 أعوام, والاعتراف الأميركي بإبادة الأرمن رغم مرور أكثر من 100 عام على حدوثها، والاعتذار الفرنسي عن المسؤولية عن الإبادة الجماعية في راوندا على الرغم من مرور ثلاثة عقود على ارتكابها, والاعتذار الألماني عن المسؤولية الجزئية لإبادة الأرمن في الحرب العالمية الأولى. وإن المطالبة بالاعتذار الأميركي والبريطاني عما حدث في العراق ينبغي أن يُدرَج ضمن هذه الأمثلة.

أخيرًا، فإن منع الإبادة الجماعية مرتبط بإصلاح النظام الدولي نفسه، وإذا استمرت بنية النظام الدولي من دون إصلاح سوف تستمر الإبادات الجماعية وتتكرر من دون رادع، لهذا استهدفت سياسة منع الإبادة الجماعية بعد الحرب العالمية الثانية أولًا، ومن ثم مسؤولية الحماية بعد نهاية الحرب الباردة ثانيًا، إلى إنهاء هذه البنية المختلة، ويمكن النظر لهذه المحاولات على أنها بمثابة مرآة عاكسة لإصلاح النظام الدولي، وذلك، عبر السعي لمنع وإنهاء أحد أبرز التهديدات التي تطال الأمن والسلم الدوليين، أي الإبادة الجماعية. وتُعَدُّ حالتا العراق وفلسطين كاشفة عن هذا الاختلال، ويُعَدُّ إيجاد حل عادل وجذري للقضية الفلسطينية ومساعدة العراق على النهوض مجددًا، مطلبًا عادلًا يمكن تفسيره كجزء من حركة الإصلاح الشاملة للنظام الدولي.

ختامًا، نعتقد بأن إنشاء تحالفات عالمية عابرة للحدود، من مناهضي الإبادة الجماعية من المنظمات الدولية ومنظمات حقوق الإنسان والإعلاميين والناشطين، لتكوين شبكات ضغط واسعة، تعمل على تحفيز الرد على الإبادة الجماعية وتحريك الجمود الذي قد يطال سياسة منعها، وحينئذ ستكون الاستجابة فعالة وحاسمة بحق من خلال تشجيع إطلاق تسمية الإبادة الجماعية وتجنب اختيار مصطلحات بديلة أو غير دقيقة، ومن ثم إدانتها بشدة وعلى الفور. والالتزام بمعارضة أي حكومة متورطة في الإبادة الجماعية بشكل دائم، بما في ذلك رفض التشجيع على رفض مساعدتها، من قِبَل المجتمع الدولي في المستقبل، والتشجيع على فرض حظر أسلحة على حكومات الإبادات الجماعية. وبشكل عام الضغط على أي حكومة يبدو أنها تدعم حكومة الإبادة الجماعية لتغيير سياستها. والدعوة للإسراع بالتدخل بالقوة المسلحة، إذا لزم الأمر، لإنقاذ الضحايا قبل فوات الأوان.

Endnotes

1- إطلاق تحالف عالمي للضحايا، ملحق أزتاك العربي للشؤون الأرمنية، على الرابط: http://aztag15.rssing.com/chan-6808981/all_p103.html. ويُنظَر أيضًا: سلوم يطلق عبر(العالم الجديد) تحالفًا عالميًا للضحايا، صحيفة العالم الجديد، في تاريخ 12 أيار 2015.

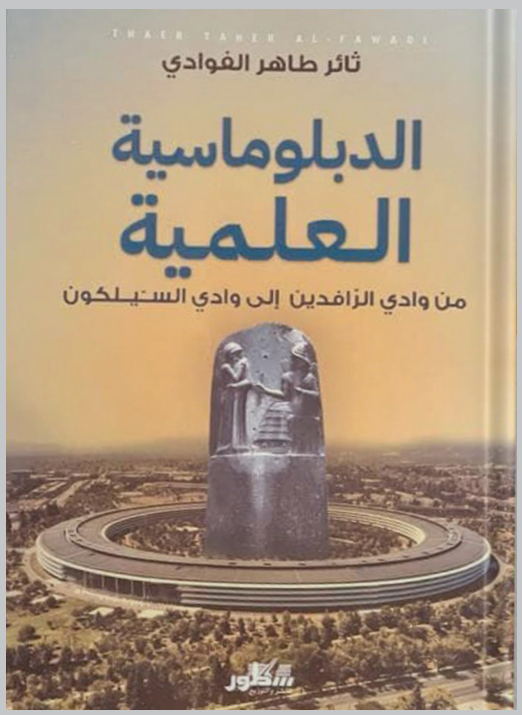

الدبلوماسية العلمية من وادي الرافدين إلى وادي السيلكون

للمؤلف ثائر طاهر

فاضل الفوادي

صدر عن دار سطور للنشر والتوزيع في بغداد (الدبلوماسية العلمية من وادي الرافدين إلى وادي السيلكون) للمؤلف الدبلوماسي العراقي ثائر طاهر فاضل الفوادي، في كتاب يتكون من ستة فصول.

يرى المؤلف أن الدبلوماسية التقليدية لا تستطيع أن تفعل شيئًا حيال الوضع الراهن في النظام الدولي المتشابك والمعقد أكثر فأكثر من حيث الفواعل واللاعبين الجدد غير الرسميين، ونوع وحجم التهديدات والتحديات غير التقليدية من حرب الفضاء، والأمن السبراني، والأوبئة، وقيعان البحار المحيطات، ولا دبلوماسييها قادرين على تنفيذ سياسات ناجعة في المساحة الدولية العلمية؛ لأن الموضوع ليس من تخصصهم، ولن يستطيعوا لاعتبار أن تلك المساحات تقع خارج حدود وقوانين بلدانهم، لذا يتطلب الأمر مسؤولية جماعية, مثل تعاون دولي مشترك لخفض انبعاث الكربون في العالم مثلًا، من خلال حراك دبلوماسي معزز بأدلة علمية وتكنولوجية توضع على طاولة المفاوض الدبلوماسي بمساعدة العالم الذي يقف وراءه.

وإن الدبلوماسية التقليدية وحدها لن تقدم حبل النجاة، ولن تكون سفينة نوح لحمل البشرية إلى برّ الأمان، ولن يكون للبشرية مستقبل إذا اعتمدنا عليها في القرن الحادي والعشرين، مع ضرورة استثمار لحظة الوعي الحالية من قِبَل المجتمع المعرفي والمجتمع الدبلوماسي التي سوف تكون حاسمة لمواجهة تيار الأزمات العالمية المستمر.

ويُعَدُّ الكتاب محاولة من المؤلف لدعم هذا المسار، الذي لا زال الاهتمام به ضعيفًا، فعسى أن يقدّم صورة مفيدة لهذا المسار الدبلوماسي الجديد للدبلوماسيين والباحثين الأكاديميين وصانعي السياسات ومراكز البحث وبنوك التفكير، وخطوة الألف ميل تبدأ بفكرة.

ومن هنا يطرح الكاتب ويجيب عن مجموعة من الأسئلة منها:

- هل الدبلوماسية التقليدية ودبلوماسيوها قادرون على إيجاد الحلول, وخلق أرضية للتفاهمات والتعاون الدولي المشترك فيما يخص المساحات الدولية التي تشكل 70% من مساحة الكرة الأرضية (القارات القطبية الشمالية والجنوبية، وأعماق البحار وقيعان المحيطات، والفضاء الخارجي)، فضلًا عن التهديدات العالمية في الفضاء السيبراني، وإمكانية اندلاع الحروب الرقمية، وغيرها من التحديات التي يعاني منها العالم، سيما أن جميع تلك القضايا والتهديدات تقع خارج سيادة الدول وقوانينها؟.
- هل العلاقة بين الدبلوماسية والعلم علاقة تباعد أم تكامل؟ وهل تصنع تلك الثنائية (الدبلوماسية العلمية) المعجزات لمعالجة التحديات العالمية التي تواجه البشرية والكوكب, مثل: (تغير المناخ، وانتشار الأسلحة النووية، وتحمض المحيطات وقلة مياه الشرب، والتنوع البيولوجي والانقراض، وانتشار الأمراض والفيروسات والأوبئة، والجفاف والتصحر، وغيرها)؟.
- هل يمكن أن يكون العالِم دبلوماسيًّا أم الدبلوماسي عالِمًا؟ في ظل المفاوضات التي تحتاج إلى لغة العلوم وتخصصات وحقائق وأدلة وبيانات علمية بحتة لا يمتلكها الدبلوماسي وإن اجتهد.

- هل يمكن أن يخدم العلم الدبلوماسية، وأن تخدم الدبلوماسية العلم؟، وهل يمكن أن يحيي العلم الدبلوماسية في عصر إعلان موت الدبلوماسية كما يسميه البعض؟، وأن يسهم هذا النمط الجديد في تخفيف التوترات السياسية وإبعاد شبح الحروب النووية المدمِّرة، ومواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين في ظل الهجمات الإلكترونية التي أول ضحاياها الدبلوماسيين (حراس البوابة).

إذ يرى المؤلف أنه يجب على الدول، في ظل تلك التهديدات التي يشهدها عالمنا الراهن، البحث عن آليات ووسائل جديدة تنسجم وخطورة حجم تلك التحديات ومعالجتها، وأن تجعل تلك الآليات ضمن أهداف أنشطة سياستها الخارجية في تفاعلاتها الدولية؛ لتكون منصات لخلق الثقة، وتخفيف التوترات السياسية بين الدول، ولتكون بمثابة مكاشفات حقيقية ترسخ قناعة عدم جدوى اتكال دولة على دول أخرى، في قضايا مثل ظاهرة الاحتباس الحراري، وانتشار الأسلحة النووية، وانتشار الأمراض والأوبئة، وتغير المناخ، والجفاف، وقلة مياه الشرب، وغيرها، أو اعتقاد دولة مقدرتها على معالجة تلك المشاكل العالمية بمفردها أو على الأقل تجنب أضرارها، مما يحتم الشروع في عملية تشاركية - تعاونية للقيام بهذه المسؤولية الجماعية، ويكون محور وقاعدة أُس هذا التعاون اعتماد نمط جديد في اندماج العلوم مع الدبلوماسية بعنوان(الدبلوماسية العلمية)، وتوظيف هذا الاندماج في العلاقات الدولية لضمان استمرار الحياة البشرية، والعيش في سلام على كوكب الأرض.

ويشير في كتابه إلى الحياة البشرية, تمثل خط متصل يختزل التجارب الإنسانية ليتم إعادة تدوير تلك التجارب على مر الأزمنة والأمكنة، فمع أن أول من ابتكر مصطلح "الدبلوماسية العلمية" أو "دبلوماسية العلوم" هو الدكتور فوغان توريكيان, في ورقة بحثية نشرها عام 2007، وفيما بعد برز المصطلح بشكل واضح بعد انعقاد قمة(أنتاركتيكا) في الولايات المتحدة الأمريكية عام 2009. فإن الدبلوماسية العلمية أو دبلوماسية العلم من حيث المفهوم قد مارستها حضارة بلاد الرافدين منذ(3500

> **أن الدبلوماسية التقليدية لا تستطيع أن تفعل شيئًا حيال الوضع الراهن في النظام الدولي المتشابك والمعقد أكثر فأكثر من حيث الفواعل واللاعبين الجدد غير الرسميين.**

سنة قبل الميلاد)، في تطبيقات وأنشطة ذات صلة بهذا النوع من دبلوماسية العلم والتكنولوجيا مع الحضارات القديمة الأخرى في الشرق، وفي القرنين العشرين والحادي والعشرين عاد بقوة حراك "الدبلوماسية العلمية" أو "دبلوماسية العلوم"، وخصوصًا بعد الحرب العالمية الثانية ورؤية حجم الدمار الذي خلَّفته الأسلحة النووية، ومن ثم في أيام الحرب الباردة والمخاوف من اندلاع حرب نووية، لذا هرع المجتمع الدولي لتبني "الدبلوماسية العلمية" كوسيلة لتخفيف التوترات السياسية بين المعسكرين الغربي والشرقي، ولتقريب وجهات النظر بين دول القارة الأوروبية المتنافسة، ولخلق حالة من الاستقرار العالمي والتعاون العلمي والتكنولوجي بين جميع الأطراف، لتجنب حرب نووية وشيكة آنذاك, وفي النهاية نجح الأمر بفضل معجزة الدبلوماسية العلمية.

إذ تتشكل الدبلوماسية العلمية من عملية توظيف وإدراج العلوم والتكنولوجيا في الأداء الدبلوماسي والنشاط الخارجي للدول، وانبثق عن هذا الاندماج مبادرات ومنتديات عالمية لتعزيز التعاون البحثي والعلمي على المستوى الثنائي والمتعدد الأطراف بين دول العالم؛ بغية إيجاد حلول للمشاكل ذات المصالح والاهتمامات المشتركة، ولفتح قنوات الاتصال والحوار بين الأعداء

والحلفاء عندما لا تكون متاحة لأسباب سياسية. وقد استطاعت الدبلوماسية العلمية مواكبة ديناميكية الكوكب العالمي المعقدة والمتشابكة, إذ جمعت الوحدات الرسمية(دول، وحكومات) وغير الرسمية (منظمات مجتمع مدني، مؤسسات أكاديمية، وعلماء، وأكاديميون، ومراكز بحوث، وخبراء)، للعمل سوية في المنتديات العالمية والمحافل الدولية بما يخدم الإنسانية جمعاء.

وقد تميزت "الدبلوماسية العلمية" باختلافها عن أنماط الدبلوماسية التقليدية وفروعها الأخرى بعدة سمات: إنها ذات طابع دولي، وشمولي، ومتعدد التخصصات، فضلًا عن توظيفها للعلم والعلماء والدبلوماسيين والسياسيين والأكاديميين والخبراء للعمل سوية، إذ يقدم العلماء والخبراء المشورة العلمية للدبلوماسيين؛ لتسهيل مهمتهم في تنفيذ السياسات الخارجية الوطنية، ولصانعي القرار السياسي في صياغة أطر التعاون الدولي فيما يخص القضايا ذات الاهتمام الدولي المشترك مثل تغيير المناخ وانتشار الأوبئة والأمراض وانتشار السلاح النووي, وغيرها من التحديات العالمية.

وعليه, يعتقد أنه لا تستطيع أية دولة أن تدير ظهرها لهذا النمط الجديد من الدبلوماسية العلمية, وأنه عاجلًا أم آجلًا ستنخرط الدول ووزارات الخارجية بشكل اضطراري في شبكات لمشاطرة هموم الكوكب والحياة البشرية فيما بينها، وستعمل على تفعيل هذا النمط في أنشطتها الخارجية, وجعله ضمن أولويات سياستها الخارجية؛ ليتسنى ذاك العمل الجماعي التعاوني الدولي الدبلوماسي العلمي.

كما يمكن من خلال الدبلوماسية العلمية إدارة موضوع تعدد اللاعبين الدوليين والفواعل غير الرسميين في العلاقات الدولية، موضوع طالما سبَّب إرباكًا للدبلوماسية التقليدية؛ كونها تعتمد على اتفاقيات دولية لإدارة التفاوض والحوار والتمثيل بين الحكومات الرسمية, مثل اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية

لعام 1961، التي ما عادت تصلح لهذا العصر، إذ بإمكان الدبلوماسية العلمية أن تتيح منصة عالمية مرنة في عملية إدارة تعدد الفواعل الرسميين وغير الرسميين للعمل معًا في المحافل الدولية, وعلى مستوى العلاقات الثنائية والمتعددة الأطراف، فضلًا عن توظيفها لتكون بمثابة قناة للاتصال والتهدئة والحوار حتى بين الدول المتخاصمة، وتلك التي لا توجد بينها علاقات دبلوماسية أو حتى اعتراف دبلوماسي وسياسي، ومن معجزاتها فتح قنوات التفاوض عندما تكون الدبلوماسية معطلة أو مغلقة لأسباب سياسية, الذي يعني بتفكير مبطن غير معلن لا سبيل إلا بالاستعانة بالقوة والجندي لفك هذا الاشتباك.

ولا يُعَدُّ الأمر سهلًا من حيث التطبيق إلا أنه ليس مستحيلًا، إذ سُئِل ألبرت أينشتاين: لماذا عندما امتدَّ عقل الإنسان إلى حدّ اكتشاف بُنية الذرة، لكنه لم يتمكن من ابتكار الوسائل السياسية لمنع الذرة من تدميرنا؟، فأجاب: (هذا بسيط, لأن السياسة أصعب من الفيزياء يا صديقي).

فهل فعلًا السياسة أصعب من العلوم بمختلف أنواعها؟، وهل ثمّة علاقة بين السياسة والعلم، وإذا كانت هناك علاقة بينهما، فما هي طبيعة هذه العلاقة؟، وهل تلك العلاقة هي السبيل وقارب النجاة لإنقاذ البشرية؟. هذا السؤال المتكرر الذي وُئِدَ تاريخيًّا بفعل النقاش البيزنطي القديم حول الدين والعلم، ولم يبقَ من مساحة واضحة تعيد الفعل السياسي والعلمي إلى جادة الحوار الإيجابي بعيدًا عن الاستغلال أو التوظيف، وإذا كانت علاقة السياسة والعلم هي علاقة أقطاب متنافرة لا تلتقي إلا في الشر والدمار، فأين سيكون المصير البشري؟.

لكن أي دبلوماسية نقصد بها؟، فهل مثلًا أن الدبلوماسية التقليدية قادرة على صد هجمات الفضاء السيبراني، أو قادرة على تجنب الحروب الرقمية؟، وهل استطاعت الدبلوماسية المهنية بشكلها الحالي المتأنق

> هل العلاقة بين الدبلوماسية والعلم علاقة تباعد أم تكامل؟ وهل تصنع تلك الثنائية (الدبلوماسية العلمية) المعجزات لمعالجة التحديات العالمية التي تواجه البشرية والكوكب

من تحقيق دبلوماسية صحية عادلة بين شعوب الأرض ودولها أمام مواجهة الأوبئة؟, مثلما حصل مع وباء كوفيد19-، إذ استخدمت اللقاحات كسلاح سياسي تم استثماره ليضيف أداة جديدة في سجل صراعات عالم اليوم.

أما آن الأوان، أن نعمد إلى تحديث الدبلوماسية من صورتها السابقة إلى مسار يساعد عالمنا على مواجهة أزماته قبل أن نصل إلى لحظة إصدار شهادة وفاة لموت الدبلوماسية المهنية، مع أنها تميزت خلال مسيرتها التاريخية بالقدرة على التحول والتكيف والتأقلم في ميادين العلاقات الدولية، إذ مرت بجملة من التحولات، وتغيير الأساليب، وتأقلمت مع الاختراعات والابتكارات العلمية والتكنولوجية والعصر الرقمي، وكانت تتخذ بين الحين والآخر نمطًا يتلاءم مع كل عصر ومتطلباته، فتعددت مساراتها منتقلة من السرية إلى العلنية، ومن العامة إلى الشعبية، ومن المناخ إلى الرقمية، لكنها تغافلت وتناست في محاولة احتكار حصرية لرجالها وجيوشها من طبقات الدبلوماسية المهنية, فأغفلت مختبرات البحث العلمي ومعاهد الفكر ومصانع الابتكار وأروقة مجتمع المعرفة؛ لكي تنهض لنا كالعنقاء من ذاك الرماد في حلية جديدة تعيد رسم دبلوماسية متعددة المسارات من العمل الدولي الجماعي رغم صعوباتها واتهامها بأنها تحمل أفكارًا طوباوية من قبيل مفاهيم تتعلق بحكومات عالمية ومسارات لتعاون عالمي مشترك دون أن تكون له نتائج أو تحرّف في سياق وضع المعرفة والعلم ضمن قاموس الحروب والنزاعات.

إن ديناميكيّة النظام العالمي المعقدة والمتشابكة التي تتسارع مع تزايد القضايا العلمية والتكنولوجية قد أضافت بدورها تعقيدات جديدة إلى الدبلوماسية التقليدية كأداة فاعلة في العلاقات الدولية، إذ صار العلم والتكنولوجيا بمثابة ثورة فعالة جديدة لإدارة التفاعلات الدولية المعاصرة كونهما يُعدَّان عاملان مهمان لتحديد أوضاع السيطرة والتبعية على الصعيد العالمي استنادًا إلى مدى قدرة الدولة على إنتاج وتوظيف تكنولوجيات جديدة في سياستها الاقتصادية والعسكرية والثقافية والعلمية، والأهم أن الدبلوماسية العلمية لها القدرة على تجاوز الحدود الأيديولوجية؛ لأن العلم يسعى لتوفير بيئة محايدة أو على الأقل شبه محايدة للتبادل الحر للأفكار بين المجتمعات، وبالتالي فرصة لتحريك الراكد من البيئة السياسية والدولية عبر بوابات الدبلوماسية التقليدية.

ويظهر لنا رغم حفاظ المهمة الدبلوماسية على قيمها وفلسفتها الراسخة في التاريخ القديم، فإنها تبعث دائمًا في روحها التجديد، وقدرتها على الاتصال والتواصل مع مشاكل العصر الراهن، رغم أن جلدها لا يتغير لونه، بقدر ما يصنع في جدران المنازل ويضع الإقفال ويرسم نوافذ جديدة تساعد سكان المنزل, وهم البشر, على مواجهة الظروف الجديدة عبر الاستجابة والتكيف، وهذا هدف الكتاب الذي بدأت أُفكر فيه منذ سنوات، ونشرت عدة بحوث ومقالات حول الموضوع الذي أعتقد بأنه حان وقت الالتفات إليه.

رغم أن ولادة الدبلوماسية العلمية كانت عمليًّا من رحم منطقتنا في الشرق الأوسط، وتحديدًا من بلدي العراق، إذ إن إسهامات حضارة بلاد الرافدين في الحضارة العالمية عظيمة جدًّا؛ لأن معظم التكنولوجيا الأساسية التي دعمت الحياة البشرية كي يبدأ الإنتاج الصناعي

بالسيطرة على عالمنا المعاصر، تم ابتكارها لأول مرة في ذلك الجزء من العالم، كما أن العلوم والإحداث والمعارف والابتكارات التي وثقتها المدونات والألواح الطينية السومرية شكلت مصدرًا حضاريًّا وثقافيًّا وعلميًّا وروحيًّا واجتماعيًّا للحضارات الأخرى، مثل السومرية والأكدية والآشورية والبابلية والمصرية واليونانية والهندية ولأجيال وأجيال من بعدهم، وقد تغلغلت تلك الدبلوماسية العلمية والثقافية وانتقلت وتفاعلت مع عالم اليوم, وصارت جزءًا منه بفعل دبلوماسية العلم والتكنولوجيا والابتكار لحضارة بلاد الرافدين، ثم انتقلت منها إلى أوروبا، إذ كانت إسبانيا وإيطاليا الجسور الحضارية ما بين العرب وأوروبا، وعلى دعائم هذا الجسر، نُقِلت الدبلوماسية العلمية من حواضن المعرفة العربية(بغداد) وغيرها إلى تخوم أوروبا، وشرعت بحوار حضاري وعلمي ومعرفي لم يُستغَل سياسيًّا مثلما يحصل اليوم من تراجع في التعاون الدولي؛ بسبب الصراعات والمصالح التي يعج بها عالمنا اليوم.

وبما أن سياسات التكيف وتبني الاستراتيجيات خلقت نوعًا من التأثير المتبادل بين الدبلوماسية ومؤسساتها، وانعكس ذلك في عمليات استحداث الأقسام والمكاتب الجديدة في هياكل وزارات الخارجية، وتوظيف وسائل وأدوات جديدة في النشاط الخارجي للدولة، وبما أن الدبلوماسية في ديناميكية مستمرة, فإن وزارة الخارجية تتغير بتغيير مسارات ومناهج الدبلوماسية وتستجيب لتصوراتها، وكذلك تمثل الدبلوماسية انعكاسًا للسياسة الخارجية المتغيرة تبعًا لمقتضيات ومصالح البلدان والتفاعلات بين بيئتها الداخلية والخارجية، وبالتالي أثمر هذا التأثير المتبادل عن تحسين وتطوير مناهج العمل، وقدرات وأساليب بعضهما البعض، وكم أتمنى أن يتحقق حلمي بأن أجد عبارة (دائرة الدبلوماسية العلمية) تتصدر هياكل وزارات الخارجية وعلى رأسها العربية.

وإنه في الإمكان البناء على الإرث القديم الجديد من دبلوماسية العلوم وصناعها منذ زمن حضارة العراق القديم(3500 عام قبل الميلاد)، وبعدها الحضارة العباسية في بغداد(830 ميلادي)، ومن ثم أيام الحرب

> **تتشكل الدبلوماسية العلمية من عملية توظيف وإدراج العلوم والتكنولوجيا في الأداء الدبلوماسي والنشاط الخارجي للدول وانبثق عن هذا الاندماج مبادرات ومنتديات عالمية لتعزيز التعاون البحثي والعلمي.**

الباردة، ولغاية عصرنا، إذ نحن الآن بأمس الحاجة لهذا النوع من الدبلوماسية العلمية لمعالجة أو الحد من مخاطر قضايا, مثل الزلازل التي ضربت دول مثل تركيا وسوريا، وما زالت آثارها تقلق الدول والشعوب المجاورة، فهل من سبيل غير دمج العلوم والدبلوماسية للتعاون في رصد الزلازل وتجنب آثارها، وتبادل الخبرات في مجال هندسة البناء في محاولة للحفاظ على المباني وممكن تدمير السدود والبشر، فلماذا نهرع لمعالجة الآثار كرد فعل ولا نسعى إلى اتقاء الفعل وتجنبه بالقدر الكافي لحفظ الأرواح البشرية والعمارة، فضلًا عن بناء الثقة وتعزيز روح التعاون بين الدول في شتى المجالات؛ بغية التصدي للتحديات التي تشكل أكثر المخاطر تهديدًا لكوكبنا والحياة البشرية.

يحكي قصة فحواها أن الحضارة السومرية على عظمتها وعلو شأنها لم تكن تدير أمور الحكم بطيش وفوضى وقتال باستخدام القوة الصلبة, كما هي تُعرَف اليوم، بل كانوا يجمعون مواطنيهم من ذوي الجاه والمراتب العليا للتشاور في شؤون الحرب والسلم, وشؤون الدولة الخطيرة أو قضايا الأمن القومي كما تُعرَف اليوم، وكانت هناك مجموعات استشارية متميزة تجتمع لتبادل الآراء بطريقة ديمقراطية وحضارية, وكان هذا في مطلع التاريخ

السومري (5000 ق.م)، الأمر الذي يدل على عبقرية العقل العراقي الأول الذي استخدم أدوات دبلوماسية لم تقتصر على الحرب والقوة الصلبة. فأين نحن اليوم من هذا الشاخص والإرث التاريخي؟. كانت هذه القصة هي مدخل لفهم عالم الدبلوماسية الحديث, وما وصل إليه من مسارات متعددة في عالم اليوم.

إذ إن أول ممارسات للدبلوماسية كانت في حضارة وادي الرافدين، إذ يقول دوليل (Delisle) في معرض طرحه لآثار الدبلوماسية: "ثمة آثار للممارسة الدبلوماسية وُجِدت على الألواح الأشورية مع شعوب أخرى, مما يثبت وجود علاقات ذات طابع دولي تأسست بين الشعوب القديمة منذ (3500 3000- ق.م)، وكانت الدبلوماسية أكثر نشاطًا في ذلك التاريخ في منطقة أرض بلاد الرافدين, وتمتد لاحقًا إلى وادي النيل".

وهناك نقوش مسمارية تفيد قيام علاقات دولية واتفاق دبلوماسي بين مدينتي (لكش) وملكها (ينـي كرزو) و(أوما) وملكها (شارا)، بتوسط ملك (كيش) وهو (ساتزان) وكان الاتفاق حول تخطيط الحدود بين الدولتين, إذ جعلوا قناة (كرزو)هي الحد الفاصل بينهما، وبذلك تكون حضارات أجدادنا العراقيين سومر وأكد وأشور وبابل قد عرفت الدبلوماسية في العصور القديمة قبل غيرهم.

لكن مع عراقة الدبلوماسية يتضح من خلال مراجعة كتب التاريخ أن الدبلوماسية في كثير من الأوقات أظهرت عجزًا واضحًا في تجنب الحروب والنزاعات، فلم تجنب البشرية ويلات الحربين العالميتين، ومن قبلها حروب المائة عام، ومن قبلها وبعدها حروب ونزاعات أخرى، ولم يهنأ العالم بالسلام منذ عام 1945 ولغاية يومنا، مما يكشف مدى إخفاقها في تأدية وظيفتها الأساسية, وهي إحلال السلام، حول مستقبل الدبلوماسية، ولا نريد أن يتبادر إلى ذهن القارئ وكأننا نستهدف الدبلوماسية لنظهرها بالموقف الضعيف أو الفاشل، أو نحملها كل الأخطاء لأنها بكل بساطة في منظور السياسة هي وسيلة لتنفيذ وتطبيق أهداف وخيارات السياسة الخارجية، وأن فشلها وعجزها إنما يعني عجز السياسة الخارجية.

إذن لا بد من البحث عن طريقة لإحياء الدبلوماسية لتكون قادرة على التصدي ومعالجة التحديات والتهديدات المشار إليها آنفًا، وحينها يأتي طرح الأسئلة:

هل العلم والدبلوماسية عالمان متباعدان أم متكاملان ؟

يرى البعض أن العلاقة انتابها التوتر والتقاطع وعدم الارتياح، وأنهما عالمان متباعدان، استنادًا إلى قضايا أخلاقية ودينية وبراغماتية، إذ إن أيدولوجيا ومصالح الدولة تفرض حالة من التوجس من العلوم والعلماء وأطروحاتهم. تاريخيًا حين أعلن غاليلو اكتشافه

دوران الأرض حول الشمس، قامت محاكم التفتيش، التابعة للكنيسة الكاثوليكية، بمحاكمته على أساس أن هذا الاكتشاف بمثابة هرطقة، لكننا نرى أن العلم والدبلوماسية عالمان يشكلان تكاملًا, ويتشاطران هموم الإنسانية، إذ لعبا دورًا مهمًّا في الحضارة المترابطة منذ نشأتها، وهذا ما أميل إليه شخصيًّا، فسجل التاريخ يخبرنا بأنه قد تبادلت الحضارات القديمة, في بلاد الرافدين ومصر وغيرها، الأطباء لعلاج بلاط الملوك وحاشيتهم، وتناقلت فيما بينها العناصر الثقافية والعلمية من خلال التجارة والتعاون، سيما أن هناك تلازمًا وظيفيًّا بين العلم والدبلوماسية، من خلال مراجعة محاضرتي السوسيولوجي وعالم السياسة ماكس فيبر بعنوان(العلم بوصفه حرفة) و(السياسة بوصفها حرفة)، لتؤكد ضرورة توازنهما وتشاطرهما المسؤولية لبناء الأوطان.

هل يمكن أن يكون الدبلوماسي عالِمًا أم العالِم دبلوماسيًّا؟

هناك من يرى أن العلماء لا يصلحون لممارسة العمل الدبلوماسي، وآخرون يرون أن مهمة جعل العالِم دبلوماسيًّا عملية أسهل بكثير من أن تجعل الدبلوماسي عالمًا، والبعض الآخر يرى أن التدريب ضروري للمهنتين لتحصيل عملية الاندماج، وبالتالي فإن إرسال مبعوث لا يجيد التحدث بلغة العلوم سيؤدي إلى فشل المهمة التفاوضية أو الدبلوماسية، خصوصًا في خضم تعقيدات المسرح العالمي وتحدياته التي يقابلها تراجع وعجز في الأداء الدبلوماسي التقليدي، كما أن الدبلوماسي الذي يُعَدُّ خارج دائرة التخصصات العلمية فإنه مهما اجتهد سيجد صعوبة في أن يكون عالمًا متخصصًا؛ لأن بعض المفاوضات والمواقف تتطلب إلمامًا ومعرفة وتخصصًا بأمور علمية بحتة, ليس لدى الدبلوماسي أي إحاطة بها.

إذ يشير تقرير صادر عن مركز ويلتون بارك (Wilton Park) إلى وجود توترات بين العلم والدبلوماسية، وأنه في بعض الأحيان يلاحظ تعثرًا في أداء الدبلوماسيين؛ بسبب افتقارهم إلى الفهم العلمي في المفاوضات، وبالتالي فإن نقص التدريب العلمي بين الدبلوماسيين هو موضوع مهم ورئيس يحتاج إلى معالجة، ويضيف التقرير مع

> **لا تستطيع أية دولة أن تدير ظهرها لهذا النمط الجديد من الدبلوماسية العلمية وأنه عاجلًا أم آجلًا ستنخرط الدول ووزارات الخارجية بشكل اضطراري في شبكات لمشاطرة هموم الكوكب والحياة البشرية فيما بينها.**

أن طبيعة المهنتين الدبلوماسي والعالِم مختلفتان، فإنه يؤكد على أن أهمية العلم تزداد في عالَم الغد العالمي مما يستدعي من الدبلوماسيين اتقان لغة العلوم، وعليه يرى عالم الفيزياء الأمريكي والمستشار السابق لوزير الخارجية الأمريكي للعلوم والتكنولوجيا، الدكتور ويليام كولجلازير (1)(William Colglazier)، أنه لا يوجد عالِم دبلوماسي بالمعنى المجرد، ولكن «هناك علماء يمارسون الدبلوماسية بطريقتهم الخاصة، فالعلم يخدم الدبلوماسية، حين تخدم الدبلوماسية العلم»، لذلك يستطيع العالِم أن يجمع ما بين العلم والدبلوماسية، فهو يحمل حقيبته ويغادر وطنه في رحلة للمشاركة في ندوة أو ورشة أو مؤتمر، بهدف توظيف وتسخير علومه ومعارفه لخدمة المجتمع والإنسانية.

وعليه نعتقد أنه بات واجبًا على وزارات الخارجية التفكر في تلك الشبكات العنكبوتية للمشورة العلمية والتكنولوجية, فضلًا عن التمعن بمخرجات «حوار فيينا»، و «حوار تايلور» وضرورة تدارس تلك المواضيع مع مؤسسات الدولة وصانعي القرار السياسي، لاتخاذ الإجراءات السريعة لتبني محاور ومخرجات تلك الحوارات الدولية ضمن أولويات سياساتها الخارجية، وضرورة التعجيل في السعي للانخراط في تلك الشبكات المشورة

العلمية والتكنولوجية لوزارات الخارجية التي إلى غاية الآن لم تنتبه أغلب وزارات الدول إليها، وكأن الأمر لا يعينها أو أن الموضوع لغرض الترفيه ليس أكثر، لكن الحقيقة أن الموضوع يخص مستقبل الأجيال والكوكب الذي يعيش عليه ثمانية مليارات نسمة مما يستدعي التحرك السريع باتجاه التعاون والانخراط في تلك الشبكات التي توفر المشورة لضمان العيش بسلام وتناغم, لا بالفوضى والحروب والصراعات الحتمية بسبب تحمض المحيطات وتحذيرات الأمم المتحدة والدراسات الدولية من قلة المياه وارتفاع درجات الحرارة وارتفاع مناسيب البحار وغرق المدن والتصحر والجفاف وعدم إمكانية تحقيق الأمن الغذائي الذي سيؤدي حتمًا إلى النزوح والهجرة الجماعية والفوضى على حدود الدول, وبالتالي ستضطر الدول إلى غلق حدودها والتعامل مع النزوح البشري بطرق قد تؤدي إلى التفكير في التخلص من تلك الجماعات البشرية بأبشع الأسلحة أو صناعة وتوجيه الأوبئة والأمراض ضدهم، ولن تستطيع البلدان المتخلفة علميًّا حماية شعوبها ولا إدانة تلك الدول المتطورة علميًّا وتكنولوجيًّا لصعوبة امتلاك الأدلة العلمية، وممكن أن تصبح تلك البلدان وشعوبها المتخلفة علميًّا وتكنولوجيًّا عبأً ثقيلًا على المجتمع الدولي والبلدان المتطورة علميًّا وتكنولوجيًّا التي ستبيح لنفسها فكرة التخلص من تلك الشعوب الفقيرة والجائعة بشتى أنواع الطرق، ولهذا فهي الحل قبل الهلاك الأخير.

ثم يعرج الكاتب على دور الترابط الحضاري في تعزيز دور الدبلوماسية العلمية في المجتمعات الإنسانية، بدءًا من فضل حضارات العراق القديم في سومر وأكد وبابل وآشور على الحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية والإغريقية والرومانية في انتقال عناصر الثقافة عبر دبلوماسية العلم خلال التجارة والتعاون، ومن ثم فضل الحضارة العربية الإسلامية على الحضارة العالمية عبر الخلافة العباسية وعاصمتها بغداد (أول مدينة للدبلوماسية العلمية في مفهومها الجديد)، و«دار الحكمة» (أول أكاديمية للدبلوماسية العلمية) في ترجمة العلوم ونقلها إلى الغرب والحضارة الأوروبية عبر بوابة الأندلس(إسبانيا)، والتفاصيل المشوقة التي يرويها الكاتب, وعالمية اللغة العربية في تعزيز دبلوماسية العلوم.

وفي الختام يتناول المؤلف موضوع ثورة الدبلوماسية العلمية على هياكل ومؤسسات السياسة الخارجية، واستحداث وظيفة «المستشار العلمي» لرؤساء الحكومات، ووزراء الخارجية في بعض البلدان، ويدعو إلى استحداث وظيفة « القنصل العلمي» لاعتبارات أشار إليها في كتابه الموسوم كونها الخيار الأخير لتجنب البشرية الهلاك القادم, ذاكرًا بعض تطبيقات الدبلوماسية العلمية مثل الدبلوماسية العلمية للولايات المتحدة الأمريكية كنموذج للقارة الأمريكية، والدبلوماسية العلمية للصين عن قارة آسيا، والدبلوماسية العلمية لإسبانيا عن قارة أوروبا، والعالم العربي عن الشرق الأوسط.

1- ويليام كولجلازر، عالم فيزياء أمريكي، وُلِد عام 1944، رئيس تحرير مجلة العلوم والدبلوماسية (sciencediplomacy.org) وباحث أول في مركز دبلوماسية العلوم في الرابطة الأمريكية لتقدم العلوم (AAAS). يعمل على تعزيز المعرفة والممارسة في سياسة العلوم ودبلوماسية العلوم ودعم التعاون الدولي في العلوم والتكنولوجيا. شغل منصب مستشار العلوم والتكنولوجيا الرابع لوزير الخارجية من 2011 إلى 2014، كان دوره هو تقديم الخبرة العلمية والتقنية والمشورة لدعم تطوير وتنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية، وشغل منصب المسؤول التنفيذي للأكاديمية الوطنية الأمريكية للعلوم (NAS) والمجلس القومي للبحوث (NRC)، من عام 1994 إلى 2011.

ترجمة: سعود معن

جوزيف ناي: يمكنك الإكراه بالوسائل الاقتصادية

" يقول أستاذ جامعة هارفارد الذي صاغ مصطلح «القوة الناعمة» إن الاضطرابات التي تواجه الولايات المتحدة الأمريكية والكلية التي يعمل فيها كانت أسوأ في ستينيات القرن العشرين"[1]

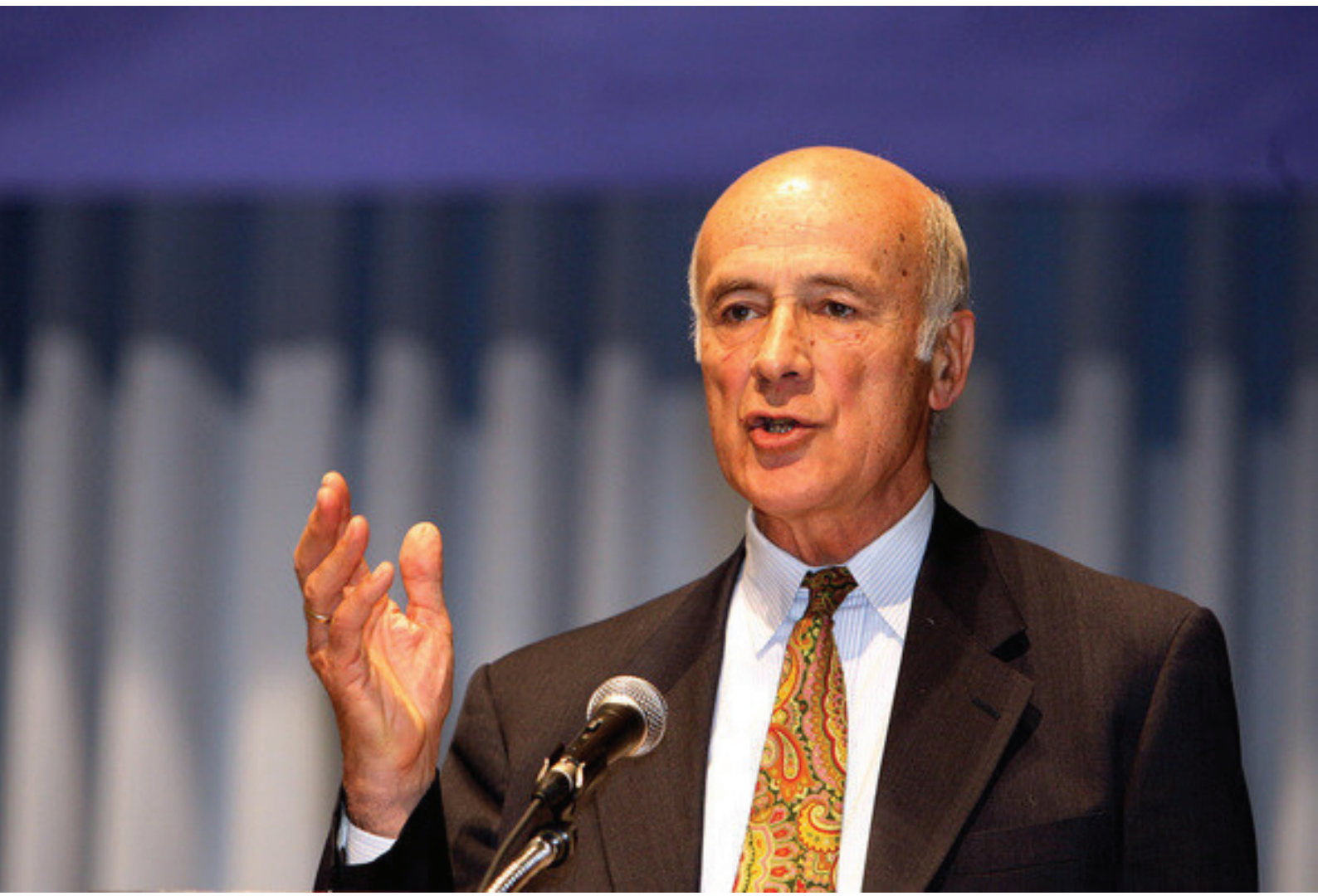

لعـدة عقـود، كان جوزيـف نـاي أحـد المفكريـن المؤثريـن في العلاقـات الدوليـة، وكيـف لا، وهو قد صاغ مصطلـح «القـوة الناعمـة»، وجـادل مـع الأكاديمـي روبـرت كيوهـان بـأن الـدول يمكـن أن تصبـح مترابطة اقتصاديًّا لدرجـة أن القـوة العسـكرية لـم تعـد العامـل الأكثـر حسـمًا بينهـا.

ولكـن في مذكراتـه (حيـاة في القـرن الأميركـي) التـي صـدرت مؤخـرًا, يفسـر نـاي التقلبـات الحاليـة في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة بفكـرة أبسـط, وهـي أن السياسـة دوريـة، إذ يقول:(سـيقول النـاس اليـوم، هـل سـبق لـك أن رأيـت حقبـة سـيئة مثـل هـذه؟ أقـول، نعـم، فقـد كانـت سـتينيات القـرن العشـرين أسـوأ. فقـد كان لدينـا اغتيـالات كبيـرة، ومـدن مشـتعلة، ورئاسـتان فاشـلتان متمثلـة برئاسـتي ليندون جونسـون وريتشـارد نيكسـون).

وينطبـق الشـيء نفسـه علـى جامعـة هارفـارد، الجامعـة التـي قضـى فيهـا نـاي معظـم حياتـه المهنيـة, وحيـث قـام بإرشـاد النخبـة الدبلوماسـية في كليـة كينيـدي للإدارة الحكوميـة، وقـد اسـتقالت رئيسـتها، كلوديـن جـاي، هـذا الشـهر بعـد تعرضهـا لانتقـادات؛ بسـبب إجاباتهـا في جلسـة اسـتماع في الكونجـرس حول معـاداة السـامية واتهامهـا بالسـرقة الأدبيـة. ويطالـب بيـل أكمـان، ملياردير صنـدوق التحـوط المؤيد بشـدة للكيـان الإسـرائيلي, بمزيـد مـن التغييـرات.

إذ يعلـق نـاي بهـذا الصـدد, وهـو محـاط بتـذكارات الصيـد في منزلـه في ليكسـينغتون/ ماساتشوسـتس, «بالمقارنـة مـع الاضطرابـات في جامعـة هارفـارد في سـتينيات القـرن العشـرين، فـإن مـا نـراه اليـوم لهـو أمـر مؤسـف، ولكـن بنفـس الوقـت فهـو أمـر معتدل». خلال الاحتجاجـات علـى فيتنـام، تـم زرع قنبلة في مبنى مركـزه, إذ يقـول: «لقـد تعـرض مكتبـي للنهـب ثلاث أو أربـع مـرات، مـع سـحب أرفـف الكتـب وإلقـاء الآلات الكاتبـة. أتذكـر ذات مـرة أننـي اتصلـت بالشـرطة وقلـت إن هنـاك حشـدًا يهاجـم بنايتنـا. قالـوا: نحـن

جوزيف ناي: لقد قام الأمريكان بأشياء حمقاء للغاية، كما في حربي فيتنام والعراق على وجه الخصوص فلا يوجد سبب واقعي لعدم التفكير في أننا يمكن أن نفعل أشياء غبية مرة أخرى.

نعلـم ذلـك، ولكـن لا يوجـد شـيء يمكننـا القيـام بـه حيـال ذلـك.

ألا يقلـق نـاي مـن وجـود تهديـد جديـد لجامعـة هارفـارد - كحملـة مـن قِبَـل شـخصيات بـارزة في السياسـة والأعمـال لتقويـض جامعـات النخبـة؟ وهنـا يعلـق نـاي بقولـه «عندمـا يحـاول ملياردير إدارة الجامعـة فعـل هـذا الأمـر، بـدلًا مـن مجـرد وضـع أسـمائهم علـى المبانـي، فهـذا مسـار خطيـر للغايـة للنـزول إليـه». كمـا أن حظـر مجموعـات معينـة أمـر «خطيـر» فيمـا يخـص حريـة التعبيـر, لكننـي أفضـل هـذه المشـاكل؛ لأننـي أعتقـد أنهـا أكثـر قابليـة للحـل والتبسـيط ممـا كانـت عليـه عندمـا تنفجـر القنابـل.

خـدم نـاي في إدارتـي كارتـر وكلينتـون, وتوقـع أن تكـون إدارة ترامـب الأولـى عبـارة عـن حـادث طريـق خطيـر إلا أنـه ليـس حادثًـا مميتًـا (كلمـات رنانـة، بالنظـر إلـى أنـه في عـام 2015 نجـا نـاي مـن حـادث سـيارة بعـد أن فقـد وعيـه علـى عجلـة القيـادة). اليـوم لديـه تفـاؤل حـذر بشـأن تداعيـات ولايـة ترامـب الثانيـة المحتملـة.

ويضيـف نـاي «إذا كان التاريـخ مثـالًا علـى ذلـك، فيجـب أن نكـون قادريـن علـى التغلـب عليـه. ففـي

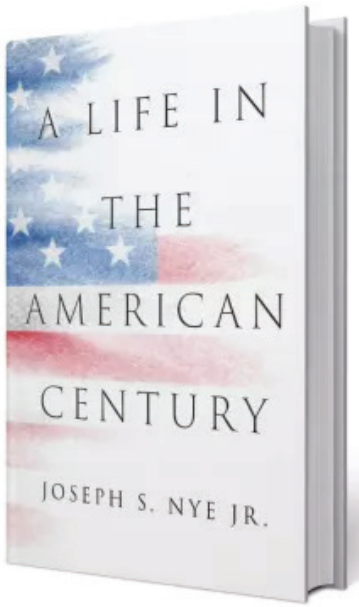

ثلاثينيات القرن العشرين، اعتقد فرانكلين روزفلت أن هناك خطرًا من أن الديمقراطية يمكن أن تضيع في أمريكا. فهناك ما يكفي من المرونة في المؤسسات، وفي المجتمع المدني، بحيث إنه من المحتمل أن نتعافى من ولاية ترامب الثانية. لكن هذا لا يعني أننا لن نمر بعقد سيئ للغاية».

ويعلق ناي: «لقد قام الأمريكان بأشياء حمقاء للغاية، كما في حربي فيتنام والعراق على وجه الخصوص. فلا يوجد سبب واقعي لعدم التفكير في أننا يمكن أن نفعل أشياء غبية مرة أخرى «.

بدأ ناي البحث في السياسة الأفريقية، لكنه رأى سوء الحكم بعد الاستقلال، إذ قرر أنه لا يريد أن يصبح ناقدًا لاذعًا للقادة الأفارقة لبقية حياته». وبناءً على ذلك، عاد للتركيز على السياسة الأمريكية الداخلية.

في عام 1987م ادعى المؤرخ البريطاني بول كينيدي أن الولايات المتحدة محكوم عليها بالانحدار, وردًّا على ذلك، توصل ناي إلى فكرة القوة الناعمة, ليجادل بأن الولايات المتحدة ستظل قادرة على ممارسة النفوذ، وإن كان من نوع مختلف.

وإذا ما أردنا أن نعرف مصطلح القوة الناعمة وماهيته، فإننا نستطيع القول بأنها: هي القدرة على الحصول على ما تريد من خلال الجذب، بدلًا عن الإكراه أو الدفع, ويشمل ذلك الأمر النداء الثقافي من «هارفارد إلى هوليوود». تم تشويه ذلك المفهوم عندما دخل التيار السائد والمتمثل بالقول التالي: لسوء الحظ، يعتقد الكثير من الأشخاص الذين يستخدمونه أنه يعني أي شيء آخر غير القوة العسكرية, إذ يمكنك الإكراه بالوسائل الاقتصادية.

ومن الجدير بالذكر أن القوة الناعمة قد استحوذت على خيال القادة الصينيين في أوائل الألفينيات, لكن الأحداث في أوكرانيا وغزة أكدت أهمية القوة الصلبة. وعليه قد يسأل سائل السؤال الآتي: هل كانت القوة الناعمة مبالغًا فيها؟

ويرى ناي معبرًا بقوله: «عندما تتعامل مع الحروب، فإنه سيكون من الغباء ألا تبدأ بالقوة

العسكرية. لكن هذه ليست القصة كلها. ففي أوكرانيا، أدرك زيلينسكي أن ارتداء قميص أخضر ولعب دور الضحية من شأنه أن ينمي التعاطف. كان بارعًا في استخدام القوة الناعمة، وترجم ذلك إلى قوة صلبة، تمثلت بشكل شحنات من المعدات العسكرية. وعليه يمكن القول بأن القوة الصلبة هي الجوهر، لكن القوة الناعمة تلعب دورًا مساعدًا».

ويعطي ناي خمسة أسباب لعدم تفوق الصين بالضرورة على الولايات المتحدة، والمتمثلة بالجغرافيا والجيران الودودين, إمدادات الطاقة المحلية, النظام المالي القائم على الدولار, التركيبة السكانية, والريادة التقنية.

يقول ناي إنه قد لاحظ أن أيًّا من هذه العوامل لا يشمل القوة الناعمة, وإن السبب في ذلك هو أنهم يهدفون إلى مقابلة منتقديه بشروطهم الخاصة, لكنه يجادل بأن الصين، على الرغم من مرور عشرين عامًا من الاستثمار في معاهد كونفوشيوس لتعزيز وجهات نظرها، فإنها متخلفة عن القوة الناعمة أيضًا, إذ تظهر استطلاعات بيو أن الولايات المتحدة أكثر جاذبية من الصين لدول أخرى في آسيا وأمريكا اللاتينية وأستراليا وأوروبا.

ويضيف ناي «لماذا لا تحظى الصين بشعبية في منطقتها؟ الجواب, لأنه يُنظَر إليها على أنها تهديد, إذ من الصعب جدًّا تطوير القوة الناعمة في نيودلهي من خلال إنشاء معهد كونفوشيوس إذا كانت قواتك تقتل القوات الهندية على حدود الهيمالايا.

ومن وجهة نظر استراتيجية، فإنه من الخطأ بنفس القدر التقليل من شأن خصمك والمبالغة في تقديره. وفي الوقت الحالي، فإنه ما يحظى بشعبية في واشنطن هو المبالغة في تقدير الصين». ناي لا يتعاطف مع الصقور (الذين، كما يجادل، يبالغون في تقدير التهديد الصيني)، أو الحمائم (الذين يقللون من شأنه)، ولكنه مثل البومة, ويجادل بأن الحرب بين الصين والولايات المتحدة غير محتملة.

> ناي : عندما تتعامل مع الحروب فإنه سيكون من الغباء ألا تبدأ بالقوة العسكرية.

ومع ذلك، قد تبدو الولايات المتحدة عاجزة, فلقد فشلت في إقناع حليفتها(إسرائيل) بضبط النفس في غزة. فهل كان بإمكانها أن تفعل ذلك في الماضي؟

ويقول ناي: «ليس من الواضح ما إذا كان بإمكانهم فعل ذلك قبل 20 عامًا, وذلك عندما ألمح جورج بوش الأب في عام 1991م إلى أنه يمكن قطع المساعدات الأمريكية, وربما ساعد ذلك في تحفيز عملية أوسلو، لكن ذلك لم يؤدِ إلى حل الدولتين». ويضيف ناي أن «(إسرائيل) ليست الحليف الوحيد الذي أثبت قدرته على مقاومة الولايات المتحدة»، مشيرًا إلى المملكة العربية السعودية وغيرها. في الوقت الحالي، فإن (إسرائيل) تضر بقوتها الناعمة، وبالتالي هذا يضر القوة الناعمة الأمريكية.

أمضى ناي عامين في دفع عدم الانتشار النووي في عهد جيمي كارتر, لكنه فضل القدرة على التفكير بحرية في الأوساط الأكاديمية، حتى لو انخفض تأثيره, فقد كتب في مذكراته «إن إطلاق أفكار سياسية من خارج الحكومة يشبه إسقاط الأموال في بئر عميقة».

في عهد كلينتون، ترأس مجلس الاستخبارات الوطني، وكان مندهشًا عندما أطبع على مقدار الموجز اليومي للرئيس الذي كان بإمكانه تعلمه من خلال قراءة الإيكونوميست أو فاينانشال تايمز أو واشنطن بوست. انتقل ناي بعدها إلى البنتاغون، إذ ألزمت «مبادرة ناي» الولايات المتحدة بشراكة أمنية مع اليابان، بدلًا من المطالبة بتنازلات تجارية من طوكيو وسحب القوات الأمريكية من المنطقة.

ومن الجدير بالذكر أن ناي ينتقد كارتر بلطف؛ لتركيزه المفرط على التفاصيل وأوباما لعدم رده بصواريخ كروز على ادعاء استخدام بشار الأسد للأسلحة الكيميائية في سوريا.

ويرى ناي بأن سياسة بايدن الخارجية يقودها قدامى المحاربين في عهد أوباما، مثل جيك سوليفان وأنتوني بلينكن, فهل تعلموا من الأخطاء السابقة؟، إذ يقول: «لم يفكروا في الانسحاب من أفغانستان عام 2021م, ويضيف، لا أعتقد أن رأينا تحسنًا في أوباما بشأن سوريا، وبايدن بشأن أفغانستان، أعتقد أنهما في نفس الفئة», فقد حافظ كل من أوباما وبايدن على تحالفات الولايات المتحدة, لا يوجد «فرق كبير» بين سجلاتهما.

ناي : تبدو الولايات المتحدة عاجزة فلقد فشلت في إقناع حليفتها (إسرائيل) بضبط النفس في غزة.

كان نهج بايدن تجاه الصين «معقولًا ولكنه حازم». «إذا كان علي أن ألومه على سياسته الآسيوية، فهي ضعيفة في الجانب الاقتصادي. فمن خلال عدم المضي قِدمًا في الشراكة عبر المحيط الهادئ، فقد حرم الولايات المتحدة من التواجد بالمعنى الاقتصادي. وعليه فإن سياسة بايدن الخارجية جيدة يمكن أن تقيم على أنها (ب+) او (أ ب +).

ويجادل ناي بأن بايدن كان كبيرًا في السن في عام 2020, وأنه يرتكب خطأً بالترشح لإعادة انتخابه, فقد كان بايدن سيكون أفضل لو أنه خدم لفترة ولاية واحدة, وانسحب كبطل من التاريخ الأمريكي. أنقذ أمريكا من ترامب ثم مهد الطريق لجيل أصغر من سياسيي الحزب الديمقراطي.

ويقول ناي: «الناس في الثمانينيات من العمر ليس لديهم نفس الدرجة من الطاقة التي كانوا يتمتعون بها في الستينيات أو السبعينيات»، فأنا نفسي وبعمر الـ86 لا أدري ماذا سيحدث لصحتي، ولكن إذا نظرت فقط إلى الجداول الاكتوارية، والاحتمالات حول ظهور الأمراض المختلفة، فهذه أسباب لعدم المضي قِدمًا في الثمانينيات من عمرك.

_____

1 - مصدر المقال: صحيفة الفاينانشال تايمز

حوار

النشاط الأبرز للمعهد العراقي للحوار

حوار المناخ الدولي

إعداد: رائد محسن داوود

برعايةٍ وتنظيمٍ من قِبَل المعهد العراقي للحوار وكلية العلوم السياسية جامعة بغداد, عُقِدَ في بغداد ولمدة يومين 2-2023/11/3 مؤتمر(حوار المناخ الدولي)؛ لغرض مناقشة كافة القضايا والتحديات المتعلقة بالمناخ, وأثرها على العراق والمنطقة من خلال الحوار والمشاركات؛ كون الحوار هو السبيل الوحيد للتوازن والانسجام، تقدم مجلة حوار الفكر أبرز النقاط المطروحة في المؤتمر.

بدايةً افتتح المؤتمر مدير المعهد العراقي للحوار الدكتور عباس راضي العامري في كلمته التي أشار فيها إلى (أن العالم يشهد موجة مخيفة من التغيرات المناخية, تتفاوت استعدادت الدول لمواجهتها والحد من تأثيراتها، ولأن العراق هو الدولة الخامسة عالميًّا من حيث التأثر بذلك فقد كان لزامًا على كل نخبه وسلطاته، بل وعلى مواطنيه أن يستنفروا للقيام بواجبهم الأخلاقي تجاه وطنهم. نعقد مؤتمرنا هذا في الوقت الذي تشهد فيه المنطقة تحولًا جيوسياسيًّا كبيرًا يتمثل بطوفان الأقصى. إن العدو الغاصب استنفد كل وحشيته للإيغال بظلم الشعب الفلسطيني حتى استخدم الأسلحة والغازات المحرمة التي ستترك أثرًا كبيرًا يطول تأثيره على البيئة والإنسان على حد سواء).

مؤكدًا إلى بذل جهد كبير من أجل عقد مؤتمر (التغييرات المناخية انعكاسات الأمن والتنمية)؛ لكي نكون بارين بالجهد الحكومي الكبير في مؤتمر البصرة

الدولي للمناخ, ومن أجل تراكم عراقي للعمل في هذا المسار لتطويق خطر التغيرات المناخية, ودفع الضرر عن شعبنا الذي ينظر بعين الأمل لنخبه وأكاديمياته وجامعاته ومراكز أبحاثه وقبلهم إلى حكومته وهي تجتاز عامها الأول بوجه أبيض وخطوات مدروسة على مختلف الصعد, وبتوقيتات زمنية هي الأولى التزامًا وتطبيقًا ومعالجة للحيود منذ 2003.

وفي المسار ذاته نعكف على ترجمة يومية لكل ما يتطور من حلول أو يستجد من مشكلات مناخية وبيئية تتصل بالعراق أو المنطقة وتنعكس على العراق، ونصدرها في مجلة Iraq Copy كل عشرة أيام، وقد تُوِّج هذا الجهد بإكمال ترجمة مهمة لمجموعة مقالات استراتيجية جُمِعت في كتاب حمل عنوان (ناقوس الخطر يدق في بلاد الرافدين. . الآثار الأمنية والاجتماعية للتحولات المناخية في العراق)، وباعتقادنا سيمثل دليلًا للعاملين في هذا القطاع.

في السياق ذاته عبر عميد كلية العلوم السياسية في جامعة بغداد عن سعادته لعقد المؤتمر في رحاب جامعة بغداد، مشيرًا إلى أن التغير المناخي نتيجة لإسهامات الجميع، ولذلك نتحمل المسؤولية فيه كما نحمل الآخرين المسؤولية، كلٌّ بحسب مبدأ المسؤوليات المشتركة. إن التحدي الأشد حرجًا الذي يجعل العراق أكثر تهددًا بالتغير المناخي, وقوعه بين أكثر خمس دول هشاشة في مواجهة صدمات التغيير المناخي, كارتفاع درجات الحرارة والعواصف الرملية والترابية، والجفاف والتصحر، وندرة المياه، التي تتناقص تدفقاتها سنويًّا في النهرين الخالدين دجلة والفرات، إضافة إلى سياسات دول المنبع يرافقها ازدياد مضطرد بشحة هطول الأمطار، الذي يعاني البلد فيه للموسم السادس على التوالي من الجفاف.

إن مشكلة التغير المناخي متعددة المستويات، وبالغة التعقيد، وتلقي بظلالها على المجالات كافة، التي ستمتد عواقبها لسنوات طويلة، تطال مختلف أوجه الحياة والإنتاج والنشاط الإنساني، وتترتب عليه أزمات اجتماعية واقتصادية وأمنية متداخلة ومعقدة، ولا سيما في المجتمعات المحلية الأكثر هشاشة وتضررًا، فضلًا عن إمكان استغلالها في تغذية الصراعات والمنازعات المحلية

> **العراق هو الدولة الخامسة عالميًّا من حيث التأثر بالمناخ بذلك فقد كان لزامًا على كل نخبه وسلطاته، بل وعلى مواطنيه أن يستنفروا للقيام بواجبهم الأخلاقي تجاه وطنهم.**

والإقليمية من قِبَل المنظمات الإرهابية, إذا لم نلتفت لها ونكرّس الجهود الوطنية لتداركها.

وفي كلمته أشار فخامة رئيس الجمهورية الدكتور عبد اللطيف جمال رشيد إلى أن العراق واجه خلال العقود الماضية تحديات كبيرة، وعانى من ظلم أنظمة شمولية أدخلته في حروبٍ إقليمية، وحصارٍ دولي واحتلال، وأخيرًا ظهور تنظيم داعش الإرهابي، الذي انتصرنا عليه بدماء شهدائنا وتضحيات شعبنا ووحدة كلمتنا، واليوم نناقش تحديًّا من نوع آخر يهدد العالم والبشرية بأجمعها، وهو تغيّر المناخ، الناجم عن نشاط الاقتصاد العالمي الحديث واعتماده غير المحدود، على الوقود الأحفوري (Fossil fuel) المسبّب لانبعاثات متزايدة من الغازات الدفيئة – وأهمها ثاني أوكسيد الكاربون.

مشيرًا إلى أن الانبعاثات غير المحدودة للغازات الدفيئة بدأت بالتأثير على المناخ في شتى أنحاء العالم، فكان من نتائجها المباشرة الفيضانات والحرائق وموجات الحر الاستثنائية في كثير من دول العالم والعواصف الترابية وشحة الأمطار التي عاشتها منطقتنا في السنين الأخيرة وخاصة العراق. وإذا ما استمر الوضع على ما هو عليه، فإن التهديد سيطال جميع جوانب حياتنا، في الغذاء

> مشكلة التغير المناخي متعددة المستويات، وبالغة التعقيد وتلقي بظلالها على المجالات كافة، التي ستمتد عواقبها لسنوات طويلة.

والأمـن والصحـة والبيئـة والاقتصـاد، وهـو مـا يوجـب علينـا جميعًـا العمـل لمجابهـة هـذه التحديـات الحقيقيـة.

والعـراق وإلـى وقـتٍ قريـب كان مـن البلـدان المكتفيـة ذاتيًـا بالنسـبة للغـذاء، وكانـت وزارتـا المـوارد المائيـة والزراعـة تعـملان معًـا لتوفيـر احتياجـات المزارعيـن مـن ميـاه ومعـدات ومـواد أوليـة.

لكـن الأوضـاع بـدأت بالتغيـر؛ بسـبب شـحة الميـاه التـي أسـهمت بهـا بشـكل أسـاس سياسـات دول المنبـع, وقلـة الأمطـار وسـوء الإدارة.

فخامتـه بيـن أن العـراق يتأثـر بشـكل خـاص بالتغيـرات المناخيـة المباشـرة وغيـر المباشـرة, فنحـن نعانـي مـن ارتفـاع درجـات الحـرارة، وانخفـاض هطـول الأمطـار والتصحـر والجفـاف والعواصـف الترابيـة, وسـيكون لهـذه التغيـرات آثـار مدمـرة، إذ سـتؤدي إلـى تدهـور الأراضـي الزراعيـة، واختفـاء الأهـوار وانخفـاض الإنتـاج الغذائـي، وزيـادة انتشـار الأمـراض, فـضلًا عـن زيـادة الهجـرة إلـى المـدن وزعزعـة الأمـن والاسـتقرار. والعـراق كدولـة نفطيـة سـتعاني كذلـك مـن آثـار غيـر مباشـرة لا تقـل أهميـة عندمـا يقلـص الاقتصـاد العالمـي اعتمـاده علـى الوقـود الأحفـوري.

في ضوء ما تقدم، نرى ضرورة العمل على توعية المواطن وتعميم ثقافة الاهتمام البيئي، ويجب أن تشمل عملية التثقيف كل المستويات التعليمية، بدءاً من الدراسة الابتدائية وتكثيف العمل للحد أو التقليل من أي آثار السلبية يمكن أن يعاني منها العراق.

علينا، كدولة منتجة للنفط وذات سيادة ومسؤولية، أن نعمل على تقليل انبعاثات الغازات الدفيئة من العراق (أي ما يُسمَّى بالتخفيف في العمل المناخي) وهو ما أشرنا إليه في وثيقتنا الوطنية المسجلة ضمن برامج وزارة النفط والمؤسسات التابعة لها، من خلال التوقف عن حرق الميثان، والاستفادة منه لإنتاج الطاقة الكهربائية.

ويجب أن نشير إلى دور وزارة الكهرباء في إبرام عقود لإنتاج الكهرباء من الطاقة النظيفة كالطاقة الشمسية. إن تغير المناخ هو شأنٌ دولي، وقد باشر العالم بالاهتمام به منذ قمة الأرض التي أُقيمت في مدينة ريو دي جانيرو في البرازيل سنة 1992, إذ قامت الأكثرية الكبرى من دول العالم بالتوقيع على الاتفاقية الدولية التي تسعى إلى معالجة قضية التغيرات المناخية, واسمها الكامل هو «اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية حول التغيرات المناخية», وكان العراق حاضرًا في هذه القمة.

معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي الدكتور نعيم العبودي بين أن المؤسسات الرسمية والأكاديمية والعلمية والبحثية، تدلي بدلوها في هذا المضمار، وتقدم تصوراتها وقراءاتها العلمية في سبيل تذليل أبعاد هذه المتغيرات، وتطوير آثارها. إن بلادنا وبكل ما فيها من تنوع جغرافي وبيئي، لها دور مهم في تحقيق التوازن بين متطلبات التنمية والحفاظ على البيئة، مما يوجب علينا اتخاذ إجراءات فاعلة بهدف التصدي للتغير المناخي، وتحسين سبل التكيف مع التحديات الطارئة. إن وتيرة التغيرات المناخية تستدعي من جميع المؤسسات بذل المزيد من السعي والجهد في هذا المجال، والإتيان بكل ما هو مبتكر في مواجهة الآثار البيئية المحتملة إلى جانب جهود المجتمع الدولي, وتعضيد الفرص التي يمكن استثمارها في مجال التعاون محليًا ودوليًا.

> أن العراق يتأثر بشكل خاص بالتغيرات المناخية المباشرة وغير المباشرة، مثل ارتفاع درجات الحرارة وانخفاض هطول الأمطار والتصحر والجفاف والعواصف الترابية.

وإن مثل هذه المؤتمرات لا بد من أن تركز الاهتمام على رفع وعي المجتمع بكل ما يتعلق بقضايا التغيرات المناخية، إلى جانب دعم جهود الباحثين والأساتذة والطلبة في مجال البحوث والابتكارات المكرسة لتخفيف وطأة التغير المناخي، ونحن في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي نعمل جاهدين على تمكين الجامعات من أدوار فاعلة ونشطة في هذه الدائرة، وتكثيف جهودها النوعية وزيادة مساحات النشر، وتوسيع دائرة الرسائل والأطاريح الجامعية المرتبطة بتشخيص هذه الظواهر، وتقديم المعالجات والحلول العلمية، وتعزيز فرص التطوير التي من شأنها أن تسهم في تقديم الحلول المستدامة لمشكلات التغير المناخي.

من جانبه أكد معالي وزير البيئة السيد نزار ناميدي على إيلاء ملف التغيرات المناخية وانعكاساته على مختلف القطاعات في العراق، أولوية في عمل الحكومة، مشيرًا إلى أن حكومة دولة رئيس مجلس الوزراء محمد شياع السوداني أولت اهتمامًا كبيرًا بالقطاع البيئي، تجسد بتقديم الدعم الكامل لوزارة البيئة من خلال توجيه الوزارات والجهات غير المرتبطة بوزارة كافة، بتقديم الدعم لوزارة البيئة وتمكينها من القيام بمهامها، وبما يتلاءم مع دورها المهم، في ظل البيئة من خلال توجيه الوزارات والجهات غير المرتبطة بوزارة كافة، بتقديم الدعم لوزارة البيئة وتمكينها من القيام بمهامها، وبما يتلاءم مع دورها المهم، في ظل تحديات القطاع البيئي والعمل المناخي، إذ يخصص البرنامج الحكومي محورًا للبيئة والتغيرات المناخية والطاقات المتجددة، وحظي هذا القطاع بدعم متميز ولأول مرة في الموازنة العامة الاتحادية لدعم محور البيئة والتغير المناخي موزعة على الوزارات القطاعية.

وتجسد هذا الاهتمام بانعقاد مؤتمر العراق للمناخ في محافظة البصرة، برعاية وحضور رئيس مجلس الوزراء، الذي تمخض عن مخرجات مهمة تؤشر الاهتمام الجدي لمواجهة هذا التحدي وتداعياته، ورسالة إلى المجتمع الدولي والمنظمات وصناديق التمويل الدولية لدعم جهود الحكومة في تنفيذ ما جاء في وثيقة المساهمات المحددة وطنيًا، التي تُعَدُّ مظلة العمل المناخي في العراق.

إذ ركزت مخرجات المؤتمر على استكمال مرحلة التخطيط والانتقال إلى مرحلة التنفيذ في العمل المناخي. ونتيجة الزخم الموجه من الحكومة العراقية لتطوير العمل البيئي والمناخي والدعم، الذي تقدمه وزارة البيئة، فإن الوزارة عملت على جملة من الإجراءات, علمًا أن وزارة البيئة، واستنادًا إلى قانونها، هي وزارة رقابية، وترسم السياسات التي تهدف إلى حماية وتحسين البيئة، وتقترح الحلول الناجعة من أجل أن تُنفَّذ في قطاعات أخرى, واستنادًا إلى البرنامج الحكومي، فإن وزارتنا وضعت موضوع التلوث البيئي، الذي يشمل تلوث الهواء، وتلوث الماء، وتلوث التربة، والتلوث بالإشعاع، والتلوث بالألغام، وكذلك موضوع التغير المناخي من أهم أولوياتها بالعمل، فضلًا عن ذلك، فإن وزارتنا تلقى دعمًا واهتمامًا كبيرين من قِبَل مجلس النواب الموقر، سيما لجنة الصحة والبيئة التي وضعت موضوع التغيير المناخي من ضمن أولوياتها. وتعمل معنا يدًا بيد لتحديث قوانين وزارة البيئة؛ كي تتناسب مع حجم العمل الحالي والتطورات العالمية في قطاع البيئة، والتغير المناخي، والتطور التكنولوجي.

كما تضمن اليوم الأول جلسات حوارية في الجلسة الأولى, إذ أدار سعادة السفير السابق د. فريد ياسين الجلسة, وتحدث السادة الوزراء والمختصون, وهم كُلًّا

من معالي حيان عبد الغني ـ نائب رئيس الوزراء لشؤون الطاقة، ومعالي نزار ناميدي ـ وزير البيئة، ومعالي د. صالح الحسناوي ـ وزير الصحة، ود. كريم خصباك ـ رئيس مجلس الدولة، ود. حسين عبد الأمير ـ وكيل وزارة الموارد المائية.

تكلم معالي النائب رئيس مجلس الوزراء وزير النفط عن دور الوزارة من البرنامج الحكومي عن مواجهة التغييرات مبينًا أن وزارة النفط هي واحدة من الوزارات الرئيسة الخاصة بتوفير موارد الدولة العراقية، و94 بالمائة من موارد الدولة العراقية تأتي من وزارة النفط، ووزارة النفط هي المسؤولة عن توفير الوقود بكافة أنواعه، لذلك حرصت هذه الوزارة والبرنامج الحكومي على اعتماد المعايير العالمية في جميع مؤسساتها بما يضمن عدم وجود أو تخفيف الانبعاثات للأجواء العراقية.

وإن وزارة النفط هي الوزارة المسؤولة عن إنتاج الوقود الأحفوري وليس استهلاك هذا الوقود، لذلك يعني من المفهوم ومن الواضح أن يكون هنالك ثقافة بأن وزارة النفط ليست مسؤولة عن استهلاك الوقود وإنما مسؤولة عن إنتاج الوقود الأحفوري. نحن ننتج هذا الوقود ونصدره ونبيعه, ولا نستهلك هذا الوقود، الذي يستهلك الوقود هو الدول المستهلكة التي تشتري الوقود الأحفوري.

وأشار معاليه إلى أن وزارة النفط أخذت على عاتقها اعتماد المعايير الرئيسة لتقليل الانبعاثات الحرارية، ويأتي ذلك من خلال إطلاق مجموعة من المشاريع التي لها علاقة باستثمار الغاز وتقليل حرق هذه الثروة، لذلك يعني أخذ العقود التي تم توقيعها خلال هذه الفترة خلال السنة من عمر الحكومة، و تضمن باستثمار جميع ما تنتج كناتج عرضي إنتاج الغاز، كما تعلمون أن الغاز الذي يُنتَج في العراق هو عبارة عن غاز مصاحب مرافق لإنتاج النفط. في الفترة السابقة كان هنالك نسب كبيرة من الغاز الذي يُحرَق، ولكن الآن وصلنا إلى نسبة استثمار لهذا الغاز تصل إلى ثمانية وخمسين إلى ستين بالمائة من الغاز المصاحب, يتم استثماره في المشاريع المختلفة ويُوجَّه إلى الشبكة الوطنية الخاصة باستهلاك الطاقة الكهربائية.

عن دور وزارة النفط بيَّن معاليه أنها أطلقت مجموعة من المشاريع, وعلى رأسها مشروع توتال، وهو مشروع متعدد المنافع يتضمن إنتاج النفط واستثمار الغاز إضافة إلى استخدام المياه، مياه البحر لأغراض الدعم المكمني.

الفعالية الأخرى الرئيسة أيضًا هي إنشاء محطة لتوليد الطاقة الكهربائية باستخدام الطاقة الشمسية بطاقة ألف ميجا واط.

هذا المشروع يُعَدُّ من أهم المشاريع الرئيسة التي تبنتها هذه الحكومة خلال هذه الفترة, وتم توقيع العقد مع شركة توتال. المشروع يتضمن استثمار ستمئة مليون قدم مكعب من الغاز الذي يُحرَق الآن في خمسة حقول نفطية رئيسة هي: حقل غرب القرنة اثنين وحقل مجنون وحقل اللحيس وحقل الأرطاوي وحقل الطوبة، وهذه الكمية من الغاز التي سوف تُستثمَر سوف تساهم مساهمة كبيرة في تحسين البيئة وتقليل الانبعاثات الحرارية.

فيما بيَّن السيد وزير الصحة الدكتور صالح الحسناوي بأن وزارته هي متلقي للتغييرات المناخية. معروف أن وزارة الصحة معنية بصحة المواطن العراقي, وليس فقط بمعالجة المرضى، وهذا الجانب الذي نتحدث به عن صحة المواطن نعني به هو الوقاية وتوفير مستلزمات الوقاية ابتداءً من الوعي الصحي واللقاحات والقضايا الأخرى المتعلقة، والمسوحات الصحية والاكتشاف المبكر للأمراض والعلاج ومن ثم التأهيل. من المعروف علميًّا أن ارتفاع درجات الحرارة والتطرف الحراري له تأثير سلبي واضح على صحة الإنسان وبالأخص الفئات الهشة صحيًّا, مثل الأطفال و كبار السن وأيضًا المصابين بالأمراض المزمنة، وإن المرضى المصابين بالأمراض المزمنة تقع عليهم تأثيرات ارتفاع درجات الحرارة, وهي تأثيرات سلبية عليهم، وكذلك الأطفال وكذلك كبار السن، و شاهدنا في الصيف الماضي عدد غير قليل من حالات الإنهاك الحراري، وهذا الإنهاك الحراري حقيقة لا يصيب فقط الفئات الهشة, بل حتى في فئات الشباب, وهذه ظاهرة خطيرة.

في مجال ارتفاع درجات الحرارة والتعرض للإنهاك الحراري والاضطرابات المصاحبة للأمراض المزمنة،

والعامل الأساس الذي نعمل عليه هو الوقاية، والوقاية فقط لا تتحملها وزارة الصحة. الوقاية وقاية مجتمعية، والوعي الصحي وعي مجتمعي، والإعلام ومؤسسات المجتمع المدني والمنابر الدينية، والجامعات، هذه كلها الحقيقة وكل فئات المجتمع، هي الفواعل المجتمعية, كذلك تحريك منظمات المجتمع المدني كلها عوامل أساسية في زيادة الوعي.

كذلك يشمل الوعي العاملين الصحيين، ونحن في الموضوعين الرئيسين ومواضيع أخرى تتعلق بالتغير المناخي سوف نتطرق إليها الآن نعدُّها من الأولويات في التصدي للتأثيرات السلبية للتغيير المناخي على صحة المواطن، والتصحر وفقدان الغطاء النباتي هي أيضًا واحدة من المشاكل التي تواجه العراق, إذ بدأت الإصابات بالانخفاض وهي الحمى النزفية، وأحد أسباب انتشار الحمى النسبية هو الغطاء النباتي والتصحر وذهاب الغذاء أدى إلى زيادة حركة القرار الذي يحمل الفيروس المسبب للحمى النسبية, وبالتالي ازدادت الإصابات، وهذا مثال واضح على العلاقة بين التصحر بسب التغير المناخي ونواقل المرض ونشاطها في هذه الحالة، وهناك ضمن البرنامج الحكومي عمل مشترك بين وزارة الصحة ووزارة الزراعة، ووزارة الزراعة معنية بمكافحة النواقل ووزارة الصحة معنية بالاكتشاف المبكر وتوفير سبل العلاج لهؤلاء المرضى، وندرة المياه تسبب زيادة في الأمراض المنقولة من طريق الماء.

فيما أكد الدكتور حسين عبد الأمير وكيل وزارة الموارد المائية بأن موضوع الشحة المائية هي قاسية, إذ إن المنظومة هي منظومة فيضانية، والعراق كان لغاية سبعينيات القرن الماضي تصل إيراداته إلى أكثر من ثمانين مليار، لذلك قبل إنشاء السدود في أعالي الأنهر كان عندنا مشكلة الفيضانات، لذلك الحكومة في العهد الملكي شرعت بإنشاء مجموعة من السدود, وكذلك منظومة سامراء ثرثار لغرض حماية بغداد والمدن الجنوبية من خطر الفيضان، وفي سبعينيات القرن الماضي بعد إنشاء سد كيبان وسد الطبقة في تركيا وسوريا، بدأت هذه

> **ضرورة العمل على توعية المواطن وتعميم ثقافة الاهتمام البيئي ويجب أن تشمل عملية التثقيف كل المستويات التعليمية، بدءاً من الدراسة الابتدائية.**

الإيرادات بالتناقص تدريجيًّا, خفضت من ثمانين ووصلت بحدود أقل من سبعين مليار بحدود سبعين مليار.

أشار الوكيل إلى أن العراق شهد في بدايات تسعين القرن الماضي قبل ثلاثة عقود من الزمن بداية الموجة الأولى من تغيرات مناخية. التغيرات بدأت في العراق في الحقيقة عام 1999. بدأت تظهر ارتفاع درجات الحرارة، وبدأ يرافقها قلة الواردات المائية. تأثرت كل بلدان الشرق الأوسط, وشمال أفريقيا. أخذ آخر ثلاثة عقود من الزمن بدا تأثير موجات الجفاف واضحًا ولكن حقيقة للأسف فان موجات الجفاف التي حدثت آخر عشر سنوات هي كانت بدايتها تكرار في موجات الجفاف، ونحن في عام 1999 حصلت موجة جفاف واستمرت لسنة واحدة، وفي عامي 2008 إلى 2009 استمرت أيضًا سنتين وانتهت.

حاليًّا نمر بأربع سنوات جافة متتالية، ونتيجة التغيرات المناخية وكذلك قيام دول المنبع بتطوير المشاريع الإروائية، لذلك العراق من خلال وزارة الموارد المائية وبالتنسيق والتعاون مع كافة الوزارات القطاعية الأخرى تعمل جاهدة على التخفيف وعلى تكييف وزارتنا ومواجهة آثار التغيرات المناخية.

من خلال البرنامج الحكومي الذي تهدف وزارتنا إلى تحقيق أهدافها من خلال التوزيع العادل للمياه وفق رؤية

الجلسة الثانية: انعكاسات المناخ على الامن والهجرة

استراتيجية واضحة، تأخذ بنظر الاعتبار توفير الاحتياجات الحالية والمستقبلية كمًّا ونوعًا, والتكيف مع آثار التغيرات المناخية والتطوير في أعالي المنبع.

مع تشكيل الحكومة العراقية الجديدة، حرص فخامة رئيس الجمهورية على زيارة الجارة إيران وحلحلت المشاكل المائية العالقة معها, وكذلك السيد وزير الموارد المائية كانت له زيارتان إلى إيران، وأسفرت عن تحسن الواردات المائية بنهر الزاب الأسفل وكذلك نهر ديالى, لذلك محافظة ديالى وضعها المائي حاليًّا أفضل من الثلاث سنوات الماضية, وكذلك محافظة كركوك؛ بسبب الخزين المائي الموجود، ويُعَدُّ سد الخزين المائي حاليًّا أكثر بكثير من الخزينة المائي لسد الموصل وحديثة؛ نتيجة لقلة الواردات المائية من نهري دجلة والفرات العامودين الرئيسين. ونعمل جاهدين على إزالة الحشائش؛ نتيجة ارتفاع درجات الحرارة, إذ ينمو نبات الشمبلان، وهذه هي الآفة التي تغلق وتدمر مشاريعنا الإروائية.

فعاليات الجلسة الثانية التي حملت عنوان (انعكاسات المناخ على الأمن والهجرة). الذي أدار الجلسة الدكتور سيف الدين زمان الدراجي، وشملت الجلسة معالي وزيرة الهجرة والمهجرين فيان فائق دخيل، ومعالي مستشار الأمن القومي قاسم الأعرجي، والسيد جورجي ديغان رئيس بعثة منظمة الهجرة العالمية في العراق، ود. ياسين المعموري رئيس جمعية الهلال الأحمر العراقي، ووبرت دريسن ـ سفير الناتو في العراق، وشيفان فازل ـ معهد سبري.

أكدت وزيرة الهجرة والمهجرين فيما يتعلق يخص التغيير المناخي وتأثيراته وانعكاساته على المجتمع العراقي وبالتحديد تأثيراته على النزوح وعلى العوائل الذين نزحوا إلى مناطق أخرى، وبالتأكيد الإحصائيات, وإلى هذه اللحظة وحسب فروعنا في الوزارة والمتواجدين سواء كانوا في الفرات الأوسط أو في المناطق الجنوبية، وإن الإحصائيات التي سُجِّلت تأتي محافظة ذي قار في المرتبة الأولى, إذ تم تسجيل أكثر من 4 آلاف عائلة, وجاءت ميسان في المرتبة الثانية 1354 عائلة, ومن بعدها البصرة التي تُعَدُّ أكثر نزوحًا بحسب الإحصائيات لدى فروع الوزارة التي تم تسجيلها؛ كونها الأكثر هشاشة وتضررًا؛ بسبب تدني فرص العمل وتأثيرات النزوح. وكذلك أيضًا محافظة

المثنى سجلت نزوح 904 عائلة, ومن خلال إحصائيات الأمس جاءت محافظة الديوانية وديالى, ولا توجد إحصائية دقيقة لكن الوزارة سجلت ما يقارب 7 آلاف عائلة على أثر التصحر في مناطقهم (الديوانية وديالى).

ولدينا إجراءات خاصة, ونتعامل مع نتائج كما يوجد دعم لإيواء وإغاثة, ونحن لم نسجل في النزوح الإيواء باعتبار أكثر العوائل التي نزحت كان لديها إيواء على أرض الواقع, ولكن نحن دعمنا فيما يخص الإغاثة سواء كان على مستوى المساعدات الإنسانية, ونحن مستمرون بدعمها كون العوائل خسرت فرص العمل في مناطقهم, وهذا أثر بشكل كبير على العائلة وزادت لديهم نسبة الفقر، وفي نفس الوقت يواجهون صراعًا مع المجتمع سواء كان في نفس المحافظة أو غيرها، وهذه الثقافة موجودة وأثرت أيضًا على التماسك المجتمعي في هذه المنطقة، وهناك بعض المشاكل والتحديات والصراعات, وإن الوزارة تعمل من خلال برامج وخطط، والخطة الأساسية التي تعمل عليها الوزارة هي مع وزارة التخطيط بعدّها الراعي الأساسي لرسم السياسة مع المؤسسات والوزارات ذات العلاقة.

كما أشادت معالي الوزيرة بدور الأمم المتحدة لدعم الوزارة في هذه المشاريع للحد من النزوح بسبب التصحر والجفاف, وتواجدهم اليوم معنا في هذا المؤتمر مهم جدًّا لوجود تخصيص من الأمم المتحدة وتنسيق ودعم وهذا له دور كبير، وكذلك موازنة الوزارة والمساعدات ولدينا تعاون مع وزارة العمل والشؤون الاجتماعية من خلال الرعاية الاجتماعية, وهذا مهم؛ لأن أغلبية العوائل هي فئة هشة وضعيفة وتحتاج إلى رعاية اجتماعية مع هذه المشاريع, لكن نحن كوزارة درسنا بالتنسيق مع وزارة الزراعة والموارد المائية لعلاج هذه المشاكل التي تقلل من أعداد النزوح ونريد الحفاظ على العدد الموجود ونعالج الأثر ونقلل من عملية النزوح, وبالتالي نقلل من التحديات التي تواجهنا.

السيد مستشار الأمن القومي قاسم الأعرجي أكد في كلمته بأن هناك علاقة وثيقة واستراتيجية بين تغير المناخ والأمن القومي لأي بلد. الجهات الإرهابية تستغل

> **لا بد من أن تركز الاهتمام على رفع وعي المجتمع بكل ما يتعلق بقضايا التغيرات المناخية، إلى جانب دعم جهود الباحثين والأساتذة والطلبة في مجال البحوث والابتكارات المكرسة لتخفيف وطأة التغير المناخي.**

أي حالات احتقان أو تشنج بين السكان والحكومة, الجماعات وعصابات التهريب والمخدرات تستغل الأوضاع السيئة من خلال الأنشطة غير القانونية وغير الشرعية، و «أمن المناخ وهو أحد مرتكزات إصلاح القطاع الأمني، وإن الأمن المجتمعي ينطلق من المواطن والتعاون الكبير بين الأجهزة الأمنية ورجال الشرطة الذين استفادوا من الخبرات وتوفير الأجهزة, ونحن الآن بحاجة إلى إذن تسمع حتى يتم تحقيق الأمن, وليس بحاجة إلى كثرة السيطرات, وبالتالي نجد العشرات من العجلات المسلحة في الشوارع. هذا ليس مظهرًا من مظاهر الأمن. يجب أن تكون مؤمنة بالكامل, وتكون لدينا عين في كل مكان من أجل توفير الأمن للمواطن وليس على المواطن، وأن نعمل للمواطن. وأكد المستشار أن حكومة السيد السوداني تبذل جهودًا كبيرة في هذا المجال, وإشراف من قِبَله من أجل الارتقاء بمستوى عمل الأجهزة الأمنية، ونقل المسؤوليات من الدفاع إلى وزارة الداخلية, وهذا مبدأ أساس للحكومة, وتمت مناقشة الأمر في وزارة الداخلية ومستشارية الأمن القومي, وعلى إثر ذلك استلمت وزارة الداخلية خمس محافظات ولدينا تقييمات للمحافظات الأخرى.

فيما يخص التعاون بين العراق والناتو, أشار سفير الناتو لدى العراق السيد روبرت إدريس، إلى أن الناتو

طور طريقة عمل خطة رباعية تتلاءم مع التداعيات الحالية في المنطقة, وهذه الخطة قابلة للقياس, وتتمثل أولًا بالوعي بالتغيرات المناخية, وثانيًا وثالثًا استخدام التقنيات الحديثة, ورابعًا التعاون الدولي.

عندما نتحدث عن التعاون الدولي المتمثل بالشركاء, فالعراق يُعَدُّ شريكًا مهمًا لدى حلف الناتو, كما تعلمون أن حلف الناتو له مهمة في العراق, وأنا جزء من هذه المهمة, ودوري قريبًا سوف ينتهي في العراق, إلا أن القائد القادم الجنرال AM سوف يقوم بإكمال مسيرة الدعم في العراق مع كافة الإمكانيات القيادية والاستشارية, والخطة لا تقتصر على التعاون مع وزارة الدفاع, بل ستشمل التعاون مع باقي الجهات الحساسة, مثل وزارة الداخلية, ولأننا نعلم بأن التغيير المناخي هو أحد عوامل خلق عدم الاستقرار الأمني فالخطة شملت أولًا الوعي, أي معرفة الأسباب ومعالجتها, والوعي بالسبب وطريقة تتبعه. وإن حلف الناتو يقوم بدراسة سنوية وآخر دراسة ناقشها في الشهر السابع ٢٠٢٣, حول قياس التأثيرات المناخية, وصنف العراق في هذه الدراسة على أن التغيرات المناخية في العراق حادة جدًّا, وطريقة التعامل مع الأزمات يتطلب الوعي وكيفية إدارة الأزمات, ومثال على ذلك التعامل مع قلة الأمطار والعواصف الترابية، ومن ضمن الاستعداد لإدارة الأزمات مشاركة التجارب في الدول الأخرى, مثل إسبانيا ومعرفة استراتيجيتها في مواجهة هذه الظروف. ونأتي الآن للتحدث في الاستعدادات, وهذا يشمل الاستعدادات الحالية والمستقبلية. والعراق لا يعطي أهمية للاستعدادات المستقبلية, مثل استخدام التقنيات, وهل العراق مستعد للعمل في حالات الجفاف الشديدة، وإن حلف الناتو على استعداد لتدريب كوادر ومشاركتهم لمعلومات مهمة في هذا الخصوص.

وقد أجرت الإعلامية منى سامي حوارًا مع السيد وزير الداخلية عبد الأمير الشمري الذي أكد بخصوص مستوى الجرائم الجنائية أو الإرهابية. لا يخفى على الجميع أن التغيرات المناخية فيها جوانب تؤدي إلى انعكاسات على الأمن الغذائي وانخفاض فرص العمل وهجرة قسم من المناطق إلى مناطق أخرى جراء التغير المناخي في العراق في السنوات الثلاثة الماضية تأثرًا كبيرًا, وبالتحديد في مناطق محافظة ذي قار وميسان والبصرة والمثنى وكذلك محافظة الديوانية. هذا التغير المناخي أثر وسبب

حوار خاص مع معالي عبدالامير الشمري وزير الداخلية

الاعلامية منى سامي
مديرة الحوار

بانخفاض منسوب المياه في الأنهار والأهوار ومناطق أهوار الجبايش في محافظة ذي قار وأهوار الشرقية في محافظة ميسان, وهذا التأثير خلّف هجرة قرى بأكملها باتجاه محافظات محددة, كمحافظة النجف وكربلاء وبغداد, باعتبار أن هذه المحافظات جاذبة وفيها فرص عمل، والتأثير الآخر هو انخفاض مستوى المياه الأمر الذي دعا وزارة الموارد المائية للقيام بتجفيف أو ردم بحيرات تربية الأسماك غير المجازة بشكل رسمي لوجود أعداد كبيرة من هذه البحيرات بعد عام ٢٠٠٣ خاصة في مناطق شمال العراق ومناطق المدائن وجنوب بغداد والقريبة من الأنهر, وكذلك محافظة صلاح الدين، بعدما قام عدد من المواطنين بأخذ مساحات كثيرة وتركوا الزراعة وبدأوا العمل بتربية الأسماك، وطبعًا أسبابها الهجرة وانعدام فرص العمل والهجرة إلى أماكن أخرى, مثلًا في محافظة كربلاء المقدسة والنجف الاشرف كما مثبت في وزارة التخطيط, ويختلف عن الواقع الحالي؛ كون المناطق مناطق عشوائية؛ نتيجة الهجرة إلى كربلاء والنجف وكذلك في بغداد.

وهذه الهجرة بالإمكان القول أصبح الشباب من دون عمل, وقسم منهم يعملون على قضايا عمل يومي أو الأجرة، وبدأت تظهر بعض الجرائم الجنائية في هذه المناطق.

وأكد السيد الوزير بأن لدينا شرطة البيئة التابعة لمديرية الدفاع المدني. أما بالنسبة للتجاوزات دائمًا ما تحصل هذه التجاوزات على الأنهر, ونتعامل مع وزارة الموارد المائية برفع هذه التجاوزات, ودائمًا تحصل أثناء المواسم الزراعية خصوصًا خلال فترة زراعة الحنطة والشعير والشلب, ويتم التنسيق مع وزارة الموارد المائية, وبالنسبة لوزارة البيئة لدينا تنسيق وكذلك من قِبَل شرطة البيئة, ولدينا مبادرة تشجير؛ كون توجيه السيد رئيس مجلس الوزراء كان لكل الوزارات أن تكون لديها مبادرات في تشجير المساحات بما يمكن للمناطق المفتوحة، كما أشار السيد الوزير إلى أن تنظيم داعش الإرهابي استغل المناطق المشجرة والمناطق التي تكون الطبيعة الجغرافية فيها تمنع الجهات الأمنية من الوصول إليها، والكثير من الجزرات الموجودة الأكثر كانت عامرة بالأشجار اضطررنا إلى تجريفها. هذه المناطق تكون مأوى

> إن وزارة النفط هي الوزارة المسؤولة عن إنتاج الوقود الأحفوري وليس استهلاك هذا الوقود.

للعناصر الإرهابية, وتؤثر على السكان الموجودين في هذه المنطقة في صلاح الدين ونينوى, وهذه الجزرات كانت محمية بالتأكيد. وإن الشكاوى كانت تأتي من السكان بوجود داعش ضمن هذه الجزرات مما أجبر القوات الأمنية على تجريفها، وطلبنا بعد ذلك من محافظ صلاح الدين ومحافظ نينوى بأن هذه المناطق يجب أن يتم توزيعها للمواطنين لغرض الزراعة والمحاصيل الزراعية, وكانت هناك استجابة من قِبَل المحافظين بهذا الخصوص، ولكن هناك بعض المناطق لم يكن فيها تجريف, مثال على ذلك في محافظة كركوك منطقة وادي الشام لوجود أشجار طبيعية على الرغم من كثرة الدواعش في هذه المنطقة, وتمت المعالجة من طريق ضربات جوية محددة دون الحاجة إلى تجريف.

واصل المؤتمر فعالياته, وفي الجلسة الثالثة التي حملت عنوان (آليات الحكومة للتداول بسندات الكربون وتمويل المشاريع من عائدياتها) والتي أدارها الأستاذ حيدر قاسم مطشر، وبمشاركة الضيوف والباحثين, وهم كل من المهندس محمد صاحب الدراجي مستشار رئيس الوزراء، والدكتور عبد الباقي خلف علي مستشار وزارة النفط، والدكتور. نضير عبود فزع مستشار وزارة البيئة.

تحدث السيد مستشار رئيس الوزراء المهندس محمد صاحب الدراجي عن عضوية وزارات النفط والبيئة والصناعة، مشيرًا إلى أن هناك أهدافًا واضحة في هذه اللجنة. أهداف تكتيكية استراتيجية، بمعنى أهداف سريعة

الجلسة الرابعة: تحول الطاقة والتنوع الاقتصادي

معالي السيد زياد علي
وزير الكهرباء

السيد ماهر جوهان
وكيل وزارة التخطيط

السيدة مارينا هاشم
شركة VESTAS الدانماركية

د. محمد الدليمي
مركز بغداد للطاقة المتجددة

أوس الصفار
مدير الجلسة

آنية بالبعد التكتيكي, تتمثل بالعمل على تنظيم مؤتمر في بغداد للشركات الراغبة بالتعاون مع العراق في هذا المجال مطلع العام 2024، وتم تكليف وزارتي البيئة والتخطيط لتحديد أنشطة المؤسسات الحكومية وغير الحكومية، أي إنه حتى القطاع الخاص عليه أن يقلل انبعاث الكربون, ويعمل مشروعًا لتقليل الانبعاث, وممكن أنه يستفاد من هذا الموضوع، وتحديد المشاريع التي يمكن تمويلها لتخفيض انبعاث الكربون، وستقوم وزارة التخطيط بإعداد مقترح ضوابط بيع سندات الكربون، أي عندما تأتي أي شركة فيجب عليها أن تقدم مشروعًا يحمل ضوابط محددة، ولهذا قررنا إنشاء هذه الشركة؛ لتنجز هذا المشروع، وفي المقابل نمنحها سندات كربون؛ كي تقوم بالتداول لبيعها في سوق سندات الكربون العالمي.

فيما أكد مستشار وزارة النفط الدكتور عبد الباقي خلف علي بأنه» لدينا أسباب بيئية والتزامات مناخية في اتفاقية باريس، والتزاماتنا الإنسانية والأخلاقية تجاه نفسنا وتجاه شعبنا» مع ملاحظة, على الجميع أن يلتفت لها، أننا شاركنا في مؤتمر كوب 27 السابق للمناخ، واتضح لنا أننا كنا نتوقع, نحن كبلد نفطي, بأننا واحد من الجناة

> أهمية خلق لغة مشتركة مع الجميع وأن كل فرد في المجتمع يكون هو سفير استدامة امام مشكلة مثل مشكلة النفايات في العراق.

الحاضرين في موضوعات المناخ، لكن تبين لنا بأننا ضحية, بل واحد من البلدان الضحية، وليس نحن السبب, وعند الاطلاع على موقع اليو إف سي ستجدون نسبة العراق بوينت سكس بالمائة، يعني أقل من واحد بالمائة من هذه الانبعاثات.

الجلسة الخامسة : المشاركة الوطنية والتوعية البيئية

في التالي نحن ضحية في هذه القصة. السبب رقم واحد الصين ربع الانبعاثات، والولايات المتحدة خمس الانبعاثات تقريبًا, ويليها الدول الصناعية. نحن متضررون من تداعيات المناخ، وفي التالي همنا كيف نقلل الانبعاثات؟ هذا مهم أيضًا، كيف نعالج الآثار المناخية على العراق, مثل شحة المياه والتصحر, وتحدثوا به السادة في الجلسات السابقة.

استمرار لجلسات المؤتمر عُقِدت الجلسة الرابعة بعنوان «تحول الطاقة والتنوع الاقتصادي» التي أدارها السيد أوس الصفار بمشاركة كل من السيدات والسادة: السيد رياض العريبي مدير عام الشركة العامة لنقل الطاقة الكهربائية في المنطقة الوسطى، والسيد وكيل وزير التخطيط الدكتور ماهر جوهان، والسيدة مارينا هاشم نائبة رئيس شركة للطاقة، والدكتور محمد شاكر الدليمي رئيس مركز بغداد للطاقة المتجددة والاستدامة وعضو الفريق الرئيس للمبادرة الوطنية لدعم الطاقة وتقليص الانبعاثات في العراق.

أوضح مدير عام الشركة العامة لنقل الطاقة الكهربائية في المنطقة الوسطى السيد رياض العريبي أن وزارة الكهرباء تستهدف خطة تسير وفق معدلات, وقد تم وضع خطط ورصد أموال وتخصيصات من خلال الموازنة بالتعاون مع وزارة التخطيط ووزارة النفط ووزارة المالية، وحاليًا معدل التوليد في العراق جيد قياسًا بسنوات سابقة.

لدينا من الطاقة التوليدية المركبة من طريق استغلال الانبعاثات من الدورات البسيطة لتحويلها إلى طاقات من خلال وحدات توليدية مركبة بحدود ثلاث وخمسمئة ميجا واط، ونستهدف في السنوات المقبلة الوصول إلى تسعة آلاف ميجاوات. وهذا سوف يقلل الانبعاثات الكربونية، وأيضًا تم تنصيب أكثر من أربعين منظومة تبريد في الوحدات التوليدية، إضافة بنفس معدل صرف الوقود الحالي الذي يولد كمية معينة من الطاقة، وإضافة سبعمئة واثنتين وسبعين ميجا وات للمنظومة. هذه الإضافة هي بنفس معدل الوقود، وأيضًا أنه يُعَدُّ وحدة من المعالجات المهمة في تقييم انبعاثات الطاقة.

فيما يخص الطاقة الشمسية في الخطة الثالثة والعشرين والسابعة والعشرين نستهدف الوصول إلى سبعة آلاف وسبعمئة ميجا واط، إضافات طاقة شمسية, وتم توقيع العديد من العقود، هذه العقود سترى النور

في السنوات المقبلة أكيدًا، إضافة إلى وجود دراسة لاستخدام طاقة الرياح في منطقة الشهابي, وحاليًّا يوجد دراسات مستفيضة في هذا الجانب، وتعرفون أن معدل الرياح يحتاج وقتًا لدراسة كمية الرياح الموجودة ضمن المناطق, وهل هي مستمرة أم غير مستمرة؟.

هذا شيء مختصر في مجمل إجراءات الوزارة، لكن توجد خطط ومشاريع أخرى مستمرة ومع استشاريين ومع وزارة التخطيط لغرض الوصول إلى أعلى شيء ممكن من تقليص انبعاثات الطاقة.

السيد وكيل وزارة التخطيط الدكتور ماهر جوهان أوضح أن برنامج الحكومة تضمن محاور أساسية, يعني الخمسة الأساسية وفقرات تفصيلية, الجزء الكبير منها كان يتعلق برفع كفاءة أداء المشاريع الحكومية بصورة عامة، والتركيز بصورة خاصة على مشاريع الطاقة.

وهذا التزام أساس بالنسبة لنا, وواحد من المحاور الأساسية للمرحلة الحالية والمستقبلية، وفي موازنة 2023 و 2025، وهي لأول مرة في العراق ما بعد 2003، بل حتى قبل 2003, أقرت هذه الموازنة المتعددة، وحاولنا كوزارة بصياغة تنسيقية عالية مع الوزارات القطاعية الخاصة, مثل الكهرباء والمالية ووزارة النفط أن نضمن التمويل والتخصيص المناسب الذي يتماشى مع البرنامج الحكومي بصورة واضحة.

كما فصل السيد الوكيل الحديث عن قطاع الكهرباء وعن الطاقة المتجددة, وكذلك الاستفادة من الطاقات الحالية للدورات المركبة، المتضمنة تمويلًا كافيًا يصل إلى أرقام كبيرة جدًّا تصل إلى ثلاثة تريليون, ما بين الاستفادة من الدورات المركبة الطاقات الحالية التي تستند إلى الوقود الأحفوري بمسمياته, وتوفير نصوص قانونية لتوفير ضمانات أساسية للطاقة الشمسية وللمشاريع العملاقة المتعلقة بالطاقة المتجددة.

فيما بيَّن مدير مركز بغداد للطاقة المتجددة والاستدامة الدكتور محمد شاكر الدليمي أن المركز تم إنشاؤه, وباشر أعماله عام 2018 كمركز غير ربحي، ومنذ ذلك الحين المركز مستمر على مواكبة أحدث التقنيات

أن أي عبث في الطبيعة تنتج عنه نتائج عكسية، وكلما ازدادت كمية هذا العبث تزداد تأثيرات نتائجه وتتحول إلى كوارث.

والأبحاث العالمية، فيما يخص الطاقة المتجددة وإيجاد حلول مستدامة, والسعي لتنفيذها على أرض الواقع.

وأكد الدليمي أن المركز غير ربحي، وتم إنشاء هذا المركز ضمن المسؤولية الاجتماعية للشركات, وهذا نظام عالمي معروف, مشيرًا إلى أن العراق للأسف لا يمارسه إلا بقدر الصدقات والمعونات. تختلف عن موضوعة المسؤولية الاجتماعية للشركات التي هي أنه أنت شركة مسؤولة أمام المجتمع.

مؤكدًا على أهمية خلق لغة مشتركة مع الجميع, وأن كل فرد في المجتمع يكون هو سفير استدامة. اليوم هناك مشكلة النفايات في العراق, نحن نطرح يوميًّا أربعين ألف طن من النفايات، وهذه الأربعين ألف طن من النفايات, سنويًّا تولد لنا 15 مليون طن كربون. لو أردنا معالجة هذه النفايات وإعادة تدويرها، فهذا موضوع مهم، لكن لا بد أن يكون الفرز من المصدر, وليس في المكب.

في ما يخص المواد المفروزة المخلوطة عندما تأتي إلى المكب وهي مخلوطة, فعملية إعادة فرزها ستكون صعبة, هناك مكننة تجري في بعضها، لكن في الأخير لا بد من وجود عنصر بشري.

وبيَّن الدليمي أن المدن المستدامة هي جودة حياة، وهي ليست طاقة شمسية، هي مفاصل متكاملة تغير

أسلوب الحياة، كما هي مدينة دبي المستدامة، وفي موضوعات المدن المستدامة نأمل أن نعمل مدينة مستدامة واحدة في بغداد متكاملة, وتكون هي مركز التدريب للمهندسين والمصممين, وتنتشر في كل العراق، هذا هدف رئيس نعمل عليه لتحقيقه في أقرب وقت.

وأضاف الدليمي أن الدول المتقدمة الصناعية التي تلوث هي ملزمة, بعد اتفاقية باريس، بأن تضع صندوقًا فيه تمويل, سنويًّا كان مئة مليار دولار, وبعد اتفاقية جلاسكو أصبح مئة وثلاثين مليار دولار في الصندوق. هناك أربع وثمانين دولة الأكثر تضررًا هي مؤهلة لأن تستفيد من هذا الصندوق, العراق في المرتبة الخامسة، فنحن مؤهلون للحصول على أدنى أموال طائلة موجودة ممكن الاستفادة منها، ونتحول تحولًا كاملًا نحو الاقتصاد الأخضر.

وتطرقت السيدة مارينا هاشم، إلى وجهة نظرها ورؤيتها للمشاريع المستقبلية في العراق بصفتها ممثلة لشركة فيستا وند الدنماركية, إذ أشارت مارينا إلى أن لدى الشركة رؤية واضحة؛ كون العراق غنيًّا بالمصادر النفطية والغازية والأيدي العاملة، إضافة إلى كمية الرياح التي تهب والتي من الممكن الاستفادة منها لتحويل الطاقة إلى الطاقة النظيفة.

مشيرة إلى أننا لو نظرنا إلى الدول المجاورة التي لها موارد أقل من العراق بدأت بجدية بهذه المشاريع، ولدى الشركة مشاريع في الأردن والسعودية وتركيا، ولا يوجد مشروع في العراق، ولا يوجد مانع من وجود هكذا مشروع في العراق, إذ إن المصادر متوفرة، والعراق بلد غني بالموارد البشرية من الجامعات والخريجين المتعلمين والموارد كافة، ويمكن الاستفادة منها وتحويل الحياة إلى أكثر حضارية, واستخدام طاقة متجددة نظيفة. ويمكن أيضًا تأسيس المصانع الخاصة في البلد.

الجلسة الخامسة لفعاليات مؤتمر المناخ الدولي في بغداد بعنوان: «المشاركة الوطنية والتوعية البيئية» أدار الجلسة السيد عباس عبود، وبمشاركة السادة الضيوف كلّ من معالي السيد أحمد المبرقع وزير الشباب والرياضة، ومعالي السيد أحمد الأسدي وزير العمل والشؤون الاجتماعية، والسيد الدكتور علي المؤيد رئيس هيأة الإعلام والاتصالات، والسيد مؤيد اللامي نقيب الصحفيين العراقيين، والسيد الدكتور منير السعدي رئيس جامعة

بغداد، والسيد أشرف الدهان مدير عام المنظمات غير الحكومية.

أكد معالي وزير العمل أحمد الأسدي أن أي عبث في الطبيعة تنتج عنه نتائج عكسية، وكلما ازدادت كمية هذا العبث تزداد تأثيرات نتائجه وتتحول إلى كوارث، وتستمر بتأثيرات مختلفة، مثلًا بعد الانتفاضة الشعبانية عام 1991 التي حدثت بعد حرب الخليج الأولى وتحديدًا في منتصف عام 1992، قام النظام السابق بحملة غير مسبوقة لغرض تجفيف الأهوار، واستمرت حوالي عام ونصف. أدت بعد ذلك إلى تجفيف منطقة تتجاوز مساحتها اثنين وعشرين ألف كيلو متر مربع، وهي تمتد إلى عشرات الآلاف، بل ربما مئات الآلاف من السنين في هذه المنطقة التي كانت تؤثر على كل بيئة العراق على أقل تقدير على بيئة الجنوب والفرات الأوسط، بل تقترب حتى من التأثير على بيئة وسط العراق وغربه. هذا العبث في الطبيعة أدى إلى جفاف هذه المنطقة بعد عام 1993 إلى 2003. جفت بنسبة مئة بالمئة، وصاحب حملة التهجير والتغير الجغرافي قطع نهر دجلة والروافد التي تصب في هذه المنطقة كانت حوالي اثنا عشر رافدًا قطعها مئة بالمئة، وإنشاء نهر بعد ذلك، ثم في أواخر عام 1993 تم قطع نهر الفرات بشكل كامل من مدينة الناصرية وتحويله باتجاه الصحراء إلى أن جفت هذه الأهوار. تم القضاء على تنوع بيئي عمره عشرات الآلاف من السنين، والقضاء على هذه البيئة التي كانت تنعكس غيومًا ومطرًا، وبالتالي تنعكس على بيئة ومناخ العراق.

وشاهدنا منذ تلك الفترة وإلى اليوم في كل عام تحدث العواصف الترابية، وتحدث تفاعلات كثيرة وتأثيرات هي ناتجة عن ذلك العبث المتعمد بالطبيعة.

اليوم، وكما يُعلَن بشكل متواصل، وخصوصًا لمتابعين ملف المناخ والتغيرات المناخية وملف البيئة، عن الظروف التي يعيشها العالم بيئيًّا، ومما يخصنا في العراق الذي حدث في أهوار الجنوب، ولكن بالتأكيد في كل العالم عُبِث في الطبيعة، من قطع الأشجار وزيادة المصانع والانبعاثات الكربونية وانبعاثات الغازات المختلفة التي أدت إلى ما أدت إليه من نتائج، وواحدة من نتائجها الثقب الموجود في الأوزون وتأثيره. عمومًا هذه كلها انعكست على البيئة، ولا زالت تنعكس باستمرار انعكاسات سلبية مستمرة.

نشيد بالمؤتمرات والورش التي تُعقَد في جميع أنحاء العالم, وهنالك مختصون يبذلون جهدًا كبيرًا, سواء في التوعية أو في كتابة الدراسات التي تسلط الضوء على هذه الظاهرة المؤذية لكل العالم, ولكل الكون في الحقيقة؛ كوننا الآن لا نتحدث عن غير أرضنا وما يحيط بها من غلاف جوي، وفي التالي نحن اليوم في العراق باعتبارنا في المستوى الخامس من الدول المتضررة والمتأثرة من التغير المناخي الذي يشهده العالم, لذا يجب علينا أن

> أن مشكلة المناخ والبيئة تحتاج مقابل تحدياتها إلى مناخ سياسي يكون مساعدًا لإيجاد الحلول أو لتطبيق الحلول.

نتداعى جميعًا على المستوى السياسي, على المستوى الثقافي, على المستوى التعليمي, على المستوى الإعلامي, أن نتداعى لهذه الكارثة التي تضرب في عمق الوطن وتؤدي إلى نتائج كارثية, بالتأكيد هذه المؤتمرات والندوات والورش التي تُقام تساعد في تسليط الضوء على هذا الخلل الكبير, وفي التالي أيضًا هي تساعد على البحث عن حلول, فضلًا عن تحقيق جزء من هذه الحلول إقامتها.

وفي حديثه أشار الدكتور الأستاذ منير السعدي, رئيس جامعة بغداد، إلى وضع العراق البيئي مؤكدًا على أن مشكلة المناخ والبيئة تحتاج مقابل تحدياتها إلى مناخ سياسي يكون مساعدًا لإيجاد الحلول أو لتطبيق الحلول، مبينًا أن جامعة بغداد عملت على مدى سنتين معارض علمية لمنتجات تناولت معالجات للبيئة، وكنا نطمح أن نسوق هذه النتاجات والحلول.

أنا أعتقد أن حل مشكلة المناخ في العراق يحتاج إلى إرادة أولًا, ويحتاج إلى مساهمة الناس، وأنا أقول دعوة لكل العوائل العراقية لو أغلقنا مصباح مئة واط في كل بيت، سوف نوفر لربما واحد جيجا من الكهرباء، وإذا أطفئنا مصباحين شيء، وإذا قللنا استهلاكنا للكهرباء سوف يوفر شيئًا آخر في موضوعة توليد الكربون الذي أصبح سنة خطرة في بيئتنا.

نعتقد أن الأرض في تاريخها مرت بمراحل عصر جليدي, وانتهى العصر الجليدي. الآن بدأنا نمر بالعصر الأخطر, الذي من الممكن أن يؤثر على الحياة بشكل كبير جدًّا, هنالك نسبة كبيرة من البشر معرضة للجوع.

وبالنسبة لموضوعات استخدامات المياه، لدينا مشكلة في تقنية السقي، في تقنية الزراعة، لدينا مشكلة لكننا نعتقد أن الاستجابة لها أهمية كبيرة، أعطي مثال على ذلك.

عندما نتكلم عن نقص الحنطة في المنطقة الجنوبية, فهناك حنطة تُنتَج في شمال العراق، فالحنطة التي في الشمال تعوض الجنوب، لكن لو شعرنا أن الجنوب أمام خطر كبير، لكان لدينا إجراءات أخرى في الحلول.

نحتاج برنامجًا حقيقيًّا يُدار من الدولة من أصحاب القرار الذين يرسمون السياسات، والمواطن عندما يجد الحقيقة مقومات نجاح هذه الإجراءات سيكون تفاعله معها بشكل أفضل، مثل التقليل من استهلاك الطاقة الكهربائية، ليس القصد تقليل الطاقة عن الناس, بل يعطي البدائل.

وعن دور وزارة الشباب والرياضة في التوعية عن البيئة والمناخ، بيَّن معالي وزير الشباب أن الإعلام جزء فاعل مهم في صناعة الرأي العام, لكنه ليس هو الوحيد. أحيانا الإعلام يتأثر بالرأي العام, ويصنع له سياسة خاصة, أيضًا يتماهى مع الرأي العام. فالرأي العام ليس فقط الإعلام، الإعلام هو الجزء الفاعل، نعم هناك مؤسسات اجتماعية ومنظمات مجتمع مدني, بل مؤسسات دينية تساهم في هذا الشيء.

مؤكدًا على ضرورة أن تكون التوعية بالكوارث الطبيعية والمناخية دافعًا للإنسان من أجل تحسين تعامله مع الأزمة, وتقليل الاستهلاك, والاستخدام الأمثل وليس التخويف منها, مثلًا, أن يكون هناك توعية تربوية واجتماعية ومؤسساتية لإدارة الأزمة, وحسن التعامل معها.

مشيرًا إلى أن وزارة الشباب والرياضة تقوم بجهود كبيرة من أجل التوعية بمخاطر البيئة والمناخ, كما أن هناك جهودًا كبيرة لفرق توعية وتطوعية تقوم بأعمال للحافظ على البيئة, ونشر ثقافة الاستدامة والاستخدام الأمثل للموارد.

وعن دور المنظمات غير الحكومية, أكد السيد أشرف الدهان بأن الدائرة أخذت على عاتقها, وبالتعاون مع الوزارات والمؤسسات الحكومية ذات الصلة والوكالات الدولية والمنظمات المحلية والأجنبية, التنسيق في هذه القضية التي تمثل أولوية وطنية. تبنينا تنفيذ أنشطة

> ضرورة أن تكون التوعية بالكوارث الطبيعية والمناخية دافعًا للإنسان من أجل تحسين تعامله مع الأزمة وتقليل الاستهلاك.

عديدة أهمها إطلاق حملة زراعة المليون شجرة، التي أُطلِقت العام الماضي بالتنسيق مع إحدى مؤسسات المجتمع المدني، وآخر نشاط للدائرة كان في جامعة بغداد في كلية العلوم الإسلامية، وهذه المبادرة جاءت بالتزامن مع المبادرة التي أطلقها دولة رئيس الوزراء في مؤتمر المناخ الذي أُقيم في البصرة، والهدف منها هو زيادة المساحات الخضراء، و نشر الثقافة بخصوص المناخ والبيئة بحيث بدأنا في هذه المبادرة بالزرع في المدارس الابتدائية؛ ليشعر طلابنا الصغار بالانتماء والعمل على ذلك، كما عملنا الكثير من المبادرات في هذا المجال التي تهدف إلى زيادة الوعي المجتمعي، فضلًا عن ذلك قيام دائرتنا بنشر توعية مجتمعية بخصوص ندرة المياه.

نعرف أن العراق بدأ يعاني من شحة مياه، والعراق من ضمن البلدان الخمسة الأكثر تعرضًا للجفاف. بصراحة هناك سوء استخدام للمياه عندنا في العراق, إذا كان يعني المواطن البسيط العادي وحتى المزارعين, نرى أن طرق الري والزراعة كلها قديمة، طبعًا مع منظمات أجنبية في بعض المحافظات التي فيها مساحات زراعة، قمنا بعدة مشاريع، وبالتنسيق مع جهات خاصة في موضوع الري، وكذلك مبادرات كثيرة تتعلق, بعضها بحثية ودعم لأنشطة شبابية، ولدينا فريق شبابي لمتطوعين, بالتنسيق مع الأخوة في وزارة الشباب أطلقنا قبل فترة حملة لتنظيف مقتربات دجلة.

هذه جميعها مبادرات مجتمعية على رغم بساطتها لكنها تعطي أثرًا كبيرًا, وتعطي حافزًا مهمًّا لصاحب القرار، أيضًا لدينا تنسيق كبير مع وزارة البيئة والكهرباء في موضوع دعم المبادرة الوطنية لدعم الطاقة, وتقليل

الجلسة الثالثة: مخاطر التغير المناخي وسياسات التكيف العالمي

ا.د.عبد الحميد العيد العموساوي
تحديات التغيرات المناخية في القارة الأفريقية

د. احمد كيلان
لجنة التغير المناخي لندن

د. خرم عباس
دبلوماسية المناخ: تحديات وآفاق التعاون المناخي بين الدول المتنافسة

ا م د احمد عدنان الميالي
النظام الرأسمالي والتغير المناخي

د. احمد عبد الامير الانباري
مدير الجلسة

الانبعاثات, والمشاركة برسم السياسة الوطنية, ودعم تشريع قانون الطاقة المتجددة.

اليوم الثاني من المؤتمر:- الجلسة الأولى: قدرة قطاعي التربية والتعليم في العراق على مواجهة تحديات التغيرات المناخية وشحة المياه.

تحدث في الجلسة السيد وكيل وزارة البيئة جاسم الفلاحي عن التحدي الأكبر الذي يواجه العراق والذي وضع أولوية في البرنامج الحكومي ولأول مرة في حكومة السيد السوداني, وتحت بند البيئة والتغيير المناخي والطاقة المتجددة, ولأول مرة يتم تخصيص موازنات للتغيير المناخي ومواجهته.

بالتأكيد عندما نقول إن التغيير المناخي تحدٍّ, يجب أن ننظر إلى التحدي الأكبر في اليوم والمستقبل, وهو تحدي الجفاف بسبب التصحر وفقدان الأراضي الصالحة للزراعة, وتقليص فرص العيش, وزيادة العواصف الرملية, والزيادة في درجات الحرارة وانعكاساتها على قطاع الصحة والمجتمع وقطاع الطاقة والاقتصاد, وكذلك قطاع الأمن والسياسة.

واحدة من أهم الأمور, وهي وجودنا اليوم في هذا المؤتمر, وعلينا جميعًا أن نضع أمام أعيننا بأننا في حاجة ماسة إلى رؤية جديدة للتعامل مع أولويات التحديات التي تواجه العراق, وأهمها إن تحدي المناخ تحدٍّ مستقبلي لبلد يعتمد مئة بالمئة على الإنتاج النفطي, والجميع يعلم باتفاق باريس والوجهة العالمية اليوم ذاهبة في اتجاه تقليل الاهتمام بالإنتاج الأحفوري.

والتحدي الثاني, هناك زيادة غير مسبوقة في عدد السكان, يرافقه تقليص في الرقع الزراعية وبعض من الإيرادات المائية ٢٠ - ٣٠ بالمئة من إيرادات الماء كانت في تناقص وتناقص في المستقبل؛ بسبب سياسات دول المنبع والتغيرات المناخية وما واجه العراق من حروب وعدم استقرار الأمن والعصابات الإرهابية.

نحن نحتاج إلى رؤية جديدة من خلال هذا المؤتمر, وأن تكون مخرجاته بوضع رؤية علمية أكاديمية قابلة للتطبيق وفق سقف زمني.

أما د. عدنان ياسين, من جامعة بغداد, عبَّر عن أمله بالتطلع لغدٍ أكثر إشراقة, لكن من واجب الباحثين والأساتذة والجامعات والكليات أن يتقدموا الصفوف, وتقديم الرؤى واختيار البدائل وقياس النتائج.

إن موضوع تغيير المناخ من أهم التحديات التي تهدد الأمن الإنساني والعراق يُعَدُّ من أكثر البلدان التي تتعرض بهذا الجانب.

إن موضوع تغيير المناخ من أهم التحديات التي تهدد الأمن الإنساني, والعراق يُعَدُّ من أكثر البلدان التي تتعرض بهذا الجانب. إننا أخذنا على عاتقنا المسؤولية, وهناك خطوات مهمة جدًّا, وكذلك توجد منصة التنمية المستدامة في جامعة بغداد, ونحن نقدم كافة المتطلبات من ناحية الأطاريح والرسائل, وكذلك أود الإشارة إلى دور وزارة التربية, وتحتاج إلى عمل كبير وحقيقي, ووجدنا أن هناك فجوة كبيرة في المناطق الريفية وموضوع التوعية, وإن ما يقارب ٨٥٪ من النساء هم دون المتوسطة, وهذا يحتاج إلى وعي كبير, وإن الجامعة والتنمية والنهضة هي محور مهم جدًّا ومطبخ فكري لكل التغيرات لإيجاد حلول مناسبة تبدأ بالبحث العلمي, وإن هذا التقرير تناول موضوع كيف يُستخدَم البحث العلمي؟ وماهي التجارب العلمية التي حققت نتائج مهمة ومواجهة للتغيرات المناخية؟.

وعن دور معهد العلمين في المساهمة في وضع الحلول التي تساعد في حلحلة الأزمة البيئية في العراق, بيَّن الدكتور صعب ناجي أن هذا المعهد من المعاهد المختصة, ومن ضمن أهدافه أن يكون جزءًا من الحل الذي تواجهه الوزارات, ومن هذه المشاكل هي المتغيرات المناخية, وشحة المياه. وعندما نبحث في هذا الموضوع نبحث في الجانب العلمي والأكاديمي, وكذلك إيجاد الحلول, ومنها تدريس مادة التشريعيات البيئية في مرحلة الدكتوراه, وكذلك مادة التغيرات المناخية, ويتم وضعها في الرسائل والأطاريح الجامعية, إذ تم مناقشة 19 رسالة وأطروحة في مجال البيئة والتغييرات المناخية, و8 أطاريح دكتوراه قيد الكتابة. والأهم في هذه الرسائل عندما تُناقَش أن تكون بعدها مباشرة تنظيم ندوات أو ورش تدريبية, ويتم نقل تلك التوصيات إلى الجهات المعنية, وإن المشروع الأكبر الذي تبناه معهد العلمين مع مؤسسة بحر العلوم, وتم عقد عدة مؤتمرات في محافظة بغداد والنجف وفي وزارة البيئة والموارد المائية والزراعة, وكذلك اللقاءات مع المراكز البحثية والمتخصصين في دول الجوار, وتم وضع مقترحات في مجال المتغيرات المناخية, وإن المشروع الأهم الذي يسعى إليه المعهد هو خلق روابط واتصال مع الجهات المعنية, وتوجيه مذكرات تعاون مع وزارة البيئة. وتم الاتفاق على عدة مراحل, ويوجد كذلك مشروع بالتنسيق مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي, وهو استحداث دبلوم عالٍ فيما يتعلق بالتشريعيات البيئية وتحسينها, وإن الرؤية المستقبلية للمعهد هي الاستمرار بتدريس هذه المواد وتحفيز الطلبة على الكتابة في التغيرات المناخية وشحة المياه, وكذلك الاستمرار بعقد الندوات والورش مع المراكز البحثية, وإعداد المشاريع والقوانين لمعالجة التغيرات المناخية وشحة المياه.

الجلسة الثانية بعنوان «الأمن الغذائي والأمن المائي والأمن البيئي» ضمن اليوم الثاني من فعاليات مؤتمر المناخ الدولي

وتضمَّن جلسات حوارية مفصلة بشأن الأمن الغذائي والأمن المائي والأمن البيئي. حوار موسع من قِبَل الدكتور يوسف خلف مع معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي الدكتور نعيم العبودي.

أما الجلسة الثالثة بعنوان «مخاطر التغير المناخي وسياسات التكيف العالمي» ضمن اليوم الثاني من فعاليات مؤتمر المناخ الدولي.

وتضمنت الجلسة بحوثًا وكلمات للسادة المشاركين, منهم السيد أحمد كيلان عن لجنة التغيير المناخي لندن.

الدكتور خرم عباس الورقة البحثية (دبلوماسية المناخ وتحديات وآفاق التعاون المناخي بين الدول المتنافسة).

الدكتور أحمد عدنان الورقة البحثية التي أعدها بعنوان (النظام الرأسمالي والتغيير المناخي).

وتضمَّنت الجلسة الرابعة أوراقًا بحثية تبحث مواجهة تغيير المناخ, ودعم البيئة في العراق منها:-

- د. أحمد عدنان الكناني, الورقة البحثية الأولى-كان عنوانها (إدارة مخاطر التغير المناخي في العراق رؤية في بناء القدرات المؤسسية).

- د. إسراء شريف: الورقة البحثية الثانية (الاستراتيجية العراقية للأمن البيئي بين الواقع والمؤمل).

- د. عبد العزيز عليوي: الورقة البحثية الثالثة (الديموقراطية البيئية وسياسة التصدي للتحديات المناخية في العراق).

الجلسة الخامسة والأخيرة في المؤتمر بعنوان «الآثار الجيوسياسية والأمنية لتغير المناخ» ضمن اليوم الثاني من فعاليات مؤتمر المناخ وتضمنت بحوث في الآثار الجيوسياسية والأمنية لتغير المناخ

الورقة البحثية الأولى: التدهور البيئي وأثره على العلاقات الدولية: د. سعد حربي.

الورقة البحثية الثانية: ديناميكية السلوك الإنساني الإيجابي لمعرفة أسباب التغير المناخي واحتواء الأضرار: د. حازم الشمري.

الورقة البحثية الثالثة: د. منى جلال: ثقافة الوعي المجتمعي البيئي من منظور الأمن الإنساني.

الورقة البحثية الرابعة: د. سعد عبيد علوان: الدبلوماسية الخضراء, ودورها في خفض وتيرة الصراع الدولي الناجم عن تغيرات البيئة والمناخ.

في نهاية المؤتمر أشاد المشاركون بدور وتنظيم المعهد العراقي للحوار, وكلية العلوم السياسية جامعة بغداد, في عقد المؤتمر الذي يُعَدُّ خطوة مهمة لغرض مناقشة كافة القضايا والتحديات المتعلقة بالمناخ وأثرها على العراق والمنطقة, وتساهم في العمل لوضع الحلول الأكاديمية والعلمية المناسبة لهذه المشاكل البيئة والمناخية في العراق والعالم.

+964 773 019 7635
+964 772 997 3147
العراق ، بغداد ، الجادرية
- شارع الوزراء
Ministers St, Al-Jadriya
Baghdad, Iraq
head@hewariraq.com
office@hewariraq.com
www.hewariraq.com

شروط النشر

- تقبل البحوث ذات الصلة بالدراسات الاستراتيجية ، السياسية، الامنية، العسكرية، الاقتصادية .. والتي تتصف بالبعد التحليلي والستراتيجي وباللغتين العربية والانجليزية.
- يشترط ألا يكون البحث قد سبق نشره، أو قدم للنشر لجهات أخرى.
- يراعى في البحث اعتماد الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية.
- ان لا يزيد البحث عن ٣٠ صفحة مطبوعة (A٤)، بما في ذلك الهوامش، والمراجع ، والملاحق.
- يقدم البحث بنسخة الكترونية مصححة طباعياً.
- يرسل الباحث موجزاً بسيرته العلمية ، ورقم الهاتف والبريد الالكتروني.
- تكتب الهوامش بأرقام متسلسلة ، وتوضع في نهاية البحث مع قائمة المراجع.
- تطبع الجداول والرسوم البيانية على صفحات مستقلة ، مع تحديد مصادرها ويشار إلى مواقعها في متن البحث.
- تقوم هيئة التحرير بالمراجعة اللغوية ، وتعديل المصطلحات بالشكل الذي لا يخل بمحتوى البحث أو مضمونه.

إجراءات النشر:

- يتم الاعلان عن ملف العدد والموضوعات الاخرى عبر موقع المعهد وصفحته على الفيس بوك ويعمم كتاب على الوزارات والجامعات والكليات ذات العلاقة وينشر في مواقع التواصل الاجتماعي .
- تعنون المراسلات والبحوث والدراسات باسم رئيس تحرير .
- يتم إخطار الباحث بتسلم بحثه.
- يقوم المحرر المختص براجعة وتحرير البحث بعد إجازته من هيئة التحرير.
- يخبر الباحث بصلاحية البحث للنشر من عدمه.
- يتم النقاش مع الباحثفيما اذا وجدت ملاحظات على البحث.
- تصبح البحوث والدراسات المنشورة ملكاً للمعهد العراقي للحـــــوار ومجلة حوار الفكر ولا يحق للباحث إعادة نشرها في مكان اخر دون الحصول على موافقة تحريرية من المعهد.

Iraqi Institute For Dialogue
للحوار